المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى بمكة

كلية الدعوة وأصول الدين

الدراسات العليا

قسم العقيدة



الرسالة الكيلانية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

دراسة وتحقيق

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب

عبد العزيز بن عبد الله بن علي القرني

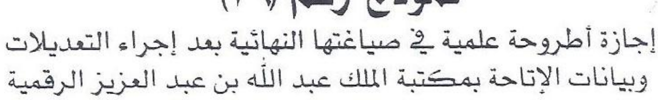
الرقم الجامعي : ٤٣١٨٠٢٥٠

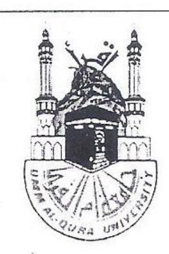
إشراف

الأستاذ الدكتور سالم بن محمد القرني

العام / 3411 - 3414هـ







نموذج رقم (١٩)

إجازة أطروحة علمية في صياغتها النهائية بعد إجراء التعديلات وبيانات الإتاحة بمكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز الرقمية

بيانات الطالب

Name	Abdul Aziz bin Abdullah bin Ali al-Qarni			عبد العزيز بن عبد الله بن علي القرني		الاسم
University ID	٤٣١٨٠٢٥٠			٤٣١٨٠٢٥٠		الرقم الجامعي
College	Aldawh aswl alden			كلية الدعوة وأصول الدين		الكلية
Department	Al aqedh			قسم العقيدة		القسم
Academic Degree	h١٤٣٤	year		١٤٣٤هـ	السنة	ماجستير	الدرجة العلمية
E-mail	Waq٤waq@hotmail.com					البريد الالكتروني

بيانات الأطروحة (الرسالة) العلمية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة العلمية، والتي تمت مناقشتها بتاريخ ٥/ ١١ / ١٤٣٤هـ، بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث تم عمل اللازم، فإن اللجنة توصي بإجازة الأطروحة في صياغتها النهائية المرفقة، كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه. والله الموفق.

عنوان الأطروحة كاملاً	الرسالة الكيلانية لشيخ الإسلام ابن تيمية دراسة وتحقيق

أعضاء اللجنة

المشرف على الرسالة	الاسم	أ.د. سالم بن محمد القرني	التوقيع	[signature]
المشرف المساعد (إن وجد)	الاسم		التوقيع	
المناقش الداخلي	الاسم	د.عبد العزيز بن أحمد الحميدي	التوقيع	[signature]
المناقش الداخلي	الاسم	د.سعود بن سعد العتيبي	التوقيع	[signature]
المناقش الخارجي (إن وجد)	الاسم		التوقيع	
مصادقة رئيس القسم	الاسم	د. فهد بن محمد القرشي	التوقيع	[signature]

إتاحة الأطروحة (الرسالة) العلمية

بناء على التنسيق المشترك بين عمادة الدراسات العليا و عمادة شؤون المكتبات، بإتاحة الرسالة العلمية للمكتبة الرقمية، فإن للطالب الحق في التأشير (✓) على أحد الخيارات التالية :

○ **لا أوافق** على إتاحة الرسالة كاملة في المكتبة الرقمية، وأعلم أن للمكتبة الحق في استخدام عملي أو إتاحته في إطار الاستخدام المشروع الذي يسمح به نظام حماية حقوق المؤلف في المملكة العربية السعودية.

○ **أوافق** على اتاحة الرسالة في المكتبة الرقمية، وتصوير الرسالة كاملة بدون مقابل.

○ **أوافق** على تصوير الرسالة كاملة بمقابل وفق شروط مكتبة الملك عبدالله الرقمية والتي سبق وأن أطلعت و وافقت عليها.

توقيع الطالب	عبد العزيز بن عبدالله القرني [signature]	التاريخ	١٥/ ١ / ١٤٣٥هـ

يعبأ النموذج باستخدام الحاسب الآلي، ويوضع أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة (الرسالة) العلمية في كل نسخة من الرسالة

ملخص الرسالة

العنوان : الرسالة الكيلانية لشيخ الإسلام ابن تيمية دارسة وتحقيق.

الباحث: عبد العزيز بن عبد الله علي القرني.

الدرجة العلمية: الماجستير.

موضوع الرسالة : فتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية في حكم القول بخلق القرآن .

فصول الرسالة: القسم الأول : الدراسة وتشتمل على فصول ومباحث :

الفصل الأول : حياة المؤلف وعصره .

المبحث الأول : حياته الشخصية.

المبحث الثاني : حياته العلمية.

الفصل الثاني : دراسة الكتاب .

المبحث الأول :توثيق الكتاب وموضوعه وأهميته.

المبحث الثاني : مصادره في الكتاب .

المبحث الثالث : أقوال العلماء فيه ومقارنته بالكتب المؤلفة في بابه.

المبحث الرابع : التعريف بنسخ الكتاب.

خاتمة الدراسة : وفيها أبرز نتائج الدراسة.

القسم الثاني : تحقيق الكتاب .

أهم النتائج والتوصيات:

١. تميز عصر شيخ الإسلام بالمصائب على الأمة وطمع الأعداء فيها .

٢. أثر الأسرة في نشأة الشخصية.

٣. أثر العلم الشرعي والتفقه في الدين على أيدي العلماء في تحصين الفرد .

٤. الصبر واليقين بالله –تعالى– أكثر ما يعين العالم في مواجهة البلاء .

٥. أهمية الرجوع إلى العلماء فيما يشكل من مسائل وعند الاختلاف.

ترجمة ملخص الرسالة

Message summary
title: tha Kilanih Message to Shaykh al-Islam Ibn Taymiyah study and explaination.
Researcher: Abdul Aziz bin Abdullah Ali Al-Qarni.
Degree: Master.
Master sudject: thepoint of view (fatwa) of Shaykh al-Islam Ibn Taymiyyah about the belief of " creation of the Koran".
message Chapters: Section I: study include two chapters:
Chapter One: the author's life and his time.
First topic: his personal life.
The second topic: his scientific career.
Chapter II: book study.
First topic: documenting the book with its subject and importance.
The second topic: his sources in the book.
Section III: scholars ofinions a bout this book and the compaing with the other books concerned to this subject.
Section IV: information about the copies of the book.
Conclusion of the study: the highlights of the results of the study.
Section II: explaination the book.
the most important results findings and recommendations:
1.Characterize the era of Shaykh al-Islam calamities on the nation and the greed of the enemies, and the mixing of Arabs Balagam and sensitive to different cultures.
2. The impact of the family in the emergence of personal and visible emotion Shaykh al-Islam family famous science and religion.
3. The impact of forensic religious education and understand Islam at the hands of scholars in the protection of individu .
4. Patience and trust in allah - the Almighty - what more appoints the scholar in the face of the scourge .
5. the importance of schoiars about the differences.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

قال الله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ آل عمران وقَالَ تعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ النساء وقَالَ تعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ الأحزاب.

أما بعد :

فقد منَّ الله سبحانه على عباده المؤمنين أن هداهم لهذا الدين وجعله كاملاً وأتم لهم بذلك النعمة ورضي لهم الإسلام ديناً قَالَ تعَالَىٰ:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ المائدة: ٣ .

ووعد الله تعالى بإظهار دينه مهما بلغ كيد المغرضين كما قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨ ﴾ الصف: ٨ .

ولقد اصطفى سبحانه من عباده المخلصين من وهب نفسه لخدمة هذا الدين ودفع الشبه عنه، وذلك بالرجوع لكتاب الله وسنة الرسول ﷺ وفهم السلف الصالح ، ومن هؤلاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الذي شهدت له الأمة بفضله وسعة علمه وجهاده في الذب عن حياض الإسلام، خاصة فيما يتعلق بصفات الباري سبحانه، لذا فإن فمن خير ما يشتغل به طالب العلم إحياء تراثه والإفادة من هذا العلم الجم .

لهذا جاءت رغبتي في اختيار مؤلف لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعنوان : الرسالة الكيلانية ، والتي بين فيها منهج السلف في كلام الله عز وجل وعقيدتهم في القرآن الكريم ورد الشبه في مسألة القول بخلق القرآن وبيان ذلك بالدليل والتعليل ونقل أقوال الأئمة لبيان الحق والنصيحة للمخالفين.

وقد تضمنت هذه الرسالة عدة مسائل منها :

- الفرق بين كلام الله وكلام الناس .
- عقيدة أهل السنة في كلام الله وموقف المخالفين .
- من البدعة أن يقال : " لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق ".
- أول من أظهر في الإسلام إنكار صفات الله وبمن تأثروا .
- تكفير الإمام أحمد وعامة أهل السنة للجهمية دون غيرهم .
- موقف اللفظية النافية من القرآن .
- فضل الإمام أحمد ومكانة أهل الحديث .
- أصل الخلاف يعود إلى:تكلم الله بالقرآن وسائر كلامه ، وتكلم العباد بكلام الله.
- واجب ولي الأمر تجاه المخالفين وحكم تكفيرهم .
- مسألة الأسماء والأحكام والوعد والوعيد .

أسباب اختياري لهذا الموضوع ما يأتي :

١. أهمية هذا الموضوع ومكانته فشرف العلم بشرف المعلوم حيث كان موضوعها العقيدة في كلام الله تعالى والقرآن الكريم، والبحث المطول لرد شبهات المخالفين ومناقشتهم ونقل الأدلة وأقوال الأئمة .

وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام في هذه الرسالة بقوله: و" مسألة اللفظ بالقرآن " قد اضطرب فيها أقوام لهم علم وفضل ودين وعقل، وجرت بسببها مخاصمات ومهاجرات

بين أهل الحديث والسنة حتى قال ابن قتيبة كلاماً معناه لم يختلف أهل الحديث في شيء من مذاهبهم إلا في " مسألة اللفظ ". وبين[1] سبب ذلك لما وقع فيها من الغموض والنزاع بينهم في كثير من المواضع لفظي، ولم يكن بين الناس نزاع في أن كلام العباد الذي لم ينزله الله تعالى أنه محدث مخلوق وإن كان الكلام في "حروف الهجاء" وفي "أسماء المحدثات" فيه نزاع هو الذي أوقع هؤلاء الجهال في ما ارتكبوه من المحال كما سننبه عليه إن شاء الله تعالى[2].

٢. الرغبة في إخراج هذه الرسالة في كتاب مستقل محقق تحقيقاً علمياً وفق أسس البحث العلمي؛ لتصبح في متناول طلاب العلم.

٣. الرغبة في إثراء المكتبة الإسلامية بخدمة كتب السلف وإبرازها .

٤. الحاجة إلى إخراج هذه الرسالة كما أراد المؤلف وتحقيقها تحقيقاً علمياً وبيان المصطلحات الواردة وترجمة الأعلام وعزو النصوص ؛ خاصة وأنها اشتملت على مسائل مهمة كما سبق.

خطة البحث :

وتشتمل على مقدمة وقسمين رئيسين وخاتمة .

المقدمة :

وتشمل أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج التحقيق .

---

(١) في (ط) أن.

(٢) انظر: ص (٦٧) من هذا الكتاب.

القسم الأول : الدراسة وتشمل فصول ومباحث :

الفصل الأول : حياة المؤلف وعصره .

المبحث الأول : حياته الشخصية.

المبحث الثاني : حياته العلمية.

الفصل الثاني : دراسة الكتاب .

المبحث الأول :توثيق الكتاب وموضوعه وأهميته.

المبحث الثاني : مصادره في الكتاب .

المبحث الثالث : أقوال العلماء فيه ومقارنته بالكتب المؤلفة في بابه.

المبحث الرابع : التعريف بنسخ الكتاب.

خاتمة الدراسة : وفيها أبرز نتائج الدراسة.

القسم الثاني : تحقيق الكتاب .

منهجي في التحقيق :

١. نسخ الكتاب وفق القواعد الإملائية الحديثة .

٢. المقابلة بين النسخ الخطية للكتاب .

٣. أشير في الهامش إلى الفروق إلا إذا كان مافي النسخة الأصل خطأ فإني أثبت الصواب وأشير له في الهامش .

٤. علامات السقط من النسخ الأخرى وعلامات حصر النصوص :

- إذا كان السقط من النسخة الظاهرية (ظ) فأجعله بين معكوفين وأشير له في الحاشية .
- أما الآيات القرآنية فأجعلها بين قوسين مزهرين ﴿ . ﴾ .
- والأحاديث النبوية والآثار والأقوال أجعلها بين حاصرتين هكذا (( )).

- الكلمات المصححة في هامش النسخة الظاهرية (ظ) لا أشير لها بل اعتمدها وأجعلها أصلا .

٥. لا أشير إلى الفروق غير المهمة مثل :

- ﷺ و "عليه الصلاة والسلام " .
- "الله عز وجل" و "سبحانه وتعالى" .
- اختلاف الأحرف مثل " قال الله" و" فقال الله ".
- تكملة الآية القرآنية أو تصحيحها .

٦. وضع بعض العناوين المناسبة لموضوع الفصل ولموضوع بعض المسائل على جانب الكتاب تسهيلا للقاريء.

٧. وضع خط مائل / عند نهاية كل ورقة من المخطوط مع الإشارة إلى رقمها في جوانب الكتاب.

٨. عزو الآيات القرآنية إلى أماكنها في المصحف بذكر اسم السورة ورقم الآية .

٩. تخريج الأحاديث النبوية والآثار الواردة في الرسالة من مصادرها في كتب السنة وذلك عند أول ذكر لها وقد أرجيء التخريج في موطن آخر للحاجة ، مع ذكر اسم المصدر ورقم الجزء والصفحة الموجود فيها الحديث أو الأثر .

كما قمت بنقل حكم العلماء على الأحاديث إلا إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بالعزو فقط .

١٠. شرح الألفاظ والكلمات اللغوية الغريبة والمصطلحات العلمية وذلك بالرجوع إلى القواميس والمعاجم اللغوية ، وكتب الغريب وكتب المصطلحات العلمية .

١١. توثيق النصوص التي نقلها المؤلف من مصادرها الأصلية .

١٢. التعليق على بعض المسائل عند الحاجة في الهامش .

١٣. الترجمة للأعلام الوراد ذكرهم في القسم المحقق عدا المشهورين منهم .

١٤. أعدت الترقيم منفردة عن المجموع لكل صفحة ورقة تبدأ بالرقم ١-١٠٨ لأن المخطوط ضمن مجموع يبدأ بالرقم ٦٦ – ١٢٠ ولكل زوج من الأوراق رقم واحد .

١٥. التعريف الموجز بالأماكن والبلدان عدا المشورة منها .

١٦. التعريف الموجز بالفرق والطوائف الوارد ذكرهم في القسم المحقق عند أول ذكر لها.

١٧. عزو الأبيات الشعرية إلى مظانها .

١٨. التعريف بالكتب الواردة .

وأخيرا...

فإني بذلت وسعي وجهدي في إخراج هذا الكتاب في صورة أزعم أنها كما أراد مؤلفه مع علمي بأني لم أوف هذه الرسالة حقها لأن العمل البشري مهما بلغ فهو قاصر ولا يخلو من أخطاء .

وإني أحمد الله تعالى وأشكره على ما من به علي من إنجاز هذا العمل ويسر لي الالتحاق بقسم العقيدة الذي افدت من علومه وطلبت العلم على عدد من مشائخ القسم الذين كان لهم دور كبير في نقل حصيلتهم العلمية وخبراتهم الثقافية لأبنائهم الطلاب ،أسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء، كما أسأله سبحانه أن ينفعني بما علمني وأن يرزقني عملا صالحاً خالصاً لوجهه الكريم.

وأخص بالشكر من كان لها الوقفة الحانية والدعوة بالتوفيق والسداد، الوالدة الغالية متعها الله بالصحة والعافية ووفقني لبرها. وكذلك أخي محمد الذي كان له بالغ الأثر في الحث على الاستزادة من العلم وبقية إخوتي وكل من مد لي يد العون ، وكذلك زوجتي وأبنائي الذين تحملوا انشغالي عنهم بالدراسة والبحث .

وأخص كذلك بالشكر الجزيل، وعظيم التقدير فضيلة الشيخ الاستاذ الدكتور / سالم بن محمد القرني -رئيس قسم العقيدة- الذي تفضل مشكورا بالإشراف على هذه الرسالة ، وكان لي شرف التتلمذ على يديه ، فلقد حظيت منه بعناية خاصة

في تذليل صعاب البحث وفتح مغاليقه ، واستفدت من توجيهاته وتصويباته ،وقد فرَّغ لي من وقته رغم كثرة مسؤولياته ،وقد أفدت من علمه وفكره فأسأل الله أن يجزيه خيرا الجزاء وأن يبارك له في وقته وعلمه وعمله ، وأن يحسن له العاقبة في أمره كله وأن يسكنه فسيح جناته .

كما أشكر الجنة العلمية لمناقشة الرسالة كل من الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد الحميدي والدكتور/ سعود بن سعد العتيبي.

الذَين شرفت باطلاعهم على رسالتي وتفضلهم بقبول مناقشتي، وأسعد بسماع توجيهاتهم وملاحظاتهم، فلهم مني الشكر وجزاهم الله خير الجزاء ، أسأل الله العظيم أن كما جمعنا هنا أن يجمعنا في دار كرامته إنه جواد كريم والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الأول : حياة المؤلف وعصره .

المبحث الأول : حياته الشخصية وعصره.

المبحث الثاني : حياته العلمية.

المبحث الأول

حياته الشخصية وعصره

المطلب الأول : عصر شيخ الإسلام :

١. الناحية السياسية:

لقد كانت حياته -رحمه الله- ما بين عام ٦٦١ هـ. إلى ٧٢٨ هـ. تميزت بعدة أحداث:

- الحروب الصليبية:

ويقصد بها ما قام به نصارى أوربا من حملات صليبية عدواناً على المسلمين والتي بدأت سنة ٤٩٠هـ[١] قال ابن الأثير:"وأشرفت مصر والشام وغيرها على أن يملكوها لولا لطف الله تعالى ونصره عليهم"[٢]. استولوا فيها على أنطاكية والقدس وعدة مناطق في الشام وقد واجههم المسلمون في معارك منها معركة عكا[٣] سنة ٦٩٠ هـ. والتي شارك فيها ابن تيمية –رحمه الله- وعدد من العلماء والفقهاء.

وقد أشار ابن تيمية إلى أسباب الحروب الصليبية بقوله :فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول سلطت عليهم الأعداء فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرة بعد مرة وأخذوا الثغور الشامية شيئاً بعد شيء إلى أن أخذوا القدس ... ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام وقهر الملحدين والمبتدعين نصرهم الله على الكفار[٤].

- غزو التتار للعالم الإسلامي وسقوط الخلافة :

لقد اجتاح التتار بلاد المسلمين وأهلكوا الحرث والنسل ونهبوا خيرات البلاد ودب الذل في الناس حتى ظنوا أنهم العدو الذي لا يقهر، يقول ابن الأثير: "وقد بلي الإسلام

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ (١٣/٩).

(٢) انظر: الكامل في التاريخ (٤٠١/١٠).

(٣) عكا: مدينة حصينة على ساحل بحر الشام من أعمال الأردن انظر: معجم البلدان (١٤٣/٤).

(٤) انظر: مجموعة الرسائل الكبرى (١٣٤/١).

والمسلمون في هذه المدة بمصائب لم يبتل بها أحد من الأمم منها ظهور التتار قبحهم الله أقبلوا على المشرق ففعلوا الأفعال التي يستعظمها كل من سمع بها" [١].

قضى التتار على الخلافة العباسية وسقطت بغداد سنة (٦٥٦ هـ.)[٢] ثم ساروا إلى الشام واستولوا على عدة مناطق سنة (٦٥٨ هـ.) رغم ذلك إلا أن الله أيقظ الأمة وجمع كلمتهم للقاء التتار عبر علمائها المخلصين ودعاتها الناصحين موقنين إن الله ناصر عباده ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٢٦ فكانت عدة مواجهات للتتار منها: معركة عين جالوت[٣] سنة (٦٥٨هـ.) بقيادة المظفر بيبرس انتصر فيها المسلمون وكذلك معركة شقحب سنة (٧٠٢هـ.) التي كان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله دور كبير في مخاطبة ملوك التتار والسفر إلى السلطان في مصر ودعوته لنصرة إخوانه، وتثبيت الناس وحضهم على الجهاد وشارك فيه بنفسه[٤]، يقول البزار: "وكان يجول في العدو كأعظم الشجعان ويقوم كأثبت الفرسان،ويخوض فيهم خوض رجل لا يخاف الموت"[٥] ، ولقد نصرهم الله ودفع عنهم كيد التتار .

تلك هي الحقبة التي عاشها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ساهم فيها بعلمه وعمله وجهاده لنصرة الإسلام والمسلمين.

٢. الناحية الاجتماعية:

لا شك أن لتلك الأحداث السياسية أثراً في اختلاط الثقافات وتأثر الديانات والعادات واضطراب المجتمع ، لقد أدت تلك الحروب والغزوات على العالم الإسلامي إلى إشاعة الخوف وانتشار الرعب بين الناس، مما أدى إلى نقص الأموال والثمرات بسبب أعمال التخريب واشتغال الناس بالحروب عن كسب أرزاقهم مما أدى إلى سوء الحالة الاقتصادية

---

(١) انظر: الكامل في التاريخ (١٠/٤٠٠).

(٢) انظر البداية والنهاية (١٧/٣٥٦).

(٣) انظر البداية والنهاية (١٧/٣٩٩).

(٤) انظر: البداية والنهاية احداث سنة ٧٠٢هـ (١٨/٢٢).

(٥) انظر الأعلام العلية للبزار (ص٦٣).

وانتشار الفاقة وكثرة اللصوص وقطاع الطريق وعمد الناس إلى التطفيف ورفع الأسعار والاحتكار والغش مما حدى بابن تيمية رحمه الله – إلى تأليف كتابه الحسبة في الإسلام[(١)] فيما يجب على الولاة والمحتسبين بالنظر في مصالح الناس [(٢)].

ومما كان له بالغ الأثر في حياة الناس اختلاطهم بالترك والتتار وغيرهم مما غير سلوك الناس وانتقل إلى عادات وديانات واعتقادات مختلفة بل انتشرت الخمارات والحانات يقول ابن كثير : ففي سنة ٦٩٩ هـ. دار الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله وأصحابه على الخمارات والحانات فكسروا أنية الخمور وشققوا الظروف وأراقوا الخمور وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش ففرح الناس بذلك[(٣)].

٣. الناحية العلمية:

لم يكن من المتوقع أن يكون هناك نشاط في ا لحركة العلمية نظرا لما أصاب الأمة من ابتلاءات وتحولات في الناحية السياسية ومخالطة للأعاجم واختلاف الثقافات .

فقل الإنتاج العلمي وركدت الأذهان وأقفل باب الاجتهاد فحرم الأخذ في الأصول بغير مذهب الأشعري وفي الفروع بغير مذهب الأئمة الأربعة وأصبح قصارى جهد العالم أن يفهم ما قيل من غير بحث ولا مناقشة وعمد العلماء إلى جمع المعلومات المتعلقة بكل فن فنظموها في سلك واحد وألفوا فيها كتبا مطولة ومختصر وسلكوا منهاجا حسنا في التأليف ولكن دون ابتكار أو تجديد.[(٤)]

ولكن مع ذلك نهض في أوساط هذا القرن أئمة كبار كالعلامة تقي الدين أبي عمرو بن الصلاح (ت٦٤٣ هـ.) وسلطان العلماء عز الدين ابن عبد السلام (ت٦٦٠ هـ.)والإمام محيي الدين النووي (ت٦٧٦ هـ.) وظهر في أواخر هذا القرن علماء كبار مثل المحدث الكبير شيخ الإسلام تقي الدين ابن دقيق العيد (ت٧٠٢ هـ.) وقد كان

---

(١) الحسبة في الإسلام أو دور الحكومة الإسلامية (ن)الكتب العلمية – بيروت.

(٢) انظر : البداية والنهاية (٧٢٠/١٧) ابن تيمية السلفي / للهراس (ص١٤).

(٣) انظر : البداية والنهاية (٧٢٨/١٧).

(٤) انظر : ابن تيمية السفي للهراس ص ١٧.

من معاصري شيخ الإسلام ابن تيمية كبار المحدثين والمؤرخين كالعلامة جمال الدين أبي الحجاج المزي (ت٧٤٢هـ) والحافظ علم الدين البرزالي (ت٧٣٩ هـ) والعلامة شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ) فهم الذين كانوا يعدون الأركان الأربعة للحديث والرواية في عصرهم والذين يعتمد على كتبهم المتأخرون من العلماء. ولقد انتشر العلم ووجدت في مصر والشام مدارس كثيرة ودور حديث مثل التي أسسها الأيوبيون والمماليك وكان يؤمها الطلاب من أنحاء العالم لتلقي العلوم الدينية.[1]

المطلب الثاني: حياته الشخصية:

لاشك أن شخصية شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– لقيت عناية واسعة في ترجمته ولم تخلوا رسالة علمية تتعلق بشيخ الإسلام ومؤلفاته إلا في مطلعها الحديث عن سيرته واطلعت على بعضها لذا آثرت الاختصار في ترجمته وحاولت أن أضيف جوانب لم تذكر خاصة الجوانب التعبدية للاقتداء بهذه الشخصية الفذة .

اسمه ونسبه :

هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني نزيل دمشق وصاحب التصانيف التي لم يسبق إلى مثلها [2].

وقد اشتهر رحمه الله بابن تيمية قيل: إن جده حج على درب تيماء، فرأى هناك طفلة فلما رجع، وجد امرأته قد ولدت له بنتاً، فقال: يا تيمية ! يا تيمية ! فلقب بذلك.

وأما ابن النجار فقال: ذكر لنا أن جده محمدا كانت أمة تسمى تيمية، وكانت واعظة[3].

---

(١) رجال الفكر والدعوة للندوي (٤٢/٢)

(٢) انظر ترجمته في : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام لابن عبد الهادي (ص٣) والبزار في كتابه الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق:د.صلاح الدين المنجد (ص٢١) وشيوخ الذهبي (٥٦/١) وشذرات الذهب (١٤٢/٨) والأعلام (١٤٤/١) وقد ترجم له الكثر من العلماء يصعب حصر من ترجم له .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (٢٨٩/٢٢).

مولده ونشأته :

ولد شيخ الإسلام أبو العباس بحران[١] يوم الإثنين العاشر وقيل الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ. وبقي بها إلى أن بلغ سبع سنين ثم سافر والداه به وبإخوته إلى الشام عند ظهور التتار فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة[٢] لعدم الدواب فكاد العدو يلحقهم ووقفت العجلة فابتهلوا إلى الله واستغاثوا به فنجوا وسلموا [٣].

نشأ رحمه الله في دمشق وأخذ عن مشايخها فحفظ القرآن واعتنى بالحديث وقرأ ونسخ وتعلم الخط والحساب وأقبل على الفقه وقرأ العربية حتى فهم النحو وأقبل على التفسير إقبالا كليا حتى حاز فيه قصب السبق وأحكم أصول الفقه.

هذا كله وهو ابن بضع عشرة سنة فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته [٤].

ورعه وزهده:

إن المتأمل لسيرة شيخ الإسلام –رحمه الله– يجد أنه كان غاية في الورع لأن الله أجراه مدة عمره عليه ،فلم يخالط الناس في بيع ولا شراء ولا معاملة ولا تجارة ولا مشاركة ولا زراعة ولم يكن يقبل من أحد جراية ولا صلة لنفسه لا من أمير ولا سلطان ولا تاجر وإنما كانت بضاعته مدة حياته وميراثه بعد وفاته العلم اقتداءاً بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم [٥].

---

(١) حران: بلدة بين دجلة والفرات كانت منازل الصابئة وهم الحرانيون الذين يذكرهم أصحاب الملل والنحل انظر: (معجم البلدان ٢/٢٣٥).

(٢) العجلة : هي قرص أو طوق قابل للدوران. انظر: المعجم الوسيط (٢/٥٨٦).

(٣) انظر: العقود الدرية (ص٤) والكواب الدرية (ص٥٢).

(٤) العقود الدرية (ص ٦).

(٥) انظر: الأعلام العلية (ص٤١) والكواكب الدرية لمرعي الكرمي (٨٤).

وأما زهده في الدنيا ومتاعها فإن الله جعل ذلك له شعارا من صغره فقد ذكر البزار أنه: دفع له أربعين درهما في الشهر لكي يزداد حرصه على الاشتغال بحفظ القران ودرسه فامتنع من قبولها وقال: ياسيدي إني عاهدت الله تعالى أن لا آخذ على القران أجرا .ولم يأخذها . فرأيت أن هذا لا يقع من صبي إلا لما لله فيه من العناية. ولقد اتفق كل من رآه خصوصا من أطال ملازمته أنه ما رأى مثله في زهده في الدنيا حتى لقد صار ذلك مشهورا ، بل لو سئل عامي من أهل البلد بعيد من الشيخ : من كان أزهد أهل هذا العصر وأكملهم في رفض فضول الدنيا وأحرصهم على طلب الآخرة لقال : ما سمعت بمثل ابن تيمية وما اشتهر له ذلك إلا لمبالغته فيه مع تصحيح النية [(١)].

إيثاره وتواضعه :

كان رحمه الله مع شدة تركه للدنيا ورفضه وفقره فيها وتقلله منها، مؤثرا بما عساه يجده منها قليلا كان أو كثيرا فقد كان يتصدق حتى إذا لم يجد شيئا نزع بعض ثيابه فيصل به الفقير وكان يستفضل من قوته القليل الرغيف والرغيفين فيؤثر بذلك على نفسه وربما خبأهما في كمه ويدفعهم إلى فقير وكان يحرص أن لا يراه أحد وكان إذا ورد عليه فقير وآثر المقام عنده يؤثره عند الأكل بالأكثر من قوته .[(٢)]

وأما تواضعه فيقول تلميذه البزار:" فما رأيت ولا سمعت بأحد من أهل عصره مثله في ذلك كان يتواضع للكبير والصغير والجليل والحقير والغنى الصالح والفقير وكان يدني الفقير الصالح ويكرمه ويؤنسه ويباسطه بحديثه المستحلى زيادة على مثله من الاغنياء، حتى أنه ربما خدمه بنفسه وأعانه بحمل حاجته جبرا لقلبه وتقربا بذلك الى ربه. وكان لا يسأم ممن يستفتيه أو يسأله بل يقبل عليه ببشاشة وجه ولين عريكة ويقف معه حتى يكون هو الذي يفارقه ،ولا يحرجه ولا ينفره بكلام يوحشه بل يجيبه ويفهمه ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط. وكان يجلس تحت الكرسي ويدع صدر المجالس حتى إني

---

(١) انظر: الأعلام العلية (ص٤٤-٤٥) والكواكب الدرية (٨٤).

(٢) انظر: الأعلام العلية (ص٤٧).

لأستحي من مجلسه هناك وأعجب من شدة تواضعه ومبالغته في إكرامي بما لا استحق ورفعي عليه في المجلس ولولا قراءتي حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم - وعظم حرمتها لما كان ينبغي لي ذلك. وكان هذا حاله في التواضع والتنازل والإكرام لكل من يرد عليه او يصحبه أو يلقاه حتى أن كل من لقيه يحكي عنه من المبالغة في التواضع نحواً مما حكيته وأكثر من ذلك فسبحان من وفقه وأعطاه وأجراه على خلال الخير وأمضاه"[(١)].

عبادته:

أما تعبده رضي الله عنه فإنه قل أن سمع بمثله لأنه كان قد قطع جل وقته وزمانه فيه حتى انه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله تعالى ما يراد له لا من اهل ولا من مال، وكان في ليله متفردا عن الناس كلهم خاليا بربه عز و جل ضارعا مواظبا على تلاوة القرآن العظيم مكررا لأنواع التعبدات الليلية والنهارية[(٢)].

وكان غالب دعائه:" اللهم انصرنا ولا تنصر علينا وامكر لنا ولا تمكر علينا واهدنا ويسر الهدى لنا اللهم اجعلنا لك شاكرين لك ذاكرين لك أواهين لك مخبتين اليك راغبين اليك راهبين لك مطاوعين ربنا تقبل توباتنا واغسل حوباتنا وثبت حججنا واهد قلوبنا اسلل سخيمة صدورنا"[(٣)] .وكان قد عرفت عادته لا يكلمه احد بغير ضرورة بعد صلاة الفجر فلا يزال في الذكر يسمع نفسه وربما يسمع ذكره من الى جانبه مع كونه في خلال ذلك يكثر من تقليب بصره نحو السماء هكذا دأبه حتى ترتفع الشمس ويزول وقت النهي عن الصلاة[(٤)].

---

(١) انظر: الأعلام العلية (ص٤٨-٥٠) والكواكب الدرية (٨٨).

(٢) انظر: الأعلام العلية (ص٣٧) والكواكب الدرية (٨٣).

(٣) ورد هذا الدعاء بصيغة المفرد عن النبي صلى الله عليه وسلم انظر: صحيح ابن حبان (٣/٢٢٩) وقال المحقق صحيح.

(٤) انظر: الأعلام العلية (ص٣٨).

واذا رأى منكرا في طريقه أزاله أو سمع بجنازة سارع الى الصلاة عليها أو تأسف على فواتها وربما ذهب إلى قبر صاحبها بعد فراغه من سماع الحديث فصلى عليه ثم يعود إلى مسجده فلا يزال تارة في إفتاء الناس وتارة في قضاء حوائجهم حتى يصلي الظهر مع الجماعة ثم كذلك بقية يومه[١].

يقول البزار: ثم يصلي المغرب ثم يتطوع بما يسره الله ثم أقرأ عليه من مؤلفاته أو غيري فيفيدنا بالطرائف ويمدنا باللطائف حتى يصلي العشاء ثم بعدها كما كنا وكان من الإقبال على العلوم إلى أن يذهب هوى من الليل طويل وهو في خلال ذلك كله في النهار والليل لا يزال يذكر الله تعالى ويوحده ويستغفره، وكان -رضي الله عنه- كثيرا ما يرفع طرفه إلى السماء لا يكاد يفتر من ذلك كأنه يرى شيئا يثبته بنظره[٢].

ابتلائه وصبره:

كما هي سنة الله في أولياءه وعباده أن يبتليهم ليمحص ما في قلوبهم ويعلي ذكرهم في الدنيا والآخرة فعن مصعب بن سعد : عن أبيه قال : يا رسول الله من أشد الناس بلاء ؟ قال :" الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يدعه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة "[٣].لذا فقد تعرض -رحمه الله- للسجن والمنع من الفتوى وتأليب الحاكم عليه حسدا وضغينة من ضعاف النفوس وقد سجن سبع مرات أربع في مصر وثلاث في دمشق حتى لقي ربه وهو في سجن القلعة بدمشق.وقد كان يتمثل قولته المشهورة كما نقلها ابن القيم رحمه الله :(ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري إن رحت فهي معي لا تفارقني إن حبسي خلوة وقتلي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة وكان يقول في محبسه في القلعة : لو بذلت ملء هذه القاعة ذهبا ما عدل عندي شكر هذه النعمة أو قال ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير

(١) انظر: الأعلام العلية (ص٣٩) والكواكب الدرية (٨٣).

(٢) انظر: الأعلام العلية (ص٣٩-٤٠) والكواكب الدرية (٨٣).

(٣) ذكره البخاري في صحيحه باب أشد الناس بلاءا الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل(٢٤/٤) وأخرجه ابن حبان في صحيحه باب ما جاء في الصبر وثواب الأمراض (١٦٠/٧)وقال شعيب: حديث حسن.

ونحو هذا وكان يقول في سجوده وهو محبوس:" اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"[١]، ما شاء الله. وقال لي مرة : "المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى والمأسور من أسره هواه ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال : ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ﴾[الحديد: ١٣)[٢].

ومن أمثلة ذلك :

- سجنه سنة ٦٩٣ هـ. بسبب وقعة عساف النصراني عندما شهد عليه جماعة أنه سب النبي صلى الله عليه وسلم فاستدعاه نائب السلطنة ثم أفرج عنه وألف الصارم المسلول على ساب الرسول صلى الله عليه وسلم.[٣]
- سنة ٧٠٤ هـ. حبس بسبب قطع صخرة بنهر قلوط تزار وينذر لها وكذلك كلامه في ابن عربي فحسد وعودي لذلك .[٤]
- سنة ٧٢٠ هـ. حبس بسبب فتيا الحلف بالطلاق ثم أفرج عنه [٥].
- سنة ٧٢٦ هـ. حبس بسبب الفتيا في مسألة شد الرحال الزيارة لقبور الأولياء والأنبياء وألف في ذلك رسالة في الرد على ابن الإخنائي[٦].

عناصر القوة في شخصته:

يمكن أن نختصر عناصر قوة شخصية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيما يلي:

١. نشأته في بيت علم وصلاح فأبوه من العلماء وكذلك جده وأخواه شرف الدين عبد الله وزين الدين عبد الرحمن.
٢. قوة البدن وجهورية الصوت التي رزق بها التي تستهوي مسامع الناس .

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٢٩/٣٦) وأبو داود (١٢٢/٢).
(٢) الوابل الصيب (ص٨١)
(٣) انظر: البداية والنهاية (٦٦٥/١٤).
(٤) انظر: البداية والنهاية (٤٦/١٨).
(٥) انظر: البداية والنهاية (٢٠٦/١٨).
(٦) انظر: العقود الدرية (ص٢٥٩).

٣. قوة الحفظ والذكاء وسرعة البديهة .
٤. قوة ضبط النفس عن ملاذ الدنيا ورفض المناصب .
٥. جهاده وصبره وتحمله رغم ما أصابه من اتهام وسجن، وقوة توكله على الله .
٦. قوته مع الولاة وقول الحق أمامهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.
٧. عفوه عمن ظلمه وترك الانتقام منه أو الدعاء عليه
٨. قوته في الاطلاع والتأليف في سن مبكرة وسنرى ذلك في حياته العلمية.
٩. اعتماده على الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة .
١٠. إعماله لكافة الأدلة ومهارته في الاستدلال بها .

وفاته:

قال البزار رحمه الله: إن الشيخ –رضي الله عنه– بقي الى ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة الحرام –بسجن القلعة بدمشق وقد بقي بها سنتين وثلاثة أشهر– وتوفي إلى رحمة الله –تعالى– ورضوانه في بكرة ذلك اليوم وذلك من سنة ثمان وعشرين وسبع مئة وهو على حاله مجاهدا في ذات الله تعالى صابرا محتسبا لم يجبن ولم يهلع ولم يضعف ولم يتتعتع بل كان –رضي الله عنه– الى حين وفاته مشتغلا بالله عن جميع ما سواه قالوا: فما هو إلا أن سمع الناس بموته فلم يبق في دمشق من يستطيع المجئ للصلاة عليه إلا حضر لذلك وتفرغ له حتى غلقت الاسواق بدمشق وعطلت معايشها حينئذ وحصل للناس بمصابه أمر شغلهم عن غالب أمورهم ، وخرج الأمراء والرؤساء والعلماء والفقهاء والاتراك والاجناد والرجال والنساء والصبيان[١] .

(١) انظر: الأعلام العلية (ص٧٢) والعقود الدرية (ص٢٨٤).

المبحث الثاني : حياته العلمية

أسرته :

لقد ولد شيخ الإسلام ابن تيمية في أسرة اشتهرت بالعلم فمنهم :

١. جده مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن علي الحراني، ابن تيمية (ت ٦٥٢ هـ.) قال الشيخ تقي الدين: كان جدنا عجبا في سرد المتون وحفظ مذاهب الناس وإيرادها بلا كلفة[١].

قال الذهبي :وكان اماما كاملا معدوم النظير في زمانه رأسا في الفقه وأصوله بارعا في الحديث ومعانيه وله اليد الطولى في معرفة القراءات والتفسير، وقال لي شيخنا أبو العباس كان الشيخ جمال الدين بن مالك يقول ألين للشيخ المجد الفقه كما ألين لداود الحديد[٢].

٢. وأبوه عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن الخضر بن تيمية (ت٦٨٢ هـ.) قرأ العلم على والده، وتفنن في الفضائل.

قال الذهبي: "قرأ المذهب حتى أتقنه على والده، ودرس وأفتى وصنف، وصار شيخ البلد بعد أبيه، وخطيبه وحاكمه، وكان إماماً محققاً لما ينقله، كثير الفوائد، جيد المشاركة في العلوم، له يد طولى في الفرائض، والحساب والهيئة، وكان ديناً متواضعاً، حسن الأخلاق جواداً، من حسنات العصر، تفقه عليه ولداه: أبو العباس، وأبو محمد، وحدثنا عنه على المنبر ولده، وكان قدومه إلى دمشق بأهله وأقاربه مهاجراً سنة ٦٦٧ هـ..

قال: وكان الشيخ شهاب الدين من أنجم الهدى. وإنما اختفى بين نور القمر وضوء الشمس، يشير إلى أبيه وابنه، فإن فضائله وعلومه انغمرت بين فضائلهما وعلومهما.

وقال البرزالي: كان من أعيان الحنابلة، عنده فضائل وفنون"[٣].

٣. وأخوه شرف الدين عبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الّله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد ابن تيمية (ت٧٢٧ هـ.) ذكره الذهبي في " المعجم

(١) انظر : سير أعلام النبلاء (٢٩٢/٢٣).

(٢) انظر: معرفة القراء (٦٥٥/٢).

(٣) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (١٨٦/٤).

المختصر " فقال: "كان بصيراً بكثير من علل الحديث ورجاله، فصيح العبارة، عالماً بالعربية، نقالاً للفقه، كثير المطالعة لفنون العلم، حلو المذاكرة، مع الدين والتقوى، وإيثار الانقطاع، وترك التكلف والقناعة باليسير، والنصح للمسلمين رضي الله عنه"[(١)].

وذكره أيضاً في معجم شيوخه، فقال: كان إماماً بارعاً، فقيهاً عارفاً بالمذهب وأصوله، وأصول الديانات، عارفاً بدقائق العربية، وبالفرائض والحساب والهيئة المحفوظ، له مشاركة جيدة في الحديث، ومشاهير الأئمة والحوادث، ويعرف قطعة كثيرة من السيرة. وكان متقناً للمناظرة وقواعدها. والخلاف. وكان حلو المحاضرة متواضعاً، كثير العبادة والخير، ذا حظ من صدق وإخلاص وتوجه وعرفان، وانقطاع بالكلية عن الناس، قانعاً بيسير اللباس[(٢)].

وممن اشتهر بالعلم والفضل :

- أخوه زين الدين عبد الرحمن بن عبد الحليم (ت٧٤٧ هـ.)
- وأخوه لأمه بدر الدين أبو القاسم بن محمد بن خالد بن إبراهيم (ت٧١٧ هـ).
- وعمته ست الدار بنت عبد السلام بن تيمية (ت ٦٨٦ هـ.)[(٣)].

هذه الأسرة المشهروة بالعلم كان لها الأثر في شخصية شيخ الإسلام العلمية .

غزارة علمه :

إن مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية خير شاهد على غزارة علمه –رحمه الله– وسعة اطلاعه ومن طالع شيئا منها يجد ذلك جلياً وقد كان –رحمه الله– كثير الشواهد من القران الكريم يدل على اتقانه له قال البزار :(وأما غزارة علومه فمنها ذكر معرفته بعلوم القرآن المجيد واستنباطه لدقائقه ونقله لأقوال العلماء في تفسيره واستشهاده بدلائله وما أودعه

---

(١) المعجم المختصر للذهبي (ص ٢٦).

(٢) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٤/٤٨٢).

(٣) انظر:الجامع لسيرة شيخ الإسلام (ص ٤٣٥).

الله تعالى فيه من عجائبه وفنون حكمه وغرائب نوادره وباهر فصاحته وظاهر ملاحته فإنه فيه من الغاية التي ينتهى اليها والنهاية التي يعول عليها)[١]،وقال الذهبي :(كان آية في الذكاء وسرعة الإدراك رأسا في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف بحرا في النقليات هو في زمانه فريد عصره علما وزهدا وشجاعة وسخاء وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وكثرة تصانيف)[٢] ،وكثير الشواهد من كتب السنة دليل على استيعابه لها .

قال البزار :(ولم يزل منذ إبان صغره مستغرق الأوقات في الجهد والاجتهاد وختم القران صغيرا ثم اشتغل بحفظ الحديث والفقه والعربية حتى برع في ذلك مع ملازمة مجالس الذكر وسماع الأحاديث والآثار ولقد سمع غير كتاب على غير شيخ من ذوي الروايات الصحيحة العالية أما دواوين الإسلام الكبار كمسند أحمد وصحيح البخاري ومسلم وجامع الترمذي وسنن أبي داوود السجستاني والنسائي وابن ماجة والدارقطني فإنه رحمه الله ورضي عنهم وعنه فإنه سمع كل واحد منها عدة مرات وأول كتاب حفظه في الحديث الجمع بين الصحيحين للإمام الحميدي وقل كتاب من فنون العلم إلا وقف عليه وكان الله قد خصه بسرعة الحفظ وإبطاء النسيان لم يكن يقف على شيء أو يستمع لشيء غالبا الا ويبقى على خاطره أما بلفظه أو معناه وكان العلم كأنه قد اختلط بلحمه ودمه وسائره فإنه لم يكن له مستعارا بل كان له شعارا ودثارا لم يزل آباؤه أهل الدراية التامة والنقد والقدم الراسخة في الفضل لكن جمع الله له ما خرق بمثله العادة ووفقه في جميع أمره لإعلام السعادة وجعل مآثره لإمامته من أكبر شهادة حتى اتفق كل ذي عقل سليم أنه ممن عني نبينا – صلى الله عليه وسلم – بقوله: إن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها فلقد أحيا الله به ما كان قد درس من شرائع الدين وجعله حجة على أهل عصره أجمعين والحمد لله رب العالمين)[٣].

عناصر القوة في منهجه :

لقد تميز منهج شيخ الإسلام في منهجه عن غيره في أمور أجملها فيما يلي:

---

(١) الأعلام العلية (ص ٢٣).

(٢) العقود الدرية (ص٢٢)

(٣) الأعلام العلية (ص ٢٢)..

- عرض شبه المخالفين وتجزئتها إلى مسائل ليتضح الرد مما يدل على قوة الفهم وعلو الفكر وهذا دأبه في مصنفاته.
- فهم النصوص مما قد يشكل على المخالف ويتخذه حجة له بينما هو حجة عليه وقصور عن فهم المراد .
- إفحام الخصوم بجمع الأدلة النقلية والعقلية وشواهد اللغة وتناقض المخالفين من أقوالهم في مواضع أخرى لكي لا يجعل لهم مجالا إلا للتسليم.
- إنصافه مع المخالفين فمن استعرض مؤلفاته يجده يبدأ بمحاسن المخالفين ويثني عليهم بها ثم يذكر مخالفته لهم بما يحفظ حقوقهم وهذا تمام العدل كما قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المائدة: ٨

شيوخه:

لاشك أن هذا العلم الغزير لشيخ الإسلام –رحمه الله– تلقاه على أيدي مشايخ وعلماء يقول ابن عبد الهادي : (وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرات وسمع الكتب الستة الكبار والأجزاء ومن مسموعاته معجم الطبراني الكبير وعني بالحديث وقرأ ونسخ وتعلم الخط والحساب في المكتب وحفظ القرآن وأقبل على الفقه وقرأ العربية على ابن عبدالقوى ثم فهمها وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهم في النحو وأقبل على التفسير إقبالا كليا حتى حاز فيه قصب السبق وأحكم أصول الفقه وغير ذلك هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وسرعة إدراكه)[(١)].

وقد عد الإمام الذهبي بعض شيوخه[(٢)] وسأذكر منهم:

---

(١) العقود الدرية (ص٦).

(٢) انظر: ذيل تاريخ الإسلام ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام (ص٢٦٧).

١- الإمام المسند الشهير تقي الدين أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر التنوخي الدمشقي (ت٦٧٢ هـ).

٢- الكمال بن الفارس : أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن فارس التميمي السعدي الإسكندراني (ت٦٧٦ هـ) الشيخ الإمام المقرئ شيخ القراء الرئيس الفاضل (١).

٣- الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد شيخ الإسلام قاضي القضاة شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (ت٦٨٢ هـ).

٤- الشيخ الفقيه المقرئ العابد أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عمر بن الفرج بن أحمد السابور الواسطي الفاروثي ، حسن الاعتقاد جيد الديانة ظريفا حلو المجالسة كثير الاشتغال والعبادات وعنده كتب كثيرة نحوا من ألفي مجلد أو أكثر (ت٦٩٤ هـ)(٢).

٥- الفخر ابن البخاري مسند الدنيا فخر الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور (ت٦٩٠ هـ).

هذا بالإضافة إلى شيوخه من أهل بيته وقد سبق ذكر ترجمتهم .

تلاميذه:

لقد أفاد منه خلق كثير من طلاب العلم ومازال واشتهر من تلاميذه :

١- ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد الزرعي كان من الملازمين لشيخ الإسلام (ت ٧٥١ هـ)(٣).

٢- الإمام الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله شمس الدين الذهبي علامة زمانه في الرجال (ت ٧٤٨ هـ)(٤).

---

(١) انظر: شذرات الذهب (٦١٢/٧).

(٢) انظر:مرآة الجنان (١٦٧/٤).

(٣) انظر : شذرات الذهب (٢٨٧/٨) البداية والنهاية (٥٢٣/١٨).

(٤) انظر : الأعلام (٣٢٦/٥) و شذرات الذهب (٢٦٤/٨).

٣- المزي : يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك أبو الحجاج جمال الدين الحافظ صاحب تهذيب الكمال (ت ٧٤٢ هـ.)[١].

٤- ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن الشيخ العالم الخطيب أبي حفص عمر بن كثير صاحب التصنيف المشهور في التفسير والتاريخ وغيرها (٧٧٤ هـ.)[٢].

مؤلفاته:

لقد برزت قوة شيخ الإسلام العلمية في كثرة مؤلفاته خاصة وقد بدأ التأليف وعمره ١٧ سنة علماً أنه قد تعرض للحبس ومنع الكتابة وصودرت كتبه وتفرق عنه تلاميذه بل غير بعضهم أسماء مؤلفاته بسبب الخوف. ولكن الله قيض لها من يخرجها للناس .

قال البزار:(ومن أعجب الأشياء في ذلك أنه في محنته الأولى بمصر لما أخذ وسجن وحيل بينه وبين كتبه صنف عدة كتب صغارا وكبارا وذكر فيها ما احتاج إلى ذكره من الأحاديث والآثار وأقوال العلماء وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلفاتهم وعزا كل شئ من ذلك إلى ناقليه وقائليه بأسمائهم وذكر أسماء الكتب التي ذكر فيها وأي موضع هو منها كل ذلك بديهة من حفظه لأنه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطالعه ونقبت واختبرت واعتبرت فلم يوجد فيها بحمد الله خلل ولا تغير)[٣].

ويصعب سرد مؤلفاته لكثرتها وقد أفردت فيها كتب لحصر أسمائها[٤] ، ولكن سأعرض بعضها وفق التصنيف الآتي:

١. التفسير :

---

(١) انظر : شذرات الذهب (٢٣٦/٨) البداية والنهاية (٤٢٧/١٨).

(٢) انظر : شذرات الذهب (٣٩٧/٨) .

(٣) الأعلام العلية (٢٤).

(٤) انظر: أسماء مؤلفات شيخ الإسلام لابن رشيق ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام (٢٢٠).

كان –رحمه الله– كثير المطالعة لكتب التفسير وربما طالع في الآية الواحدة مائة تفسير وقد طلب منه أن يفسر القرآن ولكنه رد ذلك أن القران إما بين في نفسه أو في كتب التفسير و شرع في تفسير ما أشكل فيه[١] ومن ذلك:

- الاستعاذة والبسملة[٢].
- تفسير سورة إقرأ وأنها أول سورة وتضمنت أصول الدين[٣].
- تفسير سورة الصمد وجواب سؤال عن كلام الله تعالى هل يتفاضل؟[٤].
- وله قواعد في تفسير القران وفضائله وأقسامه وأمثاله.

٢. أصول الدين:

- كتاب الإيمان الأوسط[٥].
- كتاب الاستقامة[٦].
- كتاب بيان تلبيس الجهمية[٧] .
- كتاب درء تعارض العقل والنقل[٨].
- كتاب منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية[٩].
- كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح[١٠].

---

(١) انظر: أسماء مؤلفات شيخ الإسلام لابن رشيق ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام (٢٢١).

(٢) انظر: أسماء مؤلفات شيخ الإسلام لابن رشيق ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام (٢٢٢).

(٣) انظر: أسماء مؤلفات شيخ الإسلام لابن رشيق ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام (٢٣١).

(٤) طبع بتحقيق د. عبد العالي عبد الحميد –الدار السلفية الهند– ١٤٠٦هـ.

(٥) تحقيق: أبو يحيى محمد أبو سن (ط) ١٤٢٢هـ (ن) دار طيبة–الرياض .

(٦) تحقيق: محمد رشاد سالم (ط)١٤١١هـ (ن) جامعة الإمام – الرياض.

(٧) تحقيق: يحيى محمد الهنيدي وآخرون (ط)١٤٢٦ هـ (ن) مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(٨) تحقيق: د.محمد رشاد سالم (ط)١٤١١هـ (ن) جامعة الإمام – الرياض.

(٩) تحقيق : د.محمد رشاد سلم (ط) ١٤٠٦هـ (ن) جامعة الإمام – الرياض.

(١٠) تحقيق كل من : د. على بن حسن و د. عبد العزيز العسكر ود. حمدان الحمدان (ط)١٤١٩هـ (ن) دار العاصمة – الرياض.

- **الصارم المسلول على شاتم الرسول-صلى الله عليه وسلم-[١].**
- **كتاب شرح عقيدة الأصفهاني[٢].**
- **كتاب الرد على المنطقيين[٣].**
- **اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم[٤].**

٣. قواعد وفتاوى:

- **الكيلانية [٥]– جواب في مسألة القرآن-.**
- **الفتيا الحموية[٦] –كتبها بين الظهر والعصر-.**
- **المراكشية[٧] – وهي فتيا في الصفات-.**
- **الواسطية[٨] – فتيا في عقيدة الفرقة الناجية-.**
- **البعلبكية[٩] – تكلم فيها على اختلاف الناس في الكلام-.**
- **مجموع فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية الذي جمعه الشيخ / عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد[١٠].**

٤. الفقه:

- **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية[١١].**

---

(١) تحقيق : محمد الحلواني و محمد شودري (ط) ١٤١٧هـ (ن) رمادي – الدمام.

(٢) تحقيق : د. محمد السعوي (ط)١٤٣٠هـ (ن)دار المنهاج – الرياض .

(٣) تحقيق : عبد الصمد الكتبي (ط) ١٤٢٦هـ (ن) الريان – بيروت.

(٤) تحقيق : د. ناصر العقل (ط) لم تذكر (ن) الرشد – الرياض.

(٥) ما أنا بصدد تحقيقه .

(٦) تحقيق : حمد التويجري (ط) ١٤٢٥هـ (ن) الصميعي- الرياض.

(٧) تحقيق: ناصر بن سعد الرشيد – رضا بن نعسان معطي (ط) ١٤٠١هـ (ن) الصفا – مكة .

(٨) شرح : محمد خليل هراس (ط) ١٤١٥هـ (ن) الهجرة –الرياض.

(٩) تحقيق: د. مريم بن عبد العالي (ط)١٤٢٤هـ (ن) الفضيلة – الرياض.

(١٠) مجموع فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية الذي جمعه الشيخ / عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد (ط)الأولى ١٣٨٢هـ (ن) مطابع الرياض.

(١١) تحقيق: علي العمران (ط) ١٤٢٩هـ (ن) الفوائد- مكة.

- رسالة في فضائل الأئمة الأربعة ، وما امتاز به كل إمام من فضيلة[١].
- رسالة في ذبائح أهل الكتاب[٢].

ثناء العلماء عليه:

قال ابن عبد الهادي : (وقرأت على آخر هذا الكتاب طبقة بخط الذهبي يقول فيها سمع جميع هذا الكتاب على مؤلفه شيخنا الإمام العالم العلامة الأوحد شيخ الإسلام مفتي الفرق قدوة الأمة أعجوبة الزمان بحر العلوم حبر القرآن تقي الدين سيد العباد احمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني رضي الله عنه)[٣].

وقال المزي : (ما رأيت مثله ولا أرى هو مثل نفسه وما رأيت أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه)[٤].

وقال العلامة ابن الزملكاني[٥] : لقد أعطي ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين وقد ألان الله له العلوم كما ألان لداود الحديد[٦].

وقال عبد الباقي[٧] : شيخ العلوم الإسلامية وأساس القواعد الدينية جمع من المعقول والمنقول، ورد على فلاسفة الحكماء فيما يتعلق بالمعقول، إذا تكلم في مسألة فحدث عن البحر ولا حرج وإذا استمر في معنى من المعاني لا يكاد سامعه يقول عنه خرج مع فصاحة لسان وبلاغة ملكت أزمة التبيان[٨].

(١) الجامع لسيرة شيخ الإسلام (ص ٣٠٦).

(٢) الجامع لسيرة شيخ الإسلام (ص ٣٠٦) -وذكر جملة من مؤلفاته في الفقه- وانظر: العقود الدرية (ص ٢٦.

(٣) العقود الدرية (ص١١).

(٤) الكواكب الدرية (ص٥٥).

(٥) الإمام قاضي القضاة محمد بن علي بن عبد الواحد بن خطيب زملكا الشافعي المتوفى سنة (٧٢٧)هـ.(طبقات الشافعية للذهبي : ٩/١٩٠).

(٦) الكواكب الدرية (ص٦٠).

(٧) عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ت(٧٤٣).

(٨) الجامع لسير شيخ الإسلام (ص ٢٤٦) من كتاب لقطة العجلان في مختصر وفيات الأعيان.

الفصل الثاني : دراسة الكتاب

المبحث الأول :توثيق الكتاب وسبب تأليفه وأهميته.

المبحث الثاني : منهجه ومصادره في الكتاب .

المبحث الثالث: أقوال العلماء فيه ومقارنته بالكتب المؤلفة في بابه.

المبحث الرابع : التعريف بنسخ الكتاب ونماذج من النسخ الخطية.

المبحث الأول :توثيق الكتاب وسبب تأليفه وأهميته

اسم الكتاب وسبب التسمية:

هذا الكتاب يسمى "الرسالة الكيلانية" نسبة إلى كيلان[١]،وقد أشار شيخ الإسلام –رحمه الله– إليه في بعض مؤلفاته وصرح باسمه بقوله :(وقد ذكرنا في "المسائل الطبرستانية"و"الكيلانية "بسط مذاهب الناس وكيف تشعبت وتفرعت في هذا الأصل)[٢] وقد عده تلاميذه من مؤلفاته كما ذكر ذلك ابن رشيق في أسماء مؤلفات شيخ الإسلام بعنوان "قواعد وفتاوى"[٣] وابن عبد الهادي في العقود الدرية[٤] وقد كان تسميته نسبة للمكان الذي ورد منه السؤال وقد صرح بذلك كما في نسخة الملك سعود المختصرة ، على غرار ما سميت به مؤلفاته –رحمه الله –كالبعلبكية والحموية والواسطية وغيرها.

نسبة الكتاب لابن تيمية:

لا شك أن كتاب الرسالة الكيلانية هو من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– وذلك ظاهر من خلال ما يلي:

- ما ثبت في النسخة المختصر بقوله: (نقل من سؤال ورد من بلاد كيلان).
- وما صرح به تلاميذه كابن عبد الهادي بقوله: (وله في مسألة القرآن مؤلفات كثيرة وقواعد وأجوبة وغير ذلك إذا اجتمعت بلغت مجلدات كثيرة منها ما بيض ومنها ما لم

---

(١) جيلان بالكسر اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان، وليس في جيلان مدينة كبيرة إنما هي قرى في مروج بين جبال ينسب إليها جيلاني وجيلي والعجم يقولون كيلان قلت : وهي اليوم في إيران. انظر: (معجم البلدان ٢٠١/٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٨٧/١٢) وهذا من أقوى الأدلة لإثبات نسبة الكتاب لمؤلفه.

(٣) الجامع لسيرة شيخ الإسلام (ص ٢٩٦).

(٤) العقود الدرية (ص٣٥).

يبيض فمن مؤلفاته في ذلك : الكيلانية والبغدادية والقادرية والأزهرية والبعلبكية والمصرية)[١].

- وكذلك ابن رشيق قال في أسماء مؤلفات شيخ الإسلام تحت القواعد والفتاوى: (الكيلانية وهو جواب في مسألة القران في مجلد لطيف)[٢].
- ومما يؤيد النسبة أسلوب شيخ الإسلام المتيمز بقوة الاسلوب وجودة العبارة وقوة الرد وتقسيم الرد إلى مسائل وتفنيد الحجج وكثرة الاستطراد والإحالة إلى مواضع تم بسط الحديث فيها وكثرة الاستدلال بالأدلة الشرعية وأقوال الأئمة والاعتذار عن الاختصار لخشية المشقة على السائل نظرا لسفره.

سبب تأليف الكتاب:

لقد تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- عن صفة كلام الله –تعالى- وبين مسائل تتعلق بالقران الكريم وذكر سبب تأليفه فيما يلي:

- ما عرض عليه في الفتوى من اختلاف الناس وقبول قوله حكما في هذه المسائل نظرا لما له من مكانة فقد جاء في السؤال: (لأجل معرفة الحق من الباطل عندما كثر عندهم الاختلاف والاضطراب ورغب كل من الفريقين في قبول كلام شيخ الإسلام)[٣].
- اختلاف الناس في إثبات صفة كلام الله ونفيه وتأويله خاصة عند ظهور فرقة الجهمية التي تدرجت في نفى كلام الله وتأثرت بها بعض الفرق كالمعتزلة والأشاعرة في الخوض في تأويل كلام الله وسلوك مسلك أهل الكلام في الرد على الجهمية والبعد عن منهج السلف[٤].
- تأثر الأمة بفتنة خلق القرآن وما نتج عن ذلك من نزاع بين فيه موقف الأئمة وأقوالهم في ذلك.

---

(١) العقود الدرية (ص٣٥).

(٢) الجامع لسيرة شيخ الإسلام (ص ٢٩٦).

(٣) مطلع السؤال من نسخة الملك سعود المختصرة.

(٤) انظر :شرح الأصفهانية (ص٤٧٩)

- انتشار شبه أهل الكلام وردهم للنصوص وتأويلهم للأدلة فقد ناقش أقوالهم وبين الحق في ذلك بفهم السلف ومدلول اللغة والعقل[١].
- خوض البعض في مسائل الصفات وتأليفهم في العقيدة ولكن على طريقة أهل الكلام والتأثر بأقوالهم فأراد أن يبين منهج السلف في ذلك وأن طريقتهم لا تخلو من مزالق[٢].
- حفظ مكانة القران الكريم ومنزلته بإثبات أنه كلام الله من غير تشبيه ولا تعطيل.
- بسط الحديث في الحرف والصوت والفرق بين القراءة والمقروء حتى يزول اللبس ويتحرر موضع النقاش.

تاريخ تأليف الكتاب:

لقد تم تحرير تاريخ هذا الكتاب بحسب ما جاء في نسخة الملك سعود المختصرة بأن السؤال ورد في سنة أربع وسبعمائة من الهجرة .

مميزات الكتاب وأهميته العلمية:

يعد كتاب "الرسالة الكيلانية" من الكتب المهمة المقررة لعقيدة أهل السنة والجماعة في مسألة كلام الله عز وجل.

وتبرز أهميته في تعلقه بصفة كلام الله تعالى فإن شرف العلم بشرف المعلوم وقد تميز هذا الكتاب فيما يلي:

- وضوح العبارة وتجزئة المسائل وبسط الحديث كل على حدة ومناقشتها دون تجريح أو تشويه لغرض الإقناع والقبول كما هو دأب كل مصلح ومحب لهداية الناس .
- استخدام عدة أساليب في الإقناع بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة والمناقشة اللغوية والعقلية لتباين الناس في ذلك .
- الاطلاع الواسع والبعد عن التقليد والترابط في الأفكار والاستطراد في الحديث لما له صلة بالموضوع وربطها بالفكرة الرئيسة.

---

(١) انظر :مجموع الفتاوى (٣١/١٢)

(٢) انظر :مجموع الفتاوى (٢٣/١٢)

- مناقشته لأصل المسألة وأول من قال بها وتأثر من جاء بعدهم لبيان الأسباب والرد على منهج المخالفين .
- ومما يميز هذا الكتاب حجمه مقارنة ببعض رسائل شيخ الإسلام مما استوعب مسائل لم تبسط في غيره.
- تقدمها التاريخي يزيد من أهميتها وحاجة المكان الذي ورد السؤال منها بطلب من سلطان ذلك البلد وقبول كلام شيخ الإسلام من كلا الطرفين المتنازعين.

المبحث الثاني : منهجه ومصادره

منهجه:

لقد كان منهج ابن تيمية رحمه الله في كتابه كسائر كتبه وهو الجمع بين التأصيل بالأدلة الشرعية والرد على المخالفين وأبرز ما أصله من مسائل هو تقرير منهج السلف في صلة الكلام لله عز وجل وأن القرآن الكريم كلام الله سبحانه منزل غير مخلوق .

وكان تقريره لهذا بنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية أقوال السلف مع عزو هذه الأقوال لأصحابها غالباً والاستشهاد بكلام العرب وبالأدلة العقلية الصحيحة التي لا تناقض الشرع كاستخدامه قياس الأولى في حق الله عز وجل كما قال الله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾النحل: ٦٠ ، وقد كان بأسلوب مجمل سهل الفهم مع تركيز على المسائل التي ضلت بسببها الأفهام وزلت فيها الأقدام .

ومنهجه في الرد على المخالفين لمنهج السلف ينم عن سعة فهم لمعتقداتهم ومناهجهم ومصنفاتهم وهذا يدل على سعة اطلاع ومعرفة ولذا قال عن نفسه :" كل من خالفني في شيء كتبته فأنا أعلم بمذهبه منه"[١] فكان ينقل أقوالهم بألفاظهم ويبين ما فيها من حق وباطل فالحق يقبله والباطل يرده بالدليل مع حرصه على الرد عليهم بمصطلحاتهم وهذا أبلغ لقطع حجج المخالفين فكان يقول :" ومعرفتنا بلغات الناس واصطلاحاتهم نافعة في معرفتنا

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (١٦٣/٣).

مقاصدهم ثم نحكم فيها كتاب الله تعالى فكل من شرح كلام غيره وفسره وبين تأويله فلابد له من معرفة حدود الأسماء التي فيه "[١].

وأحياناً يرد على المخالفين ببيان تناقضهم في بعض المسائل مع غيرهم من الطوائف بل وتناقضهم في نفس منهجم ،وهو أيضا يعيد النصوص لأصولها ولمن قال بها من الطوائف المتقدمة ويبين مدى تأثر من بعدهم بها ويعرض الأثار المترتبة على أقوالهم وما تأول إليه من مخالفة في المعتقد وأثرها في الإيمان بالله سبحانه وقد يستطرد في مسألة لتحقيقها وقد يشير إلى أنه عرضها في موضع آخر رغبة في الاختصار وخشية التطويل مراعاة للسائل المتحفز للجواب وسرعة السفر .

وكان قد قسم جوابه إلى فصول لكي يكون أدعى للفهم وقد تدرج في المسائل وفقاً للسؤال المقدم إليه ليحصل المراد من جوابه هذا ما حاولت استنباطه من منهجه رحمه الله من خلال هذا الكتاب .

مصادره في الكتاب :

لقد تنوعت مصادر شيخ الإسلام رحمه الله في كتاب الرسالة الكيلانية وهي كما يلي :

- القران الكريم : إن القارئ لهذا الكتاب يجد كثرة استشهاده رحمه الله بالآيات مما يدل على اتقانه لحفظ كتاب الله تعالى استشهاد على المسائل وردا على المخالفين واستنباطا للأحكام.
- كتب الحديث: يعد شيخ الإسلام -رحمه الله- من أئمة الحديث بتمييز الحديث الصحيح من الضعيف بل قيل: إن الحديث الذي لا يعرفه شيخ الإسلام فهو ضعيف[٢]. ولقد استشهد بأحاديث كثيرة مما يدل على حفظه للأحاديث واستحضاره لها وعزو بعضها لمصادرها .
- كتب نص عليها وأثبتها:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٩/٦٦).

(٢) انظر:ذيل طبقات الحنابلة (١/٣٣٩).

١. كتاب صحيح البخاري[١].

٢. كتاب صحيح مسلم[٢].

٣. كتاب خلق أفعال العباد / للبخاري[٣].

٤. كتاب السنة / للخلال[٤].

٥. كتاب الإبانة الكبير / لابن بطة[٥].

٦. الرد على الزنادقة والجهمية /للإمام أحمد[٦].

٧. كتاب الإبانة /لأبي نصر[٧].

٨. مقالات الإسلاميين / لأبي الحسن الأشعري[٨].

٩. الإبانة / لأبي الحسن الأشعري[٩].

١٠. كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث/ للبيهقي[١٠].

١١. حلية الأولياء / أبو نعيم الأصبهاني[١١].

١٢. كتاب العدة/ للقاضي أبي يعلى[١٢].

١٣. كتاب اعتقاد الإمام المنبل أبي عبد الله أحمد بن حنيل / لأبي الفضل التميمي[١].

---

(١) انظر: (ص٧٣،١١٠،١١٦) من الكتاب.

(٢) انظر: (ص٨٤) من الكتاب.

(٣) انظر: (ص ١١٠،١١٦)من الكتاب.

(٤) انظر: (ص٦٤ ،١٠٤،١٥٨) من الكتاب.

(٥) انظر: (ص١٥٨) من الكتاب.

(٦) انظر: (ص١٨٣) من الكتاب.

(٧) انظر: (ص١٠٦،١٤٠،١٧٢) من الكتاب.

(٨) انظر : (ص١٠٧) من الكتاب.

(٩) انظر :(ص١٠٨) من الكتاب.

(١٠) انظر : (ص١٠٩) من الكتاب.

(١١) انظر: (ص١٠٩) من الكتاب.

(١٢) انظر: (ص١١١) من الكتاب.

١٤. كتاب الفصوص / لابن عربي[٢].

١٥. كتاب الفتوحات المكية/ لابن عربي[٣].

١٦. كتاب مشكاة الأنوار / للغزالي[٤].

١٧. كتاب خلع النعلين / لأحمد بن قسي[٥].

١٨. السنة / لعبد الله بن أحمد[٦].

١٩. السنة / للالكائي[٧].

٢٠. السنة / لابن أبي حاتم[٨].

٢١. كتاب صريح السنة /للطبري[٩].

٢٢. أصول الدين لأبي عبد الله بن حامد. [١٠]

٢٣. الشافي لأبي بكر بن عبد العزيز [١١]

٢٤. الأسماء والصفات للبيهقي [١٢]

٢٥. المحنة لحنبل بن أحمد بن حنبل .[١٣]

٢٦. المحنة لصالح بن أحمد بن حنبل.[١٤]

---

(١) انظر: (ص١١٤) من الكتاب.

(٢) انظر: (ص١٤٢،١٤٤) من الكتاب.

(٣) انظر: (ص١٤٢) من الكتاب.

(٤) انظر: (ص١٤٤) من الكتاب.

(٥) انظر: (ص١٤٤) من الكتاب.

(٦) انظر: (ص١١٥،١٥٨) من الكتاب.

(٧) انظر: (ص١٥٨،١٧٧) من الكتاب.

(٨) انظر: (ص١٥٨) من الكتاب.

(٩) انظر: (ص١٦٨) من الكتاب .

(١٠) انظر: (ص ١١٧) من الكتاب .

(١١) انظر: (ص ١١٧) من الكتاب .

(١٢) انظر: (ص ١٤٠) من الكتاب .

(١٣) انظر: (ص ١٥٨) من الكتاب .

(١٤) انظر: (ص١٥٨،١٦٩) من الكتاب .

- كتب اعتمد عليها ولم يذكر أسمائها :

١. سنن أبي داود[١].

٢. صحيح ابن حبان[٢].

٣. سنن الترمذي[٣].

٤. مسند البزار[٤].

٥. سنن ابن ماجة [٥].

٦. مسند الإمام أحمد[٦].

٧. سنن النسائي[٧].

٨. ديوان لبيد [٨].

٩. ديوان امرئ القيس [٩].

١٠. ابطال التأويلات لأبي يعلى الفراء[١٠].

١١. مصنف ابن أبي شيبة [١١]

---

(١) انظر: (ص٢٠١،٢١٧) من الكتاب.

(٢) انظر: (ص١٣٢) من الكتاب.

(٣) انظر: (ص١٣٣) من الكتاب.

(٤) انظر: (ص١٣٤) من الكتاب.

(٥) انظر: (ص١٧١) من الكتاب.

(٦) انظر: (ص١٩٥،١٩٧) من الكتاب.

(٧) انظر: (ص١٧١) من الكتاب.

(٨) انظر: (ص١٥٠) من الكتاب.

(٩) انظر: (ص١٥٠) من الكتاب.

(١٠) انظر: (ص١٥٣) من الكتاب.

(١١) انظر: (ص٢١٣) من الكتاب .

المبحث الثالث : أقوال العلماء فيه ومقارنته بالكتب المؤلفة في بابه

لقد وفق الله شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الكتاب وكان منهجه رحمه الله بتقرير المسألة وجمع الأدلة من الكتاب والسنة وجمع أقوال ائمة السلف ثم عرض الشبهة ومناقشتها وبينا أصل نشأتها مما جعل من بعده يفيد منه في بابه .

قال ابن عبد الهادي: (وله في مسألة القرآن مؤلفات كثيرة وقواعد وأجوبة وغير ذلك إذا اجتمعت بلغت مجلدات كثيرة منها ما بيض ومنها ما لم يبيض فمن مؤلفاته في ذلك الكيلانية والبغدادية والقادرية والأزهرية والبعلبكية والمصرية)[(١)].

وقال ابن رشيق :(الكيلانية وهو جواب في مسألة القران . في مجلد لطيف)[(٢)].

ولقد كانت هناك عدة مؤلفات حول هذا الموضوع ولكن تختلف باختلاف عقيدة مؤلفيها فمن ما ألف خلافاً لعقيدة أهل السنة والجماعة :

- كتاب المغني في أبواب التوحيد والعدل / للقاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ) وقد عرض في جزءه السابع عقيدته في القرآن وسائر كلام الله أنه مخلوق ، وعقد فيه فصولا منها:

١. الكلام في القران وسائر كلام الله .
٢. حقيقة الكلام وما يتصل به.
٣. إبطال القول بأنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام قديم.
٤. وصف القرآن وسائر كلام الله تعالى بأنه مخلوق وما يتصل بذلك.
٥. أنه تعالى خلق القرآن وأحدثه لمصالح العباد.

قرر في كتابه عقيدة في القران وفي كلام الله — والتي وافق فيها عقيدة المعتزلة – ثم عرض أقوال المخالفين له ورد عليهم وعرض شبه المخالفين ثم ناقشها ورد عليها .

---

(١) العقود الدرية (ص٣٥).

(٢) الجامع لسيرة شيخ الإسلام (ص ٢٩٦).

وأما ما جاء موافقا لعقيدة أهل السنة والجماعة منها:

- الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله/ للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) وقد عرض أدلة الجهمية على القول بخلق القران ورد عليها وبين ما تأولته الجهمية من نصوص؛ بالفهم الصحيح الذي عليه سلف الأمة وأئمتها وهو ما يوافق لغة العرب التي نزل بها القرآن وبين حكم قولهم بخلق القرآن وما يترتب عليه من نفي صفة الكلام عن الله، في كتاب مختصر عرض فيها شبه المخالفين ثم رد عليهم مقرراً عقيدة أهل السنة والجماعة القرآن الكريم وفي كلام الله –تعالى-.

-كتاب رسالة في أن القرآن غير مخلوق /لإبراهيم بن إسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ) وهي رسالة مختصرة في خمسة عشر صفحة اكتفى فيها بنقل نصوص عن الإمام أحمد وغيره في نفي القول بخلق القران والتحذير من أصحابه.

- كتاب الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن / لأبي الحسن عبد العزيز بن مسلم الكناني (ت٢٤٠هـ) وهو عبارة عن مناظرة ومناقشة مختصرة مع عبد الرحمن بن بشر المريسي (ت ٢١٨) الذي زعم أن القرآن مخلوق وكان ذلك بحضرة المأمون.

- كتاب الرد على من يقول القرآن مخلوق / لأحمد بن سليمان النجاد (ت ٣٤٨) وهي رسالة مختصرة نقل نصوصاً في بيان صفة كلام الله لأهل السماء وكلام الله لموسى –عليه السلام- ونقل كلام الأئمة في الإنكار على من قال: بخلق القرآن، والحكم عليه.

- كتاب شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم / لأبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي (ت ٤١٨هـ) في المجلد الأول الجزء الثاني منه بدء به بقوله:(سياق ما ورد في كتاب الله مما فسر أو دل على على أن القرآن كلام الله غير مخلوق) ،وقد ساق الأدلة من القرآن والسنة إجماع

الصحابة والتابعين بطبقاتهم على أن القران غير مخلوق وساق ما روي في تكفير من قال: لفظي بالقرآن مخلوق وبين متى حدث القول بخلق القران وأول من قال به، وقد نقل منه شيخ الإسلام نصوصاً أشرت لها في مواضعها.

- رسالة في القران وكلام الله / لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة (ت ٦٢٠هـ) وهي فتوى لسؤال عن من ينفي أن القرآن ليس كلام الله هل هم من أهل السنة والجماعة؟ فقرر فيه قول أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ودلل على ذلك من القرآن والسنة. وبين مخالفة من قال: بأن القرآن مخلوق أو أنه معنى نفسي، وإجماع المتبعين لصراط الله المستقيم، وهي رسالة مختصرة.

- الرسالة البعلبكية: وهي أيضا لشيخ الإسلام تضمنت قرابت ثمان وعشرين صفحة بين فيها دلالة نزول القرآن أنه كلام الله وبين أقسام الوحي ومراتب التكليم، وعرض أقوال المخالفين ومنشأ النزاع، وناقش مسألة حدوث العالم وإثبات الصانع . لكن شيخ الإسلام ابن تيمية توسع في الرسالة الكيلانية وأطال الحديث فيها أكثر من الرسالة البعلبكية ، وزادت عليها في مسائل منها :

- واجب ولي الأمر تجاه المخالفين .
- مسألة التكفير بالخطأ في المسائل الاعتقادية .
- مفهوم الإيمان وزيادته ونقصانه.
- مسألة الأسماء والأحكام والوعد والوعيد .
- مناقشة بعض مصطلحات المتكلمين ونقضها.

هذا ما أمكن الاطلاع عليه من مصنفات في الباب ومقارنته بكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية الرسالة الكيلانية، والتي لها طابع خاص في العرض والمناقشة لأقوال المخالفين.

دراسة أهم المسائل الواردة في الكتاب:

لقد كان الطابع في كثير من ملفات ابن تيمية رحمه الله أن تكون جواباً لأسئلة ترد إليه فيجيب بأجوبة مفصلة أصبحت كتبا يرجع الناس إليها ومن بينها هذا المؤلف وقد كان السؤال يختص بموضوع القرآن وخوض الناس فيه هل هو مخلوق أم هو كلام الله تعالى والفرق بين كلام الله وكلام الناس والموقف من المخالفين في ذلك .

فبدأ رحمه الله بإجابة إجمالية لبيان الفرق بين كلام الناس المخلوق وكلام الله الذي هو صفة له وأن هناك أدلة من الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف تؤكد ذلك بل إن العقل الصحيح يؤكد الفرق بين كلام الله وكلام المخلوق، وبين أن هناك شبهة أدت بهؤلاء إلى عدم التفريق بين كلام الخالق والمخلوق.

وبدأ بمسألة أفعال العباد عموما والتي القراءة من ضمنها وسرد أقوال السلف بأن أفعال العباد مخلوقة وإنكارهم على من قال : كلام الآدميين غير مخلوق، وذكر الأدلة على خلق الله لكي شيء والفرق بين خلق الله وصفات الله، وذكر فِرق المخالفين ومنشأ القول بأن أفعال العباد قديمة .

ثم عقد الفصل الأول: في بيان أصل اضطراب الناس هو مسألة اللفظ بالقران وأن هذا هو طريق هداية الناس للحق عبر الرسل عليه السلام الذين اصطفاهم الله فمنهم من آمن ومنهم من كفر وأنه لا طريق لذلك غير ما جاء به الرسول بخلاف ما يزعمه الباطنية وغيرهم أن هناك طرقاً غير ما جاءت به الرسل .

ثم عقد الفصل الثاني: أصناف من كفر بالرسل أو ببعضهم وأنواع حججهم وأقيستهم المنطقية في إنكار الرسالة وضرب لها أمثلة وأتى على أنواع تلك الأقيسة وموقف الناس منها كقياس الشمول وقياس التمثيل، وبين القياس الأولى في حق الله والذي جاء به القران هو قياس الأولى وأن الحكم على القياس يكون مبني على مادته، وأنه يتوصل للحق بغير تلك الأقيسة التي اصطلحها أصحابها لأنفسهم.

وبين نشأة إنكار كلام الله وأول من قال به وهم: الجهمية والجعد بن درهم وموقف الأئمة في عصره من كلامه وردهم عليه، وحكم ولي الأمر فيه والحكم بقتله

وتأييدهم له ، وأنهم تأثروا بالصابئة المحضة من المتفلسفة وعليها سار الجهم بن صفوان. وإنكارهم أن كلام الله وإنما هو تخيل النبي بما ينتفع به العامة مما أدى إلى القول بأن النبوة مكتسبة .

لذلك جاء رد السلف عليهم ومعرفتهم بما يؤل إليه إنكار كلام الله تعالى وعرض إلى الرد على منكري صفات الله عموما وكلام الله خصوصا وموقف الإمام أحمد ممن قال بخلق القران وحرصه فيما ينقله عن طلابهم ، وأن الفرق بعده تدعي أن قولها موافق لما عليه الإمام أحمد نظراً لما له من قبول لدى الناس وأن مجرد النسبة إليه لا تكفي بل لا بد من التزام الصواب الذي كان عليه الإمام .

وقد افتري على البخاري رحمه الله مما دفعه إلى تأليف كتاب خلق أفعال العباد وذكر فيه الأحاديث الصحيحة والآثار والفرق بين الصوت الذي تكلم الله به والصوت المسموع من القارئ .

وظهرت الكلابية: أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب الذي صنف مصنفات رد فيها على الجهمية والمعتزلة وغيرهم أثبت فيها قيام الصفات بذات الله ولم يثبت قيام الأمور الاختيارية بذاته وسلك سبيله كثير من المتأخرين من أصحاب مالك والشافعي وأحمد، وقد حذر من طريقه أئمة أهل السنة أحمد وغيره.

ثم ذكر الخلاف في كلام الله هل يتكلم بشيئته وقدرته أم لا فأما جماهير أهل السنة فإنهم يقولون بأن الله يتكلم بمشيئته وقدرته مع أن كلامه غير مخلوق.وعلى هذا نصوص الإمام أحمد وغيره.ولا يقولون بأن التلاوة هي المتلو بإطلاق ولا غير المتلو مطلقاً .

وفي الفصل الثالث: ذكر اختلاف المخالفين لأهل السنة فمنهم يتهم غيره بما لم يقله بأن القران ليس هو إلا الأصوات المسموعة من العبد والصوت والمداد قديمان وأنكروا ذلك وإنما هو قول الجهال المتطرفين من سكان بعض الجبال. ورد عليهم الآخرون بأنهم يقولون: بأن القران ليس محفوظا في القلوب ولا متلوا بالألسن ولا مكتوبا في المصاحف وأنكروا ذلك. وحقيقة قولهم أنه معنى واحد قائم بالذات وأصوات العباد والمداد دليل على ذلك فإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة وإن عبر عنه

بالسريانية كان إنجيلا.وبين أن مراتب الوجود أربعة : وجود في الأعيان ووجود في الأذهان ووجود في اللسان ووجود في البنان.

وفي الفصل الرابع: إلى زيادة الشر في أقوال المخالفين بإسقاطهم حروف كلام الله وأسقطوا أيضا معاني القران التي في نفوس القارئين والمستمعين وأن معاني جميع كلام الله معنى واحد، ولهذا قال أكثر العقلاء بأن هذا معلوم الفساد.

وفي الفصل الخامس: بين أن القرآن حيث تصرف فهو كلام الله غير مخلوق والإمام أحمد وسائر الأئمة ينكرون أن يقال: لفظي بالقران غير مخلوق فكيف لفظي به قديم فكيف صوتي به غير مخلوق فكيف صوتي به قديم أو بعض الصوت المسموع قديم .

وفي الفصل السادس والسابع: نصوص الإمام أحمد من أسدّ الكلام وأتم البيان وبعض الطوائف تمسكت منها بشيء وخفي عليها من السنة في موضع آخر فأنكرته.

ومنشأ النزاع يعود إلى أصلين : مسألة تكلم الله بالقرآن وسائر كلامه ومسألة تكلم العبد بكلام الله وسبب ذلك أن التكلم والتكليم له مراتب ودرجات فمن الناس من يدرك بعض هذا الدرجات وينكر بعضها.وقد ذكرها الله سبحانه بقوله : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾الشورى: ٥١.

وفي الفصل الثامن:الأصل الثاني: تكلمنا بكلام الله فإن الكتاب والسنة والإجماع دل على أن الذي قرأه المسلمون هو كلام الله لا كلام غيره ومن المعلوم بالضرورة أن الكلام ينسب لأول من قاله.

وعرض الخلاف بين اللفظ والملفوظ والنهي عن الحكم في الألفاظ المجملة حتى يستفسر عن المراد بها.ثم تنازع الناس في حروف الهجاء هل يقال مخلوقة أو لا؟

وذكر أن السلف لم يحصل بينهم خلاف في مثل هذه المسائل وأن أول من ابتدع القول بخلق القرآن هم الجهمية وكذلك نفوا الصفات ثم جاءت ردود السلف لما ظهرت تلك البدع وذكر أمثلة لذلك .

وفي الفصل التاسع:خلق أفعال العباد وعلى ذلك نصوص الإمام أحمد وليس هناك خلاف بين أهل السنة في ذلك.

وفي الفصل العاشر:مسائل مشابهة لمسألة تلاوتنا بالقرآن مثل مسألة الإيمان هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟ ومسألة نور الإيمان والهدى ونحو ذلك من المسائل التي جرى فيها الخلاف وكل فريق معه بعض الحق ويرد البعض الآخر وهذا لعسر التمييز لذلك جاءت نصوص الأئمة بالنهي عن الإثبات العام والنفي العام ولا من التفصيل .

والإمام احمد ابتلي بالجهمية المعطلة لذلك كان همه منصرف إلى رد مقالاتهم لأن الإنكار يكون بحسب الحاجة.

وفي الفصل الحادي عشر:بيان أن الإنسان مخلوق وكذلك كلامه مخلوق وأما كلام الله فهو من الله وليس بمخلوق. لأن الكلام قائم بالمتكلم متصل به مثل الحياة والعلم والقدرة.وذكر الخلاف في صفات الله الفعلية.

وفي الفصل الثاني عشر: منزلة الإمام أحمد رحمه الله عند الناس ويضرب به المثل في المحنة والصبر على الحق وقد تداوله ثلاثة خلافاء بالحبس والتهديد والضرب ومع ذلك لم يرجع عما جاء به الكتاب والسنة ولا كتم العلم ولا استعمل التقية.

وفي الفصل الثالث عشر: أن شبهة المخالفين أن الناس تكلموا في حروف المعجم وأسماء المخلوقات فمنهم من قال مخلوقة ومنهم من قال غير مخلوقة. والصواب أن الحروف تختلف أحكامها باختلاف معانيها واختلاف المتكلم بها وهذا أوجب تعظيم حروف القرآن المنطوقة والمسطورة وكان لها من الأحكام الشرعية ما امتازت به عما سواها واختلاف الأحكام إنما كان لاختلاف صفاتها وأحوالها.

والسلف إذا ذموا أهل الكلام إنما يقصدون من تكلم في الدين بغير طريقة المرسلين.

وفي الفصل الرابع عشر:واجب ولي الأمر تجاه المخالفين للكتاب والسنة .

وفي الفصل الخامس عشر:مسألة التكفير فليس لأحد من المسلمين وإن أخطأ إن يكفر حتى تقام عليه الحجة لأن من ثبت إسلامه لم يزل ذلك عنه بالشك بل لابد من إقامة الحجة وإزالة الشبهة .لذلك اضطربت الأمة في هذا الباب قديماً وحديثاً.

وفي الفصل السادس عشر:مسائل الأسماء والأحكام وأن الأصل فيمن أصلح النية وأحسن العمل فلا خوف عليه مما أمامه. حتى ابتدعت الخوارج التكفير بارتكاب الكبيرة وقابتهم المرجئة بأن العمل غير داخل الإيمان أما أهل السنة فاتفقوا على أن الإيمان قول وعمل وأن الأعمال تشتمل على أصول وفروع وأركان وواجبات ومستحبات كما في الحج والصلاة فمنها ما يكون مؤثراً في الصحة والبطلان ومنها ما يكون مؤثراً في الكمال. وهذه الأصول متفق عليها بخلاف الشرائع قد يرد فيها الخلاف بين العلماء.

والناس متباينون في ترك بعض الإيمان الواجب فقد يكون معذور لعدم تمكنه من العلم به أو أنه لم تبلغ الرسالة .

وفي الفصل السابع عشر: مسألة الأحكام في الدار الآخرة فالذي عليه الصحابة ومن تبعهم بإحسان على أنه لا يخلد في النار من كان معه شيء من الإيمان .

ولا يوجبون العذاب في حق كل من أتى كبيرة و لا يشهدون لمسلم بعينه بالنار لأجل كبيرة عملها بل يجوز أن يدخله الله الجنة بلا عذاب إما لحسنات تمحوها أو مصائب كفرتها أو غير ذلك .

أما الخوارج ومن وافقهم من المعتزلة: فيوجبون العذاب على مرتكب الكبيرة وخلود من دخل النار ولا يجتمع في حق الشخص الواحد العذاب والثواب.ولذلك نفوا شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر.

وفي الفصل الثامن عشر:تكفير الجهمية المعطلة لصفات رب العالمين بخلاف المبتدعة من غيرهم المرجئة وا لشيعة المفضلين لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهناك فرق اختلف في تكفيرهم.

وأما من أخطأ في اجتهاده لا يكفر وقد جاء عن السلف من أخطأ في مسائل ولم يكفر لذلك.وهناك فرق بين الكفر العام والوعيد العام وتكفير المعين لا بد فيه من توفر الشروط وانتفاء الموانع.

المبحث الرابع : التعريف بنسخ الكتاب

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على ثلاث نسخ:

١. النسخة الأولى:

نسخة موجودة بالمكتبة الظاهرية وهي موجودة ضمن مكتبة الأسد برقم ٢٨١٢/٤ وتقع في ١٠٨ صفحات، في كل صفحة ٢٢ سطراً، وفي كل سطر ما بين ثلاث عشرة كلمة إلى خمس عشرة كلمة ،وهي نسخة كاملة مكتوبة بخط النسخ، لم يذكر فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

ويوجد نسخة مصورة منها بمركز الكويت للتراث –ضمن الكواكب الدراري ج ٤٠– بعنوان: سؤال في كلام الله وكلام الناس رقم المخطوط(٤٤–١٣٣–٤).

ولقد اعتمدتها وقد جعلتها الأصل ورمزت لها (ظ) للأسباب التالية :

- لأنها النسخة الكاملة حسب علمي .
- لوضوح المخطوط وجودة الخط.
- وهي الأقدم حسب علمي يتضح ذلك من خلال ترميز الأحرف.

٢. النسخة الثانية:

هي النسخة المختصرة الموجودة في مكتبة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود بجامعة الملك سعود ، برقم ٥/١٧٣٧ ، في ١٠صفحات في كل صفحة أربعة وعشرون سطراً ، وهي بلفظ شيخ الإسلام وأما عدد الكلمات ففي أول أربع صفحات عشرون كلمة في السطر ، وباقي المخطوط مابين ثلاث عشرة كلمة إلى خمس عشرة كلمة، كتب في أولها : (نقل من سؤال قدم من بلاد كيلان في مسئلة

القران إلى دمشق سنة ٧٠٤ هـ.) و (كتب أحمد بن محمد بن مري الشافعي[1] بخط جيد قوي ثم إن كاتب هذه الأوراق اطلع على هذه الفتوى يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر سنة ٨٢١ هـ. فاخترت لنفسي منها مواضع نقلته هذه الأوراق إذ الجواب طويل جداً)، وهي نسخة مختصرة ورمزت لها (س).وقد طبع هذا المختصر فيما يلي:

١. طبع بمجموعة الرسائل والمسائل ٣٣٣/٣ ولم تحقق ، طبعة دار الكتب العربية ، بيروت، ١٤٠٣ هـ..

٢. طبع بعنوان مختصر الكيلانية تحقيق : أبو أحمد علي الكندي المرر ، طبعة مؤسسة بينونة ، أبو ظبي ، ١٤٣٠ هـ..

٣. النسخة الثالثة:

هي نسخة مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية / للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابن محمد ورمزت لها (ط). طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م في الجزء الثاني عشر من صفحة ٣٢٣ إلى صفحة ٥٢٢ ، كتب في الحاشية في مطلعها: تسمى (الكيلانية) ولم تحقق.

مسوغات التحقيق :

---

(١) أحمد بن محمد بن مري البعلي الحنبلي كان منحرفاً عن ابن تيمية ثم اجتمع به فأحبه وتلمذ له وكتب مصنفاته وبالغ في التعصب وسلك طريق ابن تيمية في الحط على الصوفية ثم أنه تكلم في مسألة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي مسألة الزيارة وغيرهما على طريق ابن تيمية فوثب به جماعة من العامة ومن يتعصب للصوفية وأرادوا قتله فهرب فرفعوا أمره إلى القاضي المالكي تقي الدين الأخنائي فطلبه وتغيّب عنه فأرسل إليه وأحضره وسجنه وذلك في ربيع الآخر سنة ٧٢٥هـ ثم شفع فيه فآل أمره إلى أن سفر من القاهرة إلى الخليل فرحل بأهله وأقام به وتردد إلى دمشق. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر(١٠١/١).

١- لم يسبق تحقيقه إلا النسخة المختصرة.

٢- من خلال المقابلة بين المطبوع والمخطوط تبين لي وجود فروق في أكثر من خمسين موضعاً، وهذه بعض الأمثلة :

أ- في المطبوع ص٣٥٠ السطر ١١:وإن كان ذلك موجوداً قبل الإسلام في أمم أخرى.

وفي المخطوط ص ١٨ :وإن كان ذلك كفراً موجوداً قبل الإسلام في أمم أخرى.

ب- في المطبوع ص ٣٥١ السطر ٣: وبنوا ذلك على قاعدة مبتدعة الصابئين المكذبين ببعض ما جاءت به الرسل الذين لايصفون الرب إلا بالصفات السلبية أو الإضافية أو المركبة منهما .

وفي المخطوط ص ١٩: وبنوا ذلك على قاعدة مبتدعة الصابئين المكذبين ببعض ما جاءت به الرسل الذين لايصفون الرب إلا بالصفات السلبية أو الإضافية أو المشتركة بينهما.

ج- في المطبوع ص٣٥٣ السطر١٦ : قال ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ ﴾ لكن ذاك كفر به كله ظاهراً وباطناً .

وفي المخطوط ص ٢٠: قال ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ ﴾ ليس ذاك كفر به كله ظاهراً وباطناً .

د- في المطبوع ص ٣٥٤ السطر ١٥: وأما المعتزلة ونحوهم فيوافقونهم في أن الله لا يتكلم في الحقيقة التي يعلم الناس أن صاحبها يتكلم [بل كلامه] منفصل عنه.

وفي المخطوط ص ٢١ : وأما المعتزلة ونحوهم فيوافقونهم في أن الله لا يتكلم في الحقيقة التي يعلم الناس أن صاحبها متكلم منفصلاً عنه.

هـ- في المطبوع ص ٣٣٤ السطر ٥ : الذي أوقع هؤلاء الجهال في ما ارتكبوه من المحال.

وفي المخطوط ص ٧ : الذي أوقع هؤلاء الجهال في ما ارتكبوه في المحال.

و- في المطبوع ص ٣٤٠ السطر ٤ : إنما أردنا أن نحسن بتحقق العلم بالذوق.

وفي المخطوط ص ١٢ : إنما أردنا أن نحسن بتحقق العلم والذوق.

ز- في المطبوع ص ٣٤٤ السطر ٧ : وهم يلبسون المهملات التي هي في معنى الجزئيات بالكليات العامة المسلمات .

وفي المخطوط ص ١٤ : وهم يلبسون المهملات التي هي في معنى الجزئيات بالكليات العامة المسورات .

ح- في المطبوع ص ٣٤٩ السطر ٥ :مما عنده من الحدسيات المعتادة الظاهرة .

في المخطوط ص ١٧ : مما عنده من الحسيات المعتادة الظاهرة .

٣- هناك سقط في المطبوع في أربع مواضع هي :

أ- سقط لقوله تعالى : وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جائتهم البينة ص ٣٤١ .

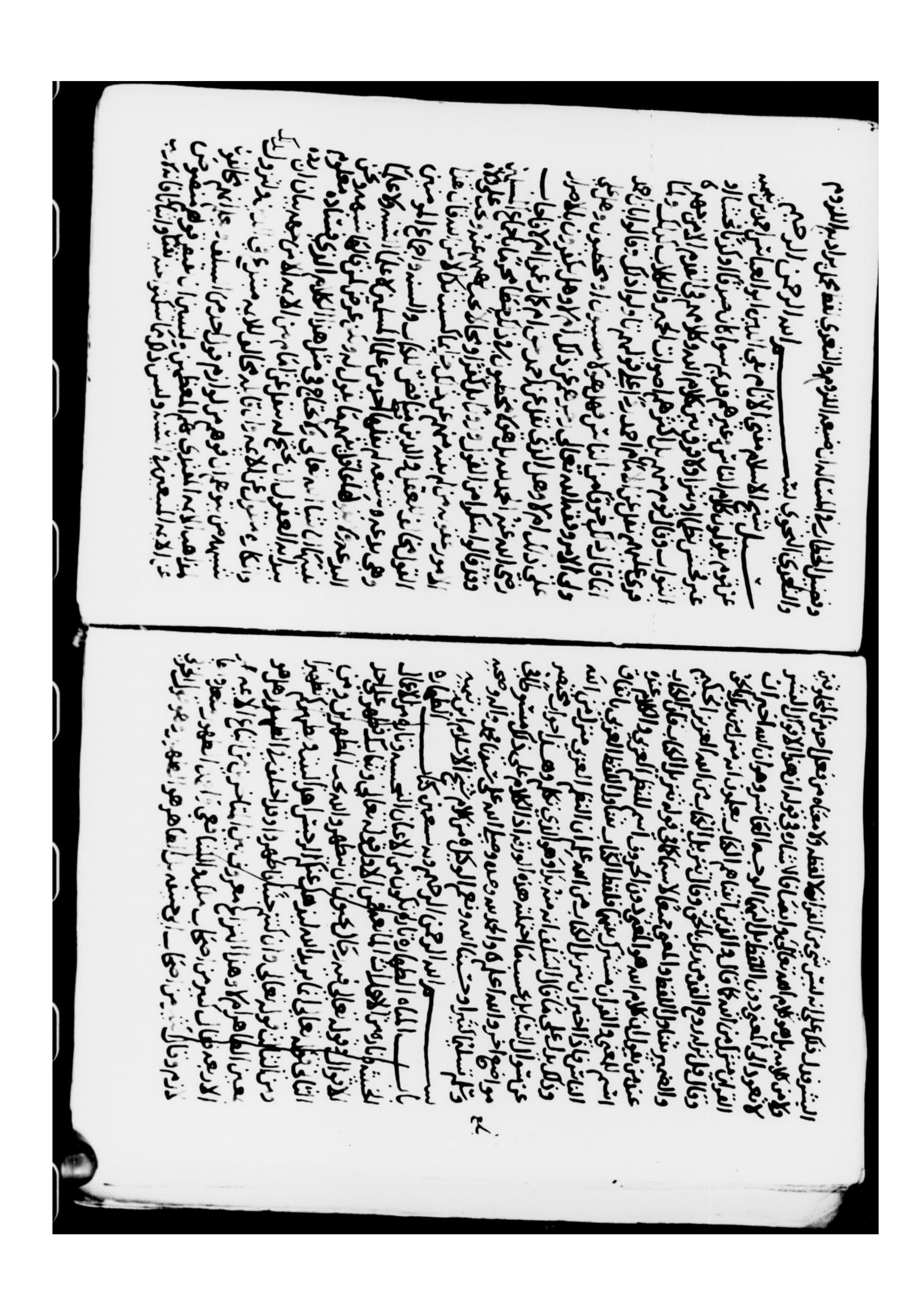
ب- سقط لكلمتين ص ٣٥٣ السطر الثالث .

ج- سقط لستة أسطر ص ٤٠٧ بعد السطر الخامس .

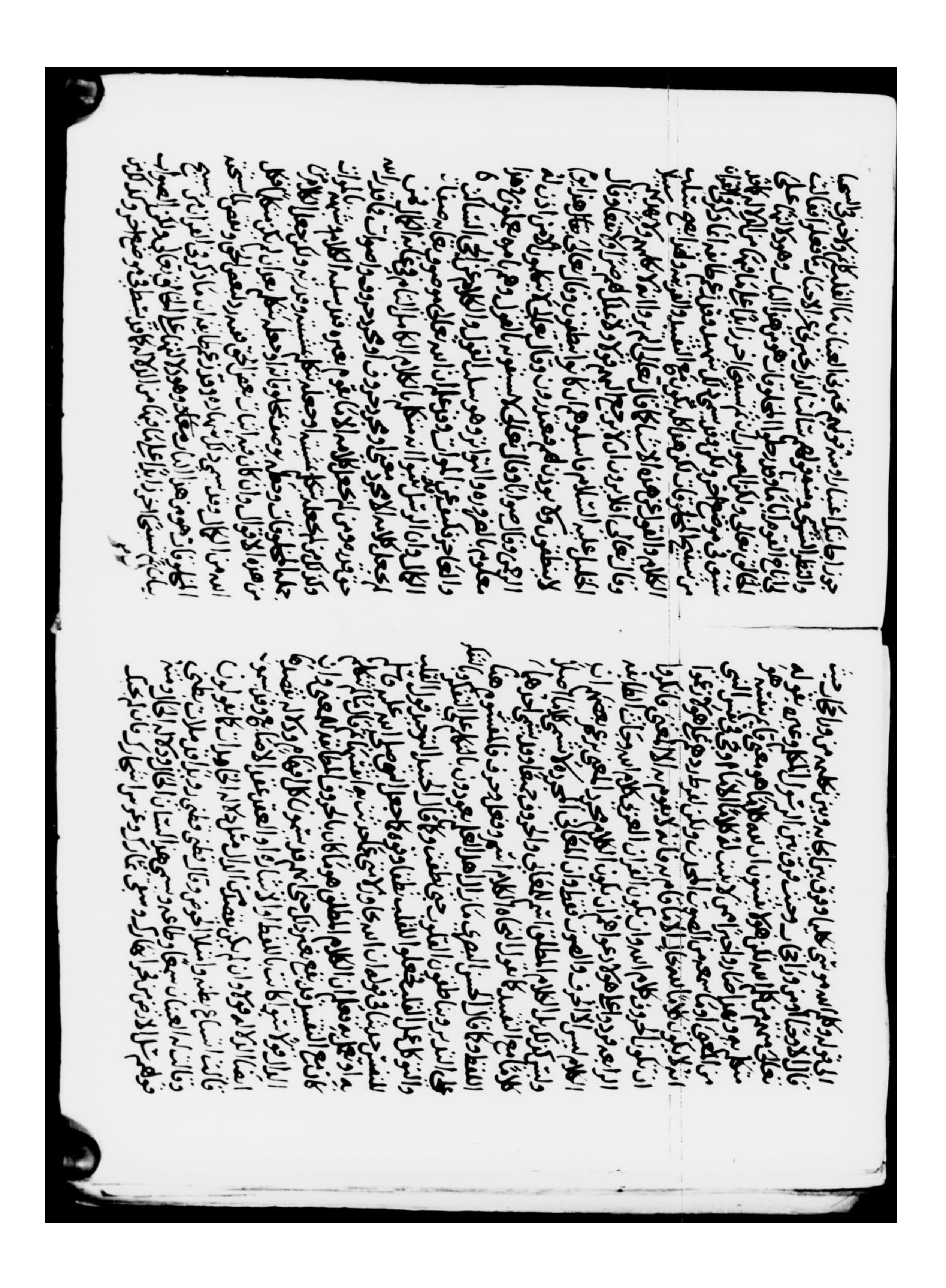
د- سقط لثلاث كلمات ص ٤٣٤ السطر السابع.

نماذج مصورة من النسخ الخطية

النسخة الأولى :نسخة الظاهرية بداية المخطوط :

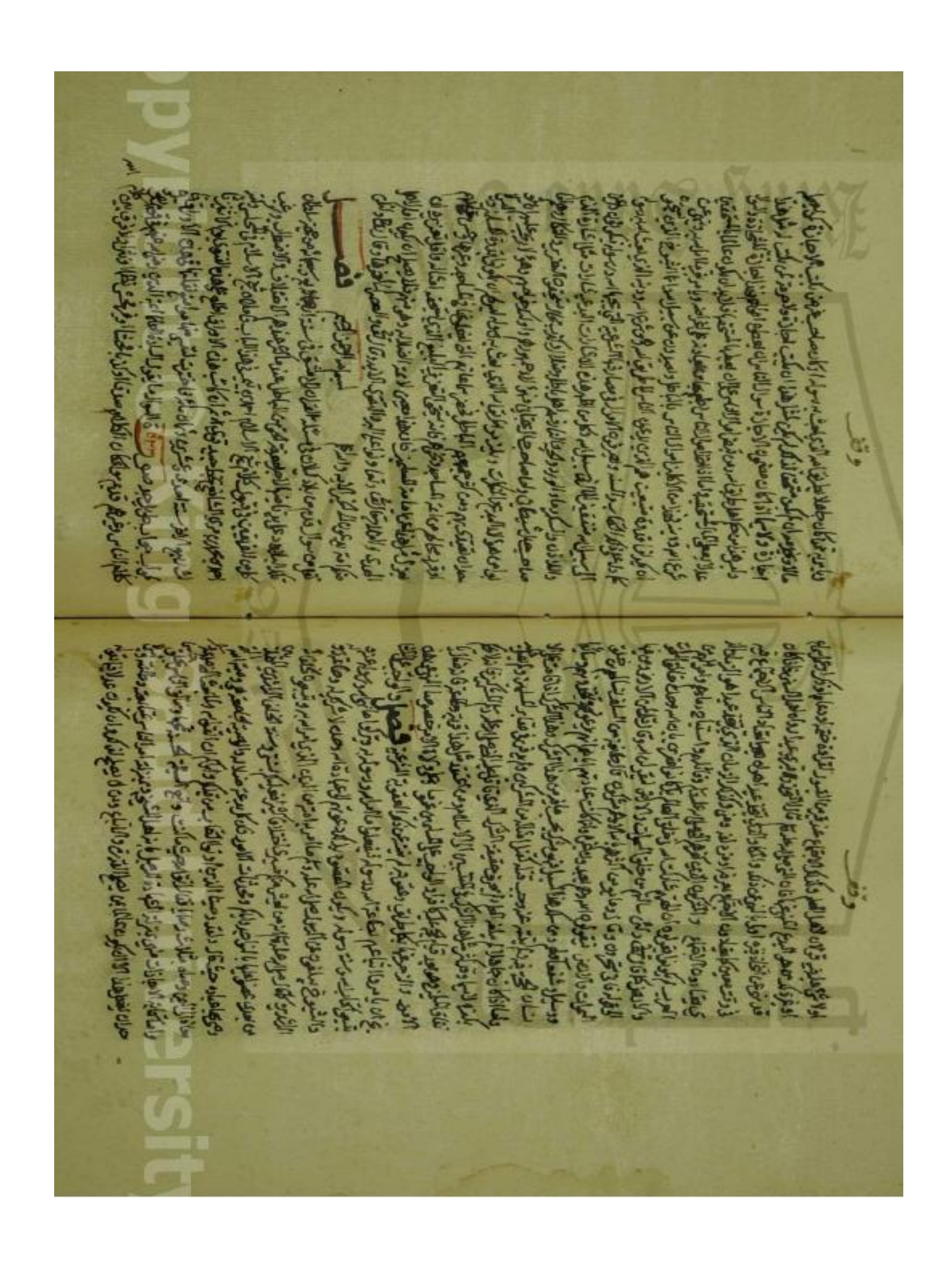


ورقة من وسط المخطوط:

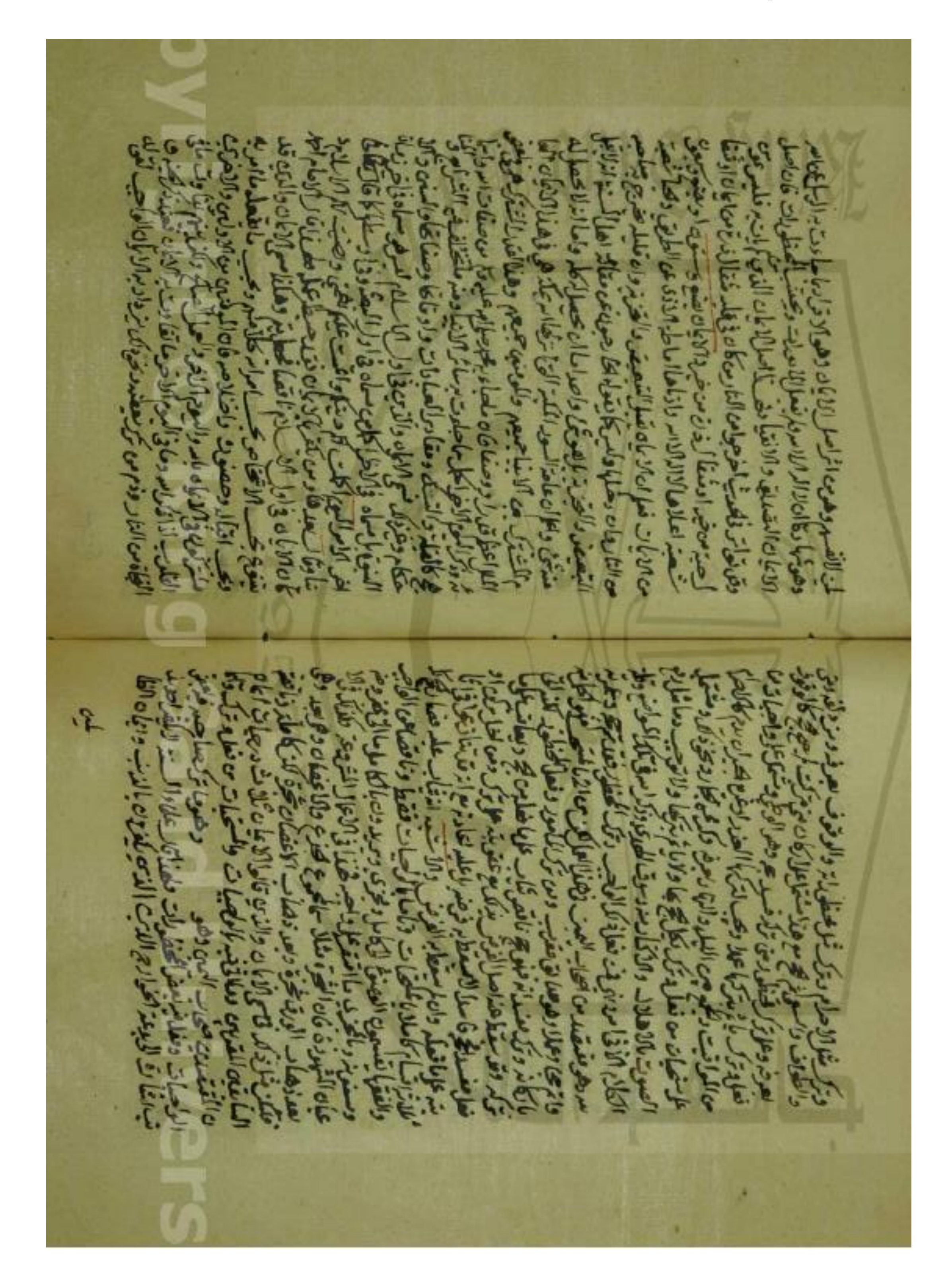


الورقة الأخيرة من المخطوط :

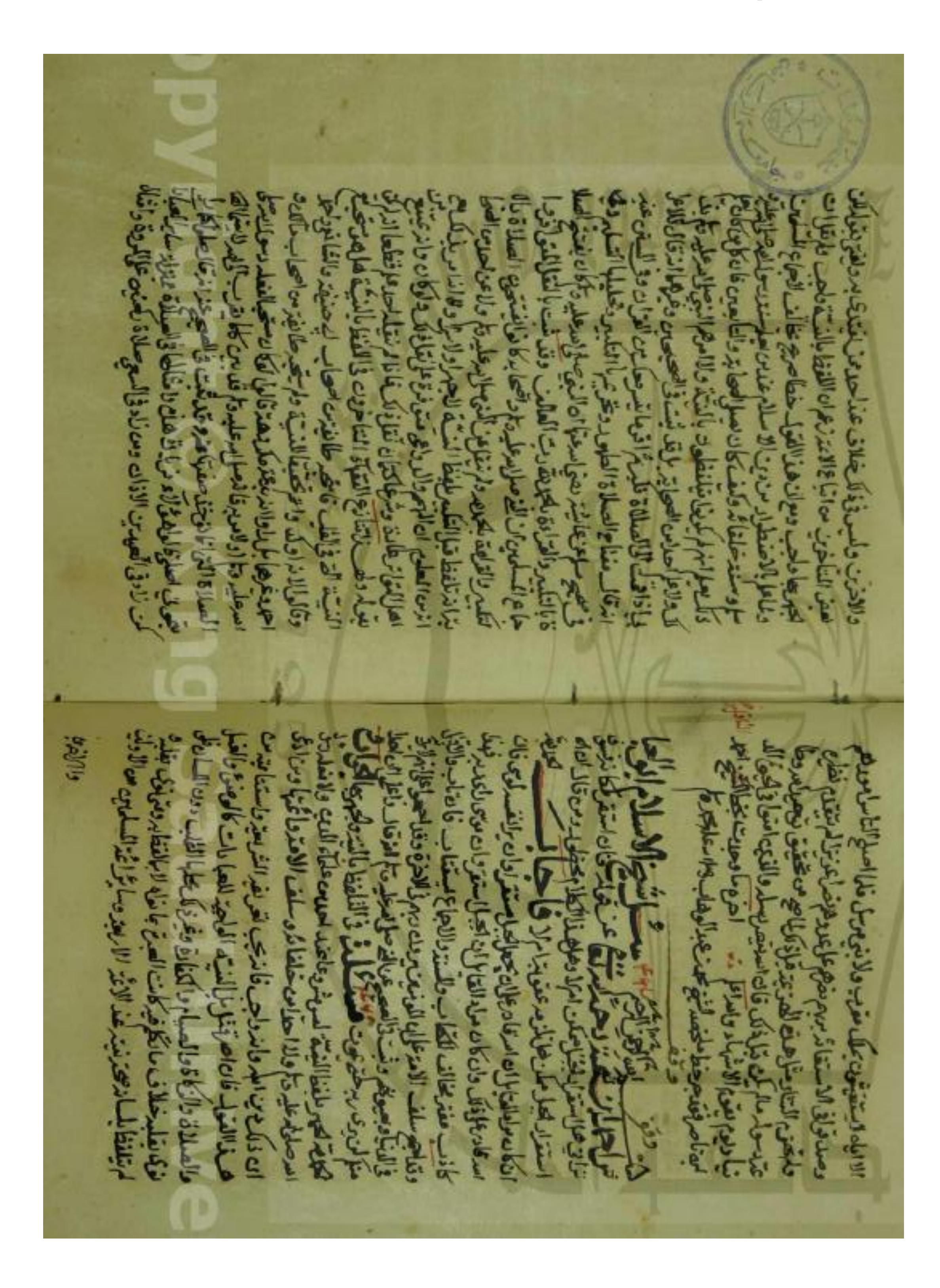
النسخة الثانية : نسخة مكتبة الأمير سلمان بجامعة الملك سعود (س) الورقة الأولى



ورقة من وسط المخطوط :



الورقة الأخير من المخطوط:



خاتمة الدراسة

الحمد لله وحده والصلاة السلام على من لا نبي بعده ، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد :

فأحمد الله تعالى على أن وفقني لإتمام دراسة وتحقيق كتاب " الرسالة الكيلانية" للإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله ، وأشكر الله على ذلك شكرا كثيرا.

وأحب أن أجمل أهم الفوائد من هذه الدراسة فيما يلي :

١. تميز عصر شيخ الإسلام بالمصائب على الأمة وطمع الأعداء فيها ، واختلاط العرب بالعجم والتأثر بالثقافات المختلفة.
٢. أثر الأسرة في نشأة الشخصية وهذا ظاهر بتأثر شيخ الإسلام بأسرته المشهورة بالعلم والتدين.
٣. أثر العلم الشرعي والتفقه في الدين على أيدي العلماء في تحصين الفرد وتمسكه بالمنهج الحق ومواجهة المخالفين.
٤. الصبر واليقين بالله -تعالى- أكثر ما يعين العالم في مواجهة البلاء الذي هو سنة الله .
٥. أهمية الرجوع إلى العلماء فيما يشكل من مسائل وعند الاختلاف.
٦. أن النية الحسنة لا تكفي في العمل بل لا بد من موافقة الشرع فكم من مريد للخير لا يدركه .

٧. أن تعدد أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية راجع إلى عدم تسميته لمؤلفه مما يجتهد طلابه في تسميته بجزء من مضمونه أو نسبة للبلد الذي ورد منه السؤال.

٨. ضرورة معرفة العلماء بالواقع والتصدي للبدع والإحداث في الدين وتبصير الناس بدينهم.

٩. أهمية أن يكون العالم قدوة حسنة في السراء والضراء.

١٠. ضرورة الرجوع إلى مصادر الدين القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وتمييز الصحيح من الضعيف وإلى كتب علماء السلف الصالح.

١١. العناية بتراث العلماء المخلصين أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وبذل الوسع في دراستها وتحقيقها .

أسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علما وأن يرزقنا السداد في القول والعمل والله ولي التوفيق وصلى الله على نبيننا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قسم التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الإسلام مفتي الأنام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية عن قوم يقولون: كلام الناس وغيرهم قديم –سواء كان صدقاً أو كذباً، فحشاً أو غير فحش، نظماً أو نثراً– ولا فرق بين كلام الله وكلامهم في القدم إلا من جهة الثواب. وقال قوم منهم– بل أكثرهم–: أصوات الحمير والكلاب كذلك، ولما قريء عليهم [ما](١) نقل عن الإمام أحمد(٢) رداً على قولهم تأولوا ذلك [القول](٣)، وقالوا: بأن(٤) أحمد إنما قال ذلك خوفاً من الناس فهل هؤلاء مصيبون أو مخطئون؟ [وإذا كانوا مخطئين](٥) [فهل](٦) على ولي الأمر(٧) –وفقه الله تعالى–(٨) زجرهم(٩) عن ذلك أم لا؟(١٠)، وهل(١١) يكفرون بالإصرار(١٢) على ذلك أم لا؟ وهل الذي نقل عن أحمد حق(١٣) كما زعموا أم لا؟

---

(١) (ما) ليست في الأصل ولا في (س) .

(٢) وخلاصة قوله: أن ما أنزل على الرسول ﷺ هو كلام الله وليس مخلوقاً وعرض شبه الجهمية: بأن القران مخلوق لأنه مُحدث و(أن المسيح كلمة الله) وما في السموات والأرض وما بينهما مخلوق، والرد: أن الذي به خلق السموات والأرض هو قوله، وهو محدث بالنسبة للنبيﷺ وأن المسيح بكلمته وهي (كن) . أنظر: كتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد (ص ١١١ وما بعدها).

(٣) (القول) : زيادة من (س).

(٤) في (س) إن.

(٥) ما بين المعكوفتين من (س).

(٦) في (الأصل)و(ط) وهل.

(٧) وقد كان ولي أمر المسلمين في عصر ابن تيمية رحمه الله الملك الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون وكانت إحدى ولايته (٦٩٩–٧٠٨) انظر: العقود الدرية لابن عبد الهادي(ص١٥١).

(٨) الجملة الدعائية ليست في (س).

(٩) في (س) درعهم وزجرهم.

(١٠) في (س) (وإذا وجب زجرهم عن ذلك) .

(١١) في (س) فهل .

(١٢) في (س) إذا أصروا أو لا.

(١٣) في (س) (...حق أو كما زعموا...).

[أفتونا مأجورين](١).

بداية جواب شيخ الإسلام

فأجاب [شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية](٢) **-رضي الله عنه**(٣)**-: الحمد لله: بل هؤلاء مخطئون في ذلك خطأً محرماً**(٤) **بإجماع المسلمين وقد قالوا ﴿مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾**[المجادلة: ٢] **؛ بل كفراً ومحالاً**(٥) **يجب نهيهم عنه**(٦)**, ويجب على ولاة الأمور عقوبة من لم ينته منهم عن ذلك، جزاءاً بما/ كسبوا ﴿نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾**[المائدة: ٣٨]**؛ فإن هذا القول مخالف للعقل [والنقل]**(٧) **والدين، مناقض للكتاب والسنة وإجماع المؤمنين، وهي بدعة شنيعة لم يقلها أحد قط من علماء المسلمين: لا**(٨) **علماء السنة ولا**(٩) **علماء البدعة، ولا يقولها عاقل يفهم ما يقول**(١٠)**؛ ولكن عرض لمن قالها شبهة، ونحن نبينها إن شاء الله –تعالى–.**

ط٣٢٣

---

(١) قوله: (أفتونا مأجورين) من (س).

(٢) ما بين المعكوفتين من (س).

(٣) الجملة الدعائية إيراد من الناسخ ولا يقصد بها الغلو في شيخ الإسلام ورفعه لدرجة الصحابة بل المقصود الدعاء وهذا جائز لكل مسلم، ولكن صار في العرف أن جملة عليه السلام خاصة بالنبيين، ورضي الله عنه خاصة بالصحابة، ورحمه الله وعفى الله عنه لمن بعد الصحابة.

(٤) في (س) (محرماً فاحشاً).

(٥) في (س) (بل كفر وضلال) قلت: يقصد بالمحال المستحيل ووجه الاستحالة: يستحيل أن يكون كلام الله ككلام المخلوق كما قالته الممثلة أو يكون كلام المخلوق ككلام الله كما قالته المشبهة أو يكون كلام الله عين كلام المخلوق كما قالته الحلولية.

(٦) في (س) (يجب نهيهم عن هذا القول الشنيع الفاحش).

(٧) (والنقل) زيادة من (س).

(٨) في (س) (لا من علماء السنة).

(٩) في (س) (لا من علماء البدعة).

(١٠) في (الأصل) (يقول له) وما أثبته من (ط) و (س).

ولا يحتاج في مثل هذا الكلام الذي فساده معلوم ببدائه العقول(١)، أن يحتج له بنقل عن إمام من الأئمة إلا من جهة بيان أن رده وإنكاره منقول عن الأئمة، وأن قائله مخالف للأئمة، مبتدع في الدين؛ ولتزول بذلك شبهة من يتوهم أن قولهم من لوازم قول أحد من السلف، ويعلم أنهم مخالفون لمذاهب الأئمة المقتدى بهم المعظمين؛ وليتبين أن نقيض قولهم منصوص عن الأئمة المتبعين في السنة، وليس ذلك مما سكتوا عنه نفياً وإثباتاً.

ظ١

نص الأئمة : أن أفعال العباد مخلوقة

فإنه(٢) لا ريب/ أن الإمام أحمد بن[محمد بن](٣)حنبل ومن قبله(٤) وبعده من الأئمة(٥)(٦)، الأئمة(٧)، نصوا على أن كلام الآدميين مخلوق –نصاً مطلقاً– بل نص أحمد وكثير من الأئمة(٧) على أفعال العباد عموماً، وعلى كلام الآدميين خصوصاً، ولم يمتنعوا عن هذا الإطلاق لأجل الشبهة التي عرضت لهؤلاء المبتدعة(٨) المخالفين، حتى لا يقول قائل منهم أو من غيرهم: إنه لا يقال مخلوق، ولا غير مخلوق لأجل شبهتهم، أو لكون الكلام في/ ذلك بدعة، بل القول بأن كلام الآدميين مخلوق غير قديم منصوص عن الأئمة المتفق على إمامتهم في الدين والسنة.

ط٣٢٤

فمنهم من نص عليه لما تكلم في مسائل القدر وخلق أفعال العباد ومنهم من نص عليه لما تكلم في مسألة تلاوة العباد للقرآن واللفظ به، ومنهم من نص عليه محتجاً به على الفرق

---

(١) في (س) ببديهة العقل.قلت: البدائه جمع بديهة والبديهة: أول كل شيء وما يفجأ منه.ووضوح الأفكار والقضايا بحيث تفرض نفسها على الذهن . انظر:المعجم الوسيط (ص٤٤).

(٢) في (ط) وأنه .

(٣) زيادة يحتاجها النص.

(٤) ممن أنكر القول: بخلق القران، قبل الإمام أحمد سفيان الثوري رحمه الله (ت١٦١هـ) ومالك بن أنس رحمه الله (ت١٧٩هـ) أنظر: الفتاوى الكبرى لأبن تيمية (٣١/٥).

(٥) من قوله: (المعظمين...) إلى قوله:(وبعده من الأئمة) ليست في (س).

(٦) ممن أنكر ذلك بعد الإمام أحمد الإمام الآجري (ت٢٨١) انظر كتابه الشريعة (٤٨٩/٢).

(٧) قوله: (وكثير من الأئمة) ليست في (س).

(٨) إلى هنا (س) ثم انتقل إلى قوله ومن المشهورص٧٣.

بين كلام الخالق وكلام المخلوق. فروى أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال(١) – وهو الذي جمع نصوص أحمد في أصول الدين، وأصول الفقه وفي أبواب الفقه كلها وفي الآداب والأخلاق والزهد والرقائق وفي علل الحديث وفي التاريخ وغير ذلك من علوم الإسلام–. روي في "كتاب السنة" في الكلام على اللفظية(٢) عن أبي بكر ابن زنجويه(٣)، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: (من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع لا يكلم)(٤).

قال الخلال: (وأخبرنا أبو داود السجستاني(٥) قال: سمعت أبا عبد الله يتكلم في اللفظية، وينكر عليهم كلامهم، وسمعت إسحاق بن راهويه(٦) ذكر اللفظية، وبدعهم)(٧)، وقال

---

(١) أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال، ولد سنة ٢٣٤هـ قال عنه الذهبي: الإمام، العلامة، الحافظ الفقيه، شيخ الحنابلة وعالمهم، له مصنفات منها: كتاب السنة، والجامع في الفقه، توفي سنة ٣١١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/٢٩٧)، ذيل طبقات الحنابلة (٣/٢٣)

(٢) اللفظية هم من قال: لفظي بالقران مخلوق وقد بدعهم السلف –رحمهم الله– انظر: معارج القبول (١/٢٩٢) وسيأتي الإشارة إلى حكم القول بهذا اللفظ.

(٣) محمد بن عبد الملك بن زنجويه سمع عبد الرزاق بن همام ويزيد بن هارون وسمع منه إبراهيم بن إسحاق الحربي وعبد الله بن أحمد بن حنبل توفي سنة ٢٥٨هـ. انظر: تاريخ بغداد (٢/٣٤٦/) ط الكتب العلمية.

(٤) انظر: كتاب السنة للخلال (٧/١٠٣)– طبع دار الراية تحقيق: د. عطية الزهراني. – ووجدته مختصراً في كتاب السنة لعبد الله بن احمد بن حنبل (١/١٦٣).

(٥) هو أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني؛ أحد حفاظ الحديث وعلمه وعلله، جمع كتاب "السنن" قديماً وعرضه على الإمام أحمد بن حنبل، رضي الله عنه، فاستجاده واستحسنه، توفي سنة ٢٧٥هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٠/٧٥) طبقات الحنابلة (١/٤٢٧).

(٦) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن عبد الله بن مطر بن عبيد الله بن غالب التميمي ثم الحنظلي المروزي، نزيل نيسابور.مولده سنة ١٦١هـ . وسئل عنه أحمد بن حنبل فقال: ومن مثل إسحاق، إسحاق يسأل عنه؟ وقال أيضاً: إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين وما عبر الجسر أحد أفقه من إسحاق. وقال إسحاق: أحفظ سبعين ألف حديث، وأذاكر بمائة ألف حديث، وما سمعت شيئاً قط إلا حفظته، ولا حفظت شيئاً قط فنسيته.توفي سنة ٢٣٨هـ له من الكتب: السنن في الفقه وكتاب المسند وكتاب التفسير. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/٣٥٨) طبقات الفقهاء (١/٩٤) الفهرست (٢٨٦).

(٧) انظر: كتاب السنة للخلال (٧/٧٧).

الخلال: سمعت ابن صدقة(١) قال سمعت يحيى بن حبيب بن عربي(٢) قال: سمعت رجلاً سأل معتمر بن سليمان(٣) أن لنا/ إماماً قدرياً أصلي خلفه قال: من زعم أن لفظه غير مخلوق بمنزلة من زعم أن سماء الله غير مخلوقة،(٤) قال الخلال: وأخبرني أبو بكرالمروذي،(٥) حدثنا حدثنا محمد بن يحيى الأزدي(٦) حدثني مسدد(٧) قال: كنت عند يحيى القطان(٨) وجاء يحيى يحيى بن إسحاق بن توبة العنبري(٩)،

٣٢٥ط

---

(١) ابن صدقة الحافظ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة البغدادي الحافظ. له مسائل سأل عنها أحمد بن حنبل أيام قطعه التحديث أخذها عنه الخلال.كان موصوفاً بالضبط والاتقان مات في محرم سنة ٢٩٣هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٨٦/٦) وسير أعلام النبلاء (٨٣/١٤) وطبقات الحفاظ (١٥٥/١).

(٢) يحيى بن حبيب بن عربي الحارثي، وقيل: الشيباني، أبو زكريا البصري قال المزي: ذكره ابن حبان في كتاب «الثقات»، مات بالبصرة سنة ٢٤٨هـ، وقيل بضع وخمسين ومائتين.قيل: كان عابداً ورعاً. انظر: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٩٥/١٢).

(٣) معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي كان من كبار العلماء. توفي سنة (١٨٧ هـ) سير أعلام النبلاء (٤٧٧/٨) تاريخ الإسلام (٤/ ٩٧٩).

(٤) السنة للخلال: (٩٧/٧) .

(٥) في (ط) المروزي وهو خطأ وهو: احمد بن محمد بن الحجاج بن عبد العزيز أبو بكر المروذي ولد في حدود ٢٠٠هـ كانت أمه مروذية وأبوه خوارزميا وهو المقدم من أصحاب أحمد لورعه وفضله روى عن الإمام أحمد مسائل كثيرة توفي سنة ٢٧٥هـ .انظر: طبقات الحنابلة (١٣٧/١) ، سير أعلام النبلاء (١٧٣/١٣).

(المَرُّوذِيُّ): منسوب إلى مروَ مَرُّوذ والرُّوذ بالفارسية النهر، وإليها ينسب أبو بكر المروذي.انظر: معجم البلدان(١١٢/٥).

(٦) محمد بن يحيى بن عبد الكريم بن نافع أبو عبد الله الأزدي ويعرف بابن أبي حاتم نزيل بغداد.توفي في شوال سنة ٢٥٢هـ.انظر: تاريخ بغداد (٦٥٥/٤) تارخ الاسلام (٢٠٤/٦).

(٧) مسدد بن مسرهد بن مسربل الأسدي أحد أعلام الحديث.ولد: في حدود سنة ١٥٠هـ.وكان من الأئمة الأثبات.توفي سنة ٢٢٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥٩١/١٠) وتاريخ الإسلام (٥/ ٧٠٠).

(٨) هو يحيى بن سعيد بن فروخ، مولى بني تميم، الحافظ العلم أبو سعيد البصري القطان الأحول،أحد الأئمة الكبار.مولده في أول سنة ١٢٠هـ. مات في صفر سنة ١٩٨هـ.انظر: تاريخ الإسلام (١٢٤٤/٤).

(٩) لم أجد له ترجمة قال د. سعود العتيبي : لعله أبو زكريا يحيى بن إسحاق الغيري روى عن حماد بن زيد ومعتمر بن سليمان عاش إلى ما بعد ٢٥٠هـ تقريباً .

فقال له يحيى: حدث هذا يعني مسدداً كيف قال حماد بن زيد(١) فيها؟ -[أي](٢)مسألتنا- [أي](٢)مسألتنا- فقال سألت حماد بن زيد عمن قال: كلام الناس ليس/ بمخلوق فقال هذا كلام أهل الكفر.وقال يحيى بن إسحاق سألت معتمر بن سليمان عمن قال كلام الناس ليس بمخلوق فقال هذا كفر(٣). فهذه الآثار ونحوها مما اعتمد عليها المشهورون بالسنة كالمروذي والخلال وغيرهما، وكذلك الإمام أبو عبد الله ابن بطة(٤) يعتمد في كتابه كتابه الإبانة الكبير(٥) على هذه الآثار ونحوها(٦). قلت: حماد بن زيد أحد الأئمة الأعلام في في السنة في طبقة مالك والثوري(٧) والأوزاعي(٨) وحماد بن سلمة(٩)،

ظ٢

(١) حماد بن زيد بن درهم الإمام أبو إسماعيل الأزدي أحد الأعلام، مولى آل جرير بن حازم، وكان مولده سنة ٩٨هـ، وعاش إحدى وثمانين سنة، قال ابن مهدي: أئمة الناس في زمانهم أربعة: الثوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام، وحماد بن زيد بالبصرة. تاريخ الإسلام(٦٠٨/٤).

(٢) بياض في الأصل وهي من (ط) وليست في (س) .

(٣) كتاب السنة للخلال(٩٣/٧).

(٤) عبيد الله بن محمد بن محمد العكبري ابن بطة،ولد ٣٠٤هـ، الإمام، القدوة، العابد، الفقيه، المحدث، شيخ العراق، مصنف كتاب (الإبانة الكبرى)توفي سنة٣٨٧هـ.انظر: طبقات الحنابلة (٢٥٦/٣) وسير أعلام النبلاء(٥٢٩/١٦).

(٥) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لابن بطة (ت ٣٨٧هـ)، تحقيق : عثمان عبد الله آدم الأثيوبي + رضا بن نعسان معطي + يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل + حمد بن عبد الله التويجري،(ن): دار الراية، الرياض.

(٦) في (ط) ونحوهما.

(٧) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ولد: سنة ٩٧هـ شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، مصنف كتاب (الجامع)، مات: سنة ١٢٦هـ. سير أعلام النبلاء (٢٣٠/٧) تاريخ الإسلام (٤٢٣/٣).

(٨) عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، ولد سنة ٨٨هـ ، توفي سنة ١٥٧هـ سير أعلام النبلاء (١٢٨/٧) تاريخ الإسلام (١٢٠/٤).

(٩) حماد بن سلمة بن دينار البصري الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، مات سنة ١٦٧ هـ سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٥٠) تاريخ الإسلام (٤/ ٣٤٢).

والليث بن سعد[1] في الزمان والإمامة بل هو عند علماء السنة أقعد بالسنة من الثوري، وإن كان الثوري أكثر علماً منه وزهداً، وعند علماء الحديث أحفظ للحديث من حماد بن سلمة وإن [كان][2] حماد أشهر بالزهد وأكثر دعاء إلى السنة وهو إمام البصرة[3] في ذلك الزمان الذي كانت البصرة فيه مجمع علم الإسلام، وكان علماء الأمة وورثة الأنبياء وخلفاء الرسل في ذلك العصر/ الذي هو عصر تابعي التابعين هؤلاء المسلمين ونحوهم وهم من القرن الثالث الممدوح. ط٣٢٦

و المعتمر بن سليمان أحد الأئمة الأعلام أيضاً، وهو دون حماد ابن زيد، وقد أدركه الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهما وهو أحد شيوخ الإمام أحمد وأما حماد بن زيد ففات الإمام أحمد فقال:(فاتني حماد بن زيد فعوضني الله بإسماعيل بن علية[4]،وفاتني مالك مالك بن أنس فعوضني الله سفيان بن عيينة[5])[6].

وأما يحيى بن سعيد القطان فهو أحد علماء السنة وهو إمام أهل الحديث في معرفة صحته وعلله ورجاله وضبطه حتى قال أحمد: (ما رأيت بعيني مثله)[7]، يعني في ذلك الفن وعنه

---

(١) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى ، أبو الحارث المصرى ، ولد سنة ٩٤ هـ بقرقشندة وتوفي سنة: ١٧٥ هـ سير أعلام النبلاء (٨/ ١٣٦) تاريخ الإسلام (٤/ ٧١٠).

(٢) (كان) ليست في الأصل وما أثبته من (ط).

(٣) إحدى المدن المشهورة بالعراق انظر: معجم البلدان (١/٤٣٠)

(٤) إسماعيل بن إبراهيم بن مِقْسَم، الإمام، العلامة، الحافظ، المشهور بابن عُلَيَّة، وهي أمه.ولد سنة ١١٠هـ كان فقيها، إماما، مفتيا، من أئمة الحديث. توفي سنة ١٩٣ هـ. سير أعلام النبلاء (٩/ ١٠٧) تاريخ الإسلام (٤/ ١٠٧٠).

(٥) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي ولده: بالكوفة، في سنة ١٠٧هـ وتوفي سنة ١٩٨ هـ بـمكة سير أعلام النبلاء (٨/٤٥٤) تاريخ الإسلام (٤/١١١٠).

(٦) تاريخ بغداد وذيوله ط. العلمية (٦/ ٢٣٣)، ونصه هكذا: (فاتني مالك، فأخلف الله عليّ سفيان بن عيينة وفاتني حماد بن زيد، فأخلف الله عليّ إسماعيل ابن علية)، وعنه ابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٩/ ٢٢٦)، وابن نقطة الحنبلي في التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد (ص: ١٦٣).

(٧) تاريخ بغداد وذيوله ط. العلمية (١٤/ ١٤٤)، ونصه هكذا: (لم تر عيني مثل يحيى بن سعيد). وانظر جملا=

أخذ ذلك علي بن المديني[1] وعن علي أخذ ذلك البخاري صاحب الصحيح وقد ذكر الترمذي أنه لم ير في معرفة علل الحديث مثل محمد بن إسماعيل البخاري.

انكار العلماء على من قال: كلام الآدميين ولفظهم غير مخلوق

وهؤلاء العلماء الأئمة أنكروا على من قال كلام الآدميين ولفظهم غير مخلوق لما نبعت[2] القدرية[3] المبتدعة، وزعموا: أن أفعال العباد غير مخلوقة لله لا أقوالهم ولا سائر أعمالهم لا خيرها ولا شرها؛ بل يقولون: هي محدثة أحدثها العبد، وليست مخلوقة/ لأحد[4] أو يقولون: العبد خلقها كما أنه أحدثها[5]؛ فإنهم قد يتنازعون في إثبات/ خلق لغير الله، ومع هذا فلم يكن بين الأمة نزاع في أنها محدثة كائنة بعد أن لم تكن، ولم يقل أحد: إنها قديمة؛ ولكن القدرية من المعتزلة[6] وغيرهم اعتقدوا أن الأفعال الاختيارية وما يتولد عنها من أفعال الملائكة والجن والإنس – الطاعات والمعاصي– لم يخلقها الله. قالوا: لأنه لو خلقها

جملا= =شَبيهةً بها للإمام في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٢٤٧)، والإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (٢/ ٥٠٥).

(١) علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح ولد سنة ١٦١هـ أمير المؤمنين في الحديث المعروف بابن المديني، صاحب التصانيف الواسعة مات سنة ٢٣٤هـ . سير أعلام النبلاء(١١/ ٤١) تاريخ الإسلام(٥/ ٨٨٧).

(٢) في (ط) نبغت .

(٣) القدرية: هم الذين يزعمون أن لهم الاستطاعة والمشيئة والقدرة وأنهم يملكون لأنفسهم الخير والشر والضر والنفع والطاعة والمعصية والهدى والضلال وأن العباد يعملون بدءاً من غير أن يكون سبق له ذلك من الله عز وجل أو في علمه وقولهم يضارع قول المجوسية والنصرانية وهو أصل الزندقة. طبقات الحنابلة (٦٦/١).

(٤) مقالات الإسلاميين (ص: ٢٢٧)، والفرق بين الفرق (ص: ١١٤-١١٥)، والفصل لابن حزم (٤/ ٥٧)، والملل والنحل (١/ ٣٩)، والتبصير في الدين للاسفراييني (ص: ٦٦)، والبرهان للسكسكي (ص: ٥٢).

(٥) مقالات الإسلاميين (ص: ٢٢٨)، والفصل لابن حزم (٤/ ٥٧).

(٦) اصحاب واصل بن عطاء(ت١٨١هـ)، وسموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد وعنوا بالتوحيد نفي الصفات الإلهية لاعتقادهم أن أثباتها يستلزم التشبيه ومن شبه الله بخلقه فقد أشرك ويلقبون بالقدرية والعدلية. انظر:الملل والنحل للشهرستاني (٣٨/١) وفيات الأعيان (٦/ص٧) فتح الباري في كتاب الوحيد(٣٥٧/١٣).

للزم أن يكون العبد مجبوراً، وأن يرتفع التكليف والوعد والوعيد والثواب والعقاب؛ ولأن العبد يعلم أنه هو الذي يحدث أفعاله علماً ضرورياً [وعللوا](١) ذلك بأدلة نظرية.

فلما ابتدعوا هذه المقالة أنكرها أئمة السنة، كما أنكر الصحابة رضوان الله عليهم أول هذه البدعة لما نبعت(٢) القدرية في أواخر عصر الصحابة فرد عليهم ابن عمر(٣) وابن عباس(٤) وواثلة بن الأسقع(٥) وغيرهم من الصحابة.

وبين الأئمة أن من جعل شيئاً من المحدثات كأفعال العباد وغيرها ليس مخلوقاً لله، فهو مثل من أنكر خلق الله لغير ذلك من المحدثات كالسماء والأرض؛ فإن الله رب العالمين، ومالك الملك، وخالق كل شيء، فليس شيء من العالمين خارجاً عن ربوبيته، ولا شيء من الملك خارجاً عن ملكه ولا شيء من المحدثات خارجاً عن خلقه. قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾الزمر:٦٢- ٦٣ قال تعالى: ﴿ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾/الرعد: 62 وقال تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ﴾ الأنعام: ١٠١ وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

٣٢٨ط

---

(١) في الأصل (وعلي) وما أثبته من (ط).

(٢) في (ط) نبغت .

(٣) انظر: صحيح مسلم (ح ٨)، وأصول الاعتقاد (٤/ ٧١١-٧١٢، و ٧٧٢- ٧٧٣، و٧٨٣)، والسنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٣٢)، والإبانة عن أصول الديانة (٢/ ١٦٦-١٦٧).

(٤) انظر: أصول الاعتقاد (٣/ ٥٩٧، و٦٦٠، و ٤/ ٦٩١، و ٧٠٠، و٧٤٢-٧٤٣، و ٧٧١-٧٧٢، و ٧٨٧)، والإبانة عن أصول الديانة (١/ ٣٣٨، و ٢/ ١٢٠، ١٥٦-١٥٨، و ١٦١-١٦٦ و ٣١٠).

(٥) واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر الليثي أسلم سنة تسع، وشهد غزوة تبوك، وكان من فقراء المسلمين – رضي الله عنه – طال عمره وهوآخر من مات بدمشق من الصحابة توفي ٨٥هـ .سير أعلام النبلاء (٣/٣٨٣) تاريخ الإسلام (٢/١٠١٥).

(٦) انظر: أصول الاعتقاد (٤/ ٨٠٦-٨٠٧) والإبانة (٢/٢٦٠).

﴿هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٠٢﴾ الأنعام: ١٠٢ وقال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ الأنعام: ١٠٣ وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ٦٢﴾ غافر: ٦٢ وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ٢﴾ الفرقان: ٢ وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ٤٩﴾ القمر: ٤٩ وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾ النحل: ١٧ وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٨﴾ النحل: ١٨ وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ١٩﴾ النحل: ٦٤ وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ٢٠ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ٢١﴾ النحل: ٢٠- ٢١ .

ظ٤

ولهذا كان أهل السنة والجماعة والحديث هم المتبعين لكتاب الله المعتقدين بموجب هذه النصوص حيث جعلوا كل محدث من الأعيان والصفات والأفعال المباشرة والمتولدة وكل حركة طبعية أو إرادية أو قسرية فإن الله خالق كل ذلك جميعه وربه ومالكه ومليكه ووكيل عليه، وأنه سبحانه على كل شيءٍ قدير، وبكل شيءٍ عليم، فآمنوا بعلمه المحيط، وقدرته الكاملة، ومشيئته الشاملة، وربوبيته التامة؛ ولهذا/ قال ابن عباس: الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده(١).

٣٢٩ط

(١) رواه الطبراني في الأوسط بلفظ: (إن القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن لم يؤمن بالقدر كان ناقضا للتوحيد) (٤/٤٦)، وابن بطة في الإبانة (٤/ ١٥٩) ، واللالكائي (٧٤٢/١) وذكره الهيثمي في المجمع(٤٠٤/٧) وقال:(رواه الطبراني في الأوسط وفيه هانئ بن المتوكل وهو ضعيف).

صفة الله داخلة في مسمى أسماءه

وأما صفة الله تعالى فهي داخلة في مسمى أسمائه الظاهرة والمضمرة فإذا قلت: عبدت الله، ودعوت الله و﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾الفاتحة: ٥ فهذا الاسم لا يخرج عنه شيءٌ من صفاته من علمه ورحمته وكلامه وسائر صفاته؛ ولهذا قال النبي –صلى الله عليه وسلم-: "من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"(١) وقال: "من حلف بغير الله فقد أشرك"(٢). وقد ثبت عنه: "الحلف بعزة الله"(٣) والحلف بقوله: "لعمر الله"(٤) فعلم أن ذلك ليس حلفاً بغير الله فأعطوا هذه الآيات المنصوصة حقها في اتباع عمومها الذي قد صرحت به في أن الله خالق كل شيء؛ إذ قد علم أن الله ليس هو داخلاً في المخلوق وعلم أن صفاته ليست خارجةً عن مسمى اسمه.

وأما المعتزلة الذين جمعوا التجهم(٥) والقدر فأخرجوا عنها ما يتناوله الاسم يقيناً من أفعال الملائكة والجن والإنس والبهائم: طاعاتها وغير طاعاتها، وذلك قسط كبير من ملك الله وآياته؛ بل هي من محاسن ملكه وأعظم آياته ومخلوقاته، وأدخلوا في ذلك كلامه لكونه يسمى شيئاً(٦) في مثل قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ ﴾الأنعام: ٤٦ ولم ينظروا في أن ذلك مثل/ تسمية علمه شيئاً في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾البقرة: ٢٥٥/ وتسمية نفسه شيئاً في

ظ٥
ط٣٣٠

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات باب كيف يستحلف؟ (٢/٢٦١رقم ٢٦٧٩).
(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأيمان والنذور باب في كراهية الحلف بالآباء قال الألباني: صحيح (ص٥٨٥رقم ٣٢٥١)وأخرجه الترمذي في كتاب الأيمان والنذور باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله وقال : حديث حسن (٤/١١٠ رقم ١٥٣٥).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته (٤/٢٢١رقم ٦٦٦١).
(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور باب قول الرجل لعمر الله (٤/٢٢١رقم ٦٦٦٢).
(٥) التجهم إنكار صفات الله تعالى انظر: منهاج السنة (١/٤٢)وكذلك أنكروا القدر وقالوا: لا قدر والأمر أنف ، فجمعوا بين نفي العلم لله ونفي القدر انظر: الفرق بين الفرق (ص٢١١).
(٦) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص ٦٠٤).

قوله تعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾الأنعام: ٦٤ وأن قوله: ﴿ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يعم بحسب ما اتصل به من الكلام.

تنوع دلالة الاسم بحسب قيوده

فإن الاسم تتنوع دلالته بحسب قيوده. ففي قوله تعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٩. دخل في ذلك نفسه لأنها تصلح أن تعلم وفي قوله: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ المائدة: ١٢٠. دخل في ذلك ما يصلح أن يكون مقدوراً وذلك يتناول كل ما كانت ذاته ممكنة الوجود وقد يقال: دخل في ذلك كل ما يسمى شيئا بمعنى مشيئاً فإن الشيء في الأصل مصدر وهو بمعنى المشيء، فكل ما يصلح أن يشاء فهو عليه قدير، وإن شئت قلت: قدير على كل ما يصلح أن يقدر عليه. والممتنع لذاته ليس شيئاً باتفاق العقلاء. وفي قوله: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾الزمر: ٦٢ قد علم أن الخالق ليس هو المخلوق، وأنه لا يتناوله الاسم، وإنما دخل فيه كل شيء مخلوق: وهي الحادثات جميعها(١).

هذا مع أن أهل السنة يقولون إن العبد له مشيئة وقدرة وإرادة وهو فاعل لفعله حقيقة، وينهون عن إطلاق الجبر(٢) فإن لفظ الجبر: يشعر أن الله أجبر العبد على خلاف مراد العبد، كما تُجبر المرأة على النكاح وليس كذلك؛ بل العبد مختار يفعل باختياره ومشيئته ورضاه ومحبته ليس مجبوراً عديم الإرادة، والله خالق هذا/ كله؛ فإن هذه الأمور من المحدثات الممكنات فالدلالة على أن الله خالقها كالدلالة على أنه خالق غيرها من المحدثات وليس هذا موضع الكلام على هذا فإن ذلك له موضع آخر.

ط٣٣١

---

(١) قلت: هذا بخلاف مفهوم الشيء بمعنى الوجود كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾الأنعام: ٦٤

(٢) انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص ٨٩-٩٢).

ضلالات من قال: إن أفعال العباد قديمة

وإنما الغرض هنا أن الأئمة ردوا على من جعل أقوال العباد وأفعالهم خارجة عن خلق الله وجعلوا ذلك بمنزلة من جعل السماء والأرض ليس مخلوقاً(١) لله . هذا مع أن أولئك المبتدعين كانوا يقولون: إنها محدثة ليست قديمة، فكيف إذا قيل : إنها قديمة؟! فإن ذلك يصير ضلالين بل ثلاث ضلالات.

أحدها: جعل المحدث المصنوع صفة لله قديمة مضاهاة للنصارى ونحوهم/. ظ٦

والثاني: إخراج مخلوق الله ومقدوره عن خلقه وقدرته كما قالته القدرية مضاهاة للمجوس ونحوهم.

والثالث: إخراج فعل العبد ومقدوره وكسبه عن أن يكون مقدوراً له وكسباً وفعلاً مضاهاة للجبرية القدرية المشركية، فهذا كان وجه كلام أولئك الأئمة في هذا.

ثم لما حدثت بدعة اللفظية(٢) احتج أئمة ذلك العصر في جملة/ ما احتجوا به بكلام أولئك السلف مثل البخاري الإمام صاحب "الصحيح"(٣)، ومثل أبي بكر المروذي الإمام صاحب الإمام أحمد بن حنبل وخلق كثير في زمنه، ومثل أبي بكر الخلال ونحوه. فاستدل هؤلاء الأئمة وغيرهم على بطلان قول من يقول: إن فعل العبد أو صفاته المتعلقة بصفات الله غير مخلوقة بما دل على أن أفعال العباد وصفاتهم مخلوقة. فروى البخاري عن أبي قدامة(٤) ط٣٣٢

---

(١) في (ط) مخلوقة .

(٢) الشريعة للآجري (١/٢٣٥-٢٤٥) ، اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/٢٣٩).

(٣) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل البخاري، أبو عبد الله(ت٢٥٦هـ) له عدة طبعات منها: المطبعة السلفية-القاهرة تحقيق: محب الدين الخطيب الناصر.

(٤) الإمام، العالم، الحافظ، شيخ الإسلام، أبو قدامة عبيد الله بن سعيد بن يحيى بن برد اليشكري مولاهم، السرخسي، نزيل نيسابور.قال البخاري: مات سنة ٢٤١هـ.سير أعلام النبلاء (١١/٤٠٥) تاريخ الإسلام (٥/١١٧٧).

عن يحيى بن سعيد القطان قال: "ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: أفعال العباد مخلوقة"[(١)].
وروى المروذي[(٢)] صاحب الإمام أحمد والخلال ما تقدم ذكره من كلام الأئمة من النص على خلق كلام الآدميين وأفعالهم. وسيأتي إن شاء الله نصوص الإمام أحمد في ذلك فإن القصد هنا التنبيه على الأصل الذي تشعب منه تفرق الأمة في هذا الموضع وهو مسألة اللفظ.

---

(١) انظر: خلق أفعال العباد (٢/٧٠ رقم ١٣٢) وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات باب الفرق بين التلاوة والمتلو (٢/٦-٧ رقم ٥٧٠) وتغليق التعليق فصل: في ذكر الرواة عن البخاري (٥/٤٣٢).
(٢) في (ط) المروزي.

فصل

مسألة اللفظ بالقرآن

ومسألة اللفظ بالقرآن قد اضطرب فيها أقوام لهم علم وفضل ودين وعقل، وجرت بسببها مخاصمات ومهاجرات بين أهل الحديث [١] والسنة [٢] حتى قال ابن قتيبة [٣] كلاماً معناه لم يختلف أهل الحديث في شيء من/ مذاهبهم إلا في مسألة اللفظ [٤]. وبين [٥] سبب ذلك لما وقع فيها من الغموض [٦]، والنزاع بينهم في كثير من المواضع لفظي، ولم يكن بين الناس نزاع في أن كلام العباد الذي لم ينزله الله تعالى أنه محدث مخلوق، وإن كان الكلام

٣٣٣ط

(١) أهل الحديث: هم من جعل كلام الرسول ﷺ مصدراً من مصادر التلقي يستفاد منه عقائد الإسلام الصحيحة ويبنى عليه سموا بذلك ردا على أهل الكلام الذين ادعوا أن عقولهم أولى بالتقديم من الحديث النبوي في باب العقائد بدعوى أنه لا يفيد إلا الظن. انظر: الفتاوى (٩٥/٤) والمدخل لدراسة العقيدة للبريكان (ص١٩) قلت: ولعل المراد من اشتغل بالحديث ولم يبرز في مسائل الاعتقاد.

(٢) أهل السنة: هم أهل العقيدة الصحيحة الثابتة بالكتاب والسنة وممن استعمل هذا المعنى الإمام أحمد رحمه الله في كتابه "السنة" فقد ضمنه العقيدة الصحيحة وكذا فعل ابنه عبد الله في كتابه "السنة" وأيضاً كتاب "السنة" لابن أبي عاصم. انظر: المدخل لدراسة العقيدة للبريكان (ص١٧) ومدخل لدراسة العقيدة ضميرة (ص٩٤) قلت : ولعل المراد من اشتغل بمسائل الاعتقاد ولم يبرز في الحديث وعلومه.

(٣) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري،ولد سنة ٢١٣هـ له مصنفات منها: و(غريب القرآن)، و(غريب الحديث)، و(المعارف)، و(مشكل القرآن)، و(مشكل الحديث) و(الرد على من يقول بخلق القرآن)، اهم بالتشبيه وأنكر ذلك الذهبي وله مصف في الرد على الجهمية والمشبهة توفي سنة ٢٧٦هـ.انظر: تاريخ بغداد (٤١١/١١) وسير أعلام النبلاء (٢٩٦/١٣) وعقيدة الإمام ابن قتيبة للدكتور: علي العلياني (ص١٥٤).

(٤) انظر كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية لابن قتيبة (ص٥٧).

(٥) في (ط): (وبين أن سبب ذلك) .

(٦) لأنه من الألفاظ المجملة المحتملة لمعنيين:

أ–فقد يراد به مصدر اللفظ والتلاوة الذي هو فعل العبد وأفعال العباد مخلوقة فمن جعل شيئاً من أفعالهم وأصواهم وغير ذلك من صفاهم غير مخلوق فهو مبتدع.

ب–وقد يراد باللفظ نفس الملفوظ وهو القرآن نفسه، ومن قال كلام الله مخلوق فهو جهمي.انظر: فتاوى ابن تيمية:(١٧٠/١٢) مختصر الصواعق المرسلة للموصلي (١٣٥٣/٤).

في حروف الهجاء وفي أسماء المحدثات فيه نزاع هو الذي أوقع هؤلاء الجهال في ما ارتكبوه من المحال، كما سننبه عليه -إن شاء الله تعالى-.

ولا يتسع هذا الجواب لشرح مسألة اللفظ مبسوطاً؛ ولكن ننبه عليه مختصراً فنقول: إن الله تعالى/ أرسل رسله وأنزل عليهم كتبه وأمرهم أن يبلغوا إلى الناس ما أنزل الله عليهم من وحيه وكلامه فمن الناس من آمن بالله ورسله وصدقهم فيما جاءوا به من عند الله وأطاعهم فيما أمروا به. وهؤلاء هم المؤمنون في كل وقت وزمان، وهم أهل الجنة والسعادة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ﴾ الحديد: ٢١ و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ﴾ البقرة: ٦٢.

ظ٧

ومن الناس من كفر بهم وكذب مثل: الأمم الذين قص الله علينا أخبارهم من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة(١) وفرعون/ ومشركي العرب وكل من لم يؤمن بأصل الرسالة من الهند والبراهمة(٢) وغيرهم والترك(٣) والسودان(٤) وغيرهم من الأمم الأميين الذين لا كتاب لهم سواء كانوا مكذبين للرسل أو معرضين عن اتباعهم؛

ط٣٣٤

(١) أصحاب الأيكة : هم أهل مدين. والأيكة : الشجر الملتف.انظر: مقاييس اللغة لابن فارس(١/١٦٥) وجامع البيان تفسير سورة الشعراء آية ١٧٦(١٧/٦٣٢)

(٢) البراهمة: تجمع أصناف من الهنود اقروا بالخالق وأنكروا الرسالة وزعموا بأن العقل يكفي فيما يجب لله. انظر:الملل للشهرستاني (١/٦٣) والبدء والتاريخ لمطهر المقدسي (١/١١٧) وتاريخ الإسلام (٥/٧٣٦).

(٣) الترك: في الأصل هم من ولد يافث بن نوح عليه السلام، وهم أجناس كثيرة وليس لهم دين، ومنهم من هو على دين المجوسية ومنهم من هود. أخبار الزمان للمسعودي (ص٩٩).قلت: كان ذلك قبل الإسلام وأما بعده فكثر فيهم المسلمون.

(٤) السودان: في الأصل من ولد حام بن نوح عليه السلام نزلوا على ساحل البحر فكثرهم الله وأنماهم فهم السودان. انظر: المعارف (ص٢٦). قلت: كان ذلك قبل الإسلام وأما بعده فكثر فيهم المسلمون.

حقيقة الكفر وأنواعه

فإن الكفر: عدم الإيمان بالله ورسله سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب بل شك وريب، أو إعراض عن هذا كله حسداً أو كبراً، أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة، وإن كان الكافر المكذب أعظم كفراً وكذلك الجاحد المكذب حسداً مع استيقان(١) صدق الرسل، والسور المكية كلها خطاب مع هؤلاء.

ولهذا يقول سبحانه: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾الشعراء: ١٠٥ لأنهم كذبوا جميع الرسل ولم يؤمنوا بأصل الرسالة، وقد قال تعالى لما أهبط أباهم آدم: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ طه: ١٢٣ - ١٢٧. فأخبر أنه إذا أتاهم هدى منه، وهو ما أنزله على رسله من الذكر فمن اتبعه اهتدى وسعد في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عنه شقي وعمي// ولهذا قال في أوائل البقرة في نعت المؤمنين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾البقرة: ٥ كما قال هنا: ﴿ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ طه: ١٢٣ فإن الهدى ضد الضلال، والفلاح ضد الشقاء، وقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾الأعراف: ٣٥ - ٣٦.

ظ٨
ط٣٣٥

ومن الناس من آمن ببعض ما جاءت به الرسل وكفر ببعض، كمن آمن ببعض المرسلين دون بعض، واليهود والنصارى حيث آمنوا بموسى، أو موسى والمسيح معه دون محمد –

(١) في الأصل استيقات وما أثبته من (ط).

صلى الله عليه وسلم-؛ ولهذا يخاطب الله في القرآن الأميين الذين لم يتبعوا رسولاً وأهل الكتاب المصدقين ببعض الرسل، كما في قوله: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾آل عمران:٢٠وفي قوله: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ ﴾البينة: ١.

موقف الفلاسفة من الرسالة

وكمن آمن ببعض صفات الرسالة وكفر ببعض: من الصابئين(١) الفلاسفة ونحوهم: الذين قد يقرّون بأصل الرسالة؛ لكن يجعلون الرسول بمنزلة الملك العادل: الذي قد وضع قانوناً لقومه أو يقولون: إن الرسالة للعامة دون الخاصة، أو في الأمور العملية دون العلمية، أو في الأمور التي يشترك فيها الناس دون الخصائص التي يمتاز بها الكُمَّل/، ويقرون برسالة محمد-صلى الله عليه وسلم- من حيث الجملة، ويعظمونه، ويقولون: اتفق فلاسفة العالم على أنه لم يرد إلى الأرض ناموس أعظم من ناموسه؛ لكنهم مع هذا يكفرون ببعض ما جاء [به] (٢): مثل أن يسوغوا اتباع غير دينه من اليهودية والنصرانية، وقد يسوغون الشرك أيضا للعامة أو للخاصة: مثل أن يسوغوا دعوة الكواكب وعبادتها والسجود لها، وقد يكذبون في الباطن بأشياء مما أخبر بها ويزعمون أن ما أخبر به من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر إنما هي أمثال مضروبة لتفهيم/ العامة ما لا يجوز إظهاره وإبانة حقيقته؛ وذلك أنهم يجوزون كذبه لمصلحة العامة بزعمهم.

ط٣٣٦

ظ٩

(١) الصابئة : قوم يقولون أن مدير العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة والنجوم ، فهم عبدة الكواكب . انظر ومكان تواجدهم في العراق وإيران. انظر: الملل والنحل (٣٠٨/٢) واعتقادات فرق المسلمين والمشركين الرازي (ص ٩٠) .

(٢) (به) ليست في الأصل وما أثبته من (ط).

وقد يزعمون أن حقيقة العلم بالله تؤخذ من غير ما جاء به الرسول، وأن من الناس من يكون أعلم بالله منه أو أفضل منه، ونحو ذلك من المقالات، وهذا الضرب ما زال موجوداً لا سيما مع القرامطة(١) الباطنية(٢):

من الإسماعيلية(٣) والنصيرية(٤) والملوك العبيدية(٥): الذين كانوا يدعون الخلافة، ومع الخرمية(٦)، والمزدكية(٧)، وأمثالهم من الطوائف، وهؤلاء خواصهم أكفر من اليهود والنصارى ومن الغالية الذين يقولون بإلهية علي ونحوه من البشر أو نبوته، وهم منافقون زنادقة؛ لكن في كثير من أتباعهم من يظن أنه مؤمن بالكتب والرسل لما لبسوا عليه أصل

(١) القرامطة: هم أتباع حمدان قرمط بن الأشعث قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل وكان أول ظهورهم عام ٢٧٨هـ يقولون: أن الله نور علوي لا كالأنوار ثم تولد عنه نور هم الأنبياء والأئمة وقالوا: بوجوب تجسد الإله في صورة بشرية حتى يتمكنوا من عبادته وأنكروا البعث ومنهم من قال: بتناسخ الأرواح. انظر: التنبيه والرد للملطي (ص١٧) الملل والنحل(١/٢٢٩) فضائح الباطنية للغزالي (ص١٢) والحركات الباطنية في العالم الإسلامي (ص١٣٥).

(٢) الباطنية: لقبوا بذلك لدعواهم أن للنصوص ظاهراً وباطناً ولكل تنزيل تأويل، وهي عند العقلاء -كما زعموا- رموز وإشارات من اقتنع بالظاهر كان تحت الأغلال التي هي تكاليف الشرع ومن ارتقى إلى الباطن انحط عن التكليف واستراح من أعبائه. انظر: الملل والنحل(١/٢٢٨) تلبيس ابليس (ص١٠٠) فضائح الباطنية للغزالي (ص١١) الفرق بين الفرق (ص ٢٤٧).

(٣) الإسماعيلية: من فرق الرافضة قالوا بإمامة إسماعيل بن جعفر وطائفة قالت بإمامة محمد بن إسماعيل، انظر: المقالات والفرق للقمي (ص٨٠)ومقالات الاسلاميين (ص٢٦) والتبصير في الدين للاسفراييني (ص٣٨) والملل والنحل (٢/٢٢٦).

(٤) النصيرية: نسبة إلى محمد بن نصير النمري من غلاة الشيعة قالوا بألوهية علي وتناسخ الأرواح والتأويل بالباطن. انظر فتاوى ابن تيمية (٣٥/١٦١) والحركات الباطنية في العالم الإسلامي (ص ٣٢١).

(٥) الملوك العبيدية: وتعرف بالدولة الفاطمية تزعم أنها من آل بيت النبي ﷺ وقد طعن في ذلك أهل التاريخ وقد أسسها في المغرب عبيد الله المهدي سنة ٢٩٧هـ.انظر: اتعاظ الحنفاء للمقريزي (ص ٢٢).

(٦) الخرمية: هم اتباع بابك الخرمي ادعى الألوهية وأحدث القتل والحروب والغصب.انظر: الفهرست (ص٤٠٦).

(٧) المزدكية : اتباع مزدك الذي قال بإلهين للكون هما: النور والظلمة دعا لإباحية في المال والنساء واشتراك الناس فيها .انظر: الملل والنحل (١/٢٩٥).

قولهم، أو وافقهم في قول بعضهم دون بعض، وأكثر هؤلاء يميلون إلى الرافضة، ومنهم/ ٣٣٧ط
من ينتسب إلى التصوف، ومنهم من ينتسب إلى الكلام، ومنهم من يدخل مع الفقهاء في مذاهبهم. وهذا الضرب يكثر في الدول الجاهلية البعيدين عن معرفة الإسلام والتزامه، كما كانوا كثيرين في دولة الديلم[1] والعبيديين ونحوهم، وكما يكثرون في دولة الجهال من الترك ونحوهم من الجهال الذين آمنوا بالرسالة من حيث الجملة من غير علم بتفاصيل ما جاء به الرسول، لأن الجهال من الترك وغيرهم بهذا الضرب أشبه منهم بغيرهم؛ فإن هؤلاء لا يوجبون اتباع الرسول على جميع أهل الأرض؛ لكنهم قد يرون اتباعه أحسن من اتباع غيره فيتبعونه على سبيل الاستحباب أو يتبعون بعض ما جاء به أو لا يتبعونه بحال. وهم في ذلك مقرون له ولأتباعه.

حكم من كفر ببعض الرسالة

والمؤمن ببعض الرسالة دون بعض كافر أيضاً، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾ ﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥٢]

وقال تعالى -يخاطب أهل الكتاب-: ﴿ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ /عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ ٣٣٨ط
بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ

(١) الديلم:لقب لقوم ينسبون إلى قرية في أصبهان بناحية خرجان. انظر معجم البلدان (٥٤٤/٢) والأنساب للسمعاني (٥٢٧/٢) وقد كانوا باطنية زمن الدولة البويهية انظر: الفرق بين الفرق (٢٦٨) .

يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾البقرة:٨٥ وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ ﴾النساء: ٦٠ – ٦١ وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾النساء: ٥١ - ٥٢.

فذم الذين أوتوا قسطاً من الكتاب لما آمنوا بما خرج عن الرسالة وفضلوا الخارجين عن الرسالة على المؤمنين بها، كما يفضل ذلك بعض من يفضل الصابئة من الفلاسفة والدول الجاهلية –جاهلية الترك والديلم والعرب والفرس وغيرهم– على المؤمنين بالله وكتابه ورسوله، وكما ذم المدعين الإيمان بالكتب كلها وهم يتركون التحاكم إلى الكتاب والسنة ويتحاكمون إلى بعض الطواغيت المعظمة من دون الله كما يصيب ذلك كثيراً ممن يدعي الإسلام وينتحله في تحاكمهم إلى مقالات الصابئة الفلاسفة أو غيرهم، أو إلى سياسة بعض الملوك الخارجين عن شريعة/ الإسلام من ملوك الترك وغيرهم، وإذا قيل لهم: تعالوا إلى كتاب الله وسنة رسوله أعرضوا عن ذلك إعراضاً، وإذا أصابتهم مصيبة في عقولهم وأديانهم(١) ودنياهم بالشبهات والشهوات أو في نفوسهم وأموالهم عقوبة على نفاقهم قالوا إنما أردنا أن نحسن بتحقيق العلم أو/ الذوق ونوفق بين "الدلائل الشرعية" و "القواطع العقلية" التي هي في الحقيقة ظنون وشبهات أو "الذوقية" التي هي في الحقيقة أوهام وخيالات قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ

ط٣٣٩

ظ١١

(١) في (ط): (عقولهم ودينهم).

وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾[النساء: ٦٣] إلى قوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء: ٦٥] وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[النور: 77-75] إلى قوله: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا[1] إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾[النور: ٥١] الآية و قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾[البقرة: ٩١].

ذم أهل التفرق في الكتاب

وقد ذم الله سبحانه أهل التفرق والاختلاف في الكتاب الذين يؤمن كل منهم ببعضه دون بعض كما قال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ / فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾[البقرة: 213] وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾[2] [البينة: 7] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾[الأنعام: ١٥٩] و قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[آل عمران: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾[آل عمران: ١٠٥ - **١٠٦**] **قال ابن عباس: (تبيض وجوه أهل السنة**

٣٤٠ط

---

(١) إلى هنا في الأصل وأكملت الآية من (ط).

(٢) قوله تعالى: (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب...)الآية لم ترد في (ط).

والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة)[١]. و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ / لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[الروم: ٣٠ - ٣٢] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ ﴾[الشورى: ١٣- ١٥].

ظ١٢

فأمر الله نبيه أن يؤمن بجميع الكتب المنزلة، وأن يعدل بين الناس كلهم فيعطي كل ذي حق حقه ويمنع كل مبطل عن باطله؛ فإن القسط والعدل في جميع أمور الدين والدنيا فيما جاء به، وهو المقصود بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾[الحديد: ٢٥] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا

ط٣٤١

(١) انظر : شرح اعتقاد أهل السنة (٧١/١) والاعتصام للشاطبي (٣٦/١) وتفسير ابن كثير (٣٩٠/١).

﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥] إلخ السورة. وهاتان الآيتان[1] قد ثبت في الصحيح: "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أعطيها[2] من كنز تحت العرش"[3]، "وأنه لم يقرأ بشيء منهما إلا أعطيه "[4]، وقد ثبت في الصحيح: "أنه من قرأهما في ليلة كفتاه"[5]، وقال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٦ - ١٣٧]. ط٣٤٢

---

(١) يعني : آيتي(٢٨٥-٢٨٦)من سورة البقرة.

(٢) في (ط) أعطيهما .

(٣) أخرجه أحمد (٢٨٧/٣٨ رقم: ٢٣٢٥١) وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (٢٦٠/٧رقم:٧٩٦٨) وصححه الألباني في السلسلة (٤٧١/٣ رقم١٤٨٢).

(٤) أخرجه مسلم باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة (١٣٢/٦ رقم ٢٥٤).

(٥) أخرجه البخاري كتاب فضائل القران باب فضل سورة البقرة (٣٤٢/٣ رقم ٥٠٠٩) وأخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة (١٣٢/٦ رقم ٢٥٥).

فصل

موقف الكفار والفلاسفة من الرسالة

فلما كان في الأمم كفار ومنافقون يكفرون ببعض الرسالة دون بعض إما في القدر وإما في الوصف، كما [أن](١) فيهم كفار ومنافقون يكفرون بأصل الرسالة، وكان في الكفار بأصل الرسالة من قال: إن الرسول شاعر، وساحر، وكاهن، ومعلم، ومجنون، ومفتر(٢)، كما كان رئيس قريش وفيلسوفها وحكمها(٣) الوليد بن المغيرة الوحيد المذكور في قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ المدثر: ١١ - ٢٥ .

فإنه صنع صُنع الفيلسوف المخالف للرسل في تفكيره:

أولاً: الذي هو طلب الانتقال من تصور طرفي القضية إلى المباديء الموجبة للتصديق ليظفر بالحد الأوسط(٤).

ثم قدر ثانياً: والتقدير هو القياس(٥) وهو: الانتقال من المبادئ إلى المطلوب بالقياس المنطقي الشمولي؛ ولعمري/ إنه لصواب إذا صحت مقدماته، وإن كانت النتيجة في ٣٤٣ط

(١) كما في (ط) وفي الأصل (أنه) والصواب ما أثبته.

(٢) في (ط) ومفترى.

(٣) في (ط) وحكيمها.

(٤) الحد الأوسط: من مصطلحات المنطق وهو المكرر بين الحدين الأصغر والأكبر.انظر:معيار العلم (ص١١٣) المنطق القديم لمزروعة:(ص٢٠٧) والحد الأوسط لدى الوليد هو النبي ساحر وكل ساحر كذاب إذا النبي ساحر.

(٥) قلت: ووجه قياس الوليد بن المغيرة للنبوة بالسحر هو جامع التأثير في الأتباع لما رأى تأثر الصحابة بالنبي

الأغلب أموراً كلية ذهنية، ثبوتها في الأذهان لا في الأعيان كالعلوم الرياضية من الأعداد والمقادير؛ فإن العدد المجرد عن المعدود والمقدار المجرد عن الأجسام إنما يوجد في الذهن، لكن أنى وأكثر مقدماته في الإلهيات دعاوى يدعى فيها بعموم؟ وأن القضية من المسلمات بلا حجة، ومتى لم يكن في القياس قضية(١) كلية(٢) معلومة لم تفد المطلوب وهم يلبِّسون المهملات التي هي في معنى الجزئيات بالكليات العامة المسورات(٣) أو يدعى فيها العموم بنوع من قياس التمثيل.

قياس التمثيل يقتضي التشبيه

ومعلوم أنه لا بد في كل قياس من قضية كلية وعامة القضايا الكلية التي لهم فيها المطالب الإلهية لا يعلم كونها كلية عامة؛ إذ عمومها لا يعلم إلا بمجرد قياس التمثيل الذي قد يكون من أفسد القياس المقتضي لتشبيه الله بخلقه، كما يقولون: الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، وليس/ معهم إلا تشبيه خالق السموات والأرض ورب العالمين بالطبائع، كطبيعة الماء والنار، مع أن الواحد الذي يثبتونه في الإلهيات، وفي المنطق أيضاً الذين يجعلون قضية الأنواع مركبة منه وهو الجنس(٤) و الفصل(٥) لا حقيقة لها ولا يوجد إلا في الأذهان لا في الأعيان، وقد بسطنا الكلام على ذلك في مواضع(٦).

ظ١٤

صلى الله عليه وسلم واتباعهم له.

(١) القضية : من مصطلحات المنطق وهي: قول يحتمل الصدق والكذب لذاته، انظر: معيار العلم للغزالي(٨١) والمنطق لمزروعة(ص١٤١).

(٢) الكلية: القضية التي يكون موضوعها كلياً والحكم فيها على جميع الأفراد على وجه الإحاطة والشمول انظر:معيار العلم للغزالي(ص٤٤) والمنطق لمزروعة(ص١٤١).

(٣) في (ط) :(بالكيات العامة المسلمات) والصواب ما أثبته.

(٤) الجنس: من مصطلحات المنطق وهو كلي مقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة يقال في جواب ما هو. انظر: معيار العلم للغزالي(٧٧) التعريفات للجرجاني (ص٨٢).

(٥) الفصل: من مصطلحات المنطق وهو كلي يصدق على كثيرين يقال في جواب أي شيء هو في ذاته، انظر: معيار العلم للغزالي(٧٧) والمنطق لمزروعة (ص٧٦).

(٦) انظر : الرد على المنطقيين لابن تيمية (ص١٥٨).

وبينا أن ما يثبتونه من العقليات التي هي الجواهر العقلية المجردة/ عن المادة، وهي العقل والنفس، والمادة والصورة التي ليست بجسم ولا عرض لا حقيقة لها في الخارج، وإنما يقدر في الأذهان لا في الأعيان، وكذلك ما يثبتونه من الواحد الذي يصفون به واجب الوجود ومن الواحد الذي يجعلون الأنواع تتركب منه إنما يوجد في الأذهان لا في الأعيان والقياس العقلي الذي يحتجون به لا بد فيه من قضية كلية. ط٣٤٤

أنواع القياس

والقياس نوعان: قياس الشمول(١) وقياس التمثيل(٢). والناس متنازعون في مسمى القياس فقيل هو: حقيقة في التمثيل مجاز في الشمول، كما ذكر ذلك أبو حامد(٣)(٤) وأبو محمد المقدسي(٥) وغيرهما وقيل: هو حقيقة في عكس ذلك كما قاله ابن حزم(٦) وغيره من نفاة قياس التمثيل، وقيل: بل اسم القياس يتناولهما وهذا قول جمهور الناس.

---

(١) قياس الشمول: إلحاق جزءٍ بقاعدةٍ كليةٍ، وهو القياس المنطقي المكوَّن من مقدمة صغرى ومقدمة كبرى ونتيجة، وقد عرَّفه شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه القياس المؤلف من المقدمات اليقينية، وأشار –رحمه الله تعالى– إلى أن الأفراد في هذا النوع من القياس متساوية.انظر: الفتاوى الكبرى (١/١٢٩).

(٢) قياس التمثيل: فهو القياس الاصطلاحي المشهور وهو إلحاق فرعٍ بأصلٍ في حكم؛ لاشتراكهما في مناط ذلك الحكم. انظر : التعريفات (١٥٢)

(٣) أبو حامد: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، الإمام زين الدين أبو حامد الغزالي، الطوسي طلب الحق في الكلام والفلسفة والباطنية والتصوف ثم كانت خاتمة أمره إقباله على طلب حديث المصطفىﷺ ، ومطالعة الصحيحين من مصنفاته : تهافت الفلاسفة ، ومعيار العلم،وفضائح الباطنية ،وإحياء علوم الدين، توفى: ٥٠٥ هـــ. انظر: تاريخ الإسلام (١١/٦٢) والمنقذ من الضلال للغزالي (ص١٣).

(٤) لم أجده في مضانه في كتب الغزالي كشفاء الغليل ومعيار العلم .

(٥) عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، موفق الدين: فقيه، من أكابر الحنابلة، له تصانيف، منها " المغني " في الفقه، و " روضة الناظر " في أصول الفقه، و " المقنع " و " ذم ما عليه مدعو التصوف " و " ذم التأويل " و " ذم الموسوسين " و " لمعة الاعتقاد " و " القدر " و " فضائل الصحابة " توفي سنة ٦٢٠ هـــ.سير ألاعم النبلاء (٢٢/١٦٦)الأعلام(٤/٦٧).

(٦) انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٧/١٧٧).

واسم القياس العقلي يدخل فيه هذا وهذا؛ لكن من الناس من ظن أن قياس التمثيل لا يفيد اليقين[1]، ولا يستعمل في العقليات كما ذهب إليه أبو المعالي[2][3]، وأبو حامد[4]، والرازي[5][6]، وأبو محمد[7]، والآمدي[8][9]، وآخرون من أهل المنطق. وأما الجمهور فعندهم كلا القياسين سواء وهذا هو الصواب؛ فإن مآل القياسين إلى شيء واحد وإنما يختلف بترتيب/ الدليل. فإن القائل إذا قال: النبيذ المتنازع فيه حرام؛ لأنه مسكر فكان حراماً قياساً على خمر العنب، فلا بد له أن يثبت أن السُّكر هو مناط التحريم، وهو الذي يسمى في قياس التمثيل مناطاً وعلةً وأمارةً ومشتركاً ووضعاً ونحو ذلك. ط٣٤٥

---

(١) انظر: غاية المرام للآمدي (ص١٢٢).

(٢) إمام الحرمين أبو المعالي: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني شيخ الشافعية، من أئمة الأشاعرة ، من تصانيفه: كتاب نهاية المَطْلَب في المذهب،وكتاب الإرشاد في الأصول، وكتاب الرسالة النظاميّة في الأحكام الإسلامية، وكتاب الشامل في أصول الدّين، وكتاب البرهان في أصول الفقه، المتوفى: ٤٧٨ هـ . انظر: سير أعلام النبلاء(٤٦٨/١٨) الأعلام للزركلي(١٦٠/٤) .

(٣) انظر: البرهان لأبي المعالي(٧٨/١-٧٩).

(٤) انظر: شفاء الغليل للغزالي(ص٦٠٢).

(٥) الرازي: محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي الإمام المفسر. ندم على اشتغاله بعلم الكلام وقال: اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروي غليلا ولا تشفي عليلا ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن من تصانيفه: مفاتيح الغيب و معالم أصول الدين ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين والأربعين في أصول الدين والمطالب العالية توفي سنة ٦٠٦ هـ . انظر:الأعلام للزركلي(٣١٣/٦) ومعجم المؤلفين (٧٩/١١) وشذرات الذهب (٤٠/٧).

(٦) انظر: المحصول للرازي (٣٤٧/٥).

(٧) لم أجد ترجمته.

(٨) الآمدي: أبو الحسن على بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الحنبلي ثم الشافعي الملقب سيف الدين الآمدي المتكلم العلامة صاحب التصانيف العقلية منها كتاب " أبكار الأفكار " و رموز الكنوز " وله " دقائق الحقائق " و " لباب الألباب " و " منتهى السول في علم الأصول "توفي سنة ٦٣١هـ . انظر: وفيات الأعيان(٢٩٤/٣) ولسان الميزان(٢٢٦/٤)وشذرات الذهب(٢٥٣/٧).

(٩) انظر: غاية المرام للآمدي (ص١٢٢).

ظ١٥ ولا بد في القياس الصحيح من أن يقيم دليلاً على أن/ السكر مناط التحريم بحيث إذا وجد السكر وجد التحريم، فإذا صاغ الدليل بقياس الشمول، فإن النبيذ مسكر وكل مسكر حرام، فالسكر في هذا النظم هو الحد الأوسط المكرر، وهو العلة في قياس التمثيل، ولا بد له في هذا القياس من أن يثبت هذه القضية الكلية الكبرى وهي قوله: "كل مسكر حرام[1]"، فما به ثبتت هذه القضية في هذا النظم يثبت به أنه مناط التحريم في ذلك النظم لا فرق بينهما.

القياس الصحيح

وإذا قال القائل: إثبات تأثير الوصف وكونه مناط الحكم هو عمدة القياس، وهو جواب سؤال المطالبة وبيان كون الوصف بالشمول هو مناط الحكم وهذا لا يثبت إلا بأدلة ظنية.

قيل له: وإثبات عموم القضية الكبرى في قياس الشمول هو عمدة القياس؛ فإن الصغرى في الغالب تكون معلومة، كما يكون ثبوت الوصف في الفرع معلوماً، وإذا كان ثبوت الوصف في الفرع قد يحتاج إلى دليل، كما قيل تحتاج/ المقدمة الصغرى إلى دليل، وإثبات المقدمة الكبرى لا تتأتى إلا بأدلة ظنية، ونفس ما به تثبت عموم القضية يثبت تأثير الوصف المشترك لا فرق بينهما أصلاً، واستعمال كلا القياسين في الأمور الإلهية لا يكون إلا على وجه الأولى والأحرى.

ط٣٤٦

وبهذه الطريقة جاء القرآن وهي طريقة سلف الأمة وأئمتها فإن الله –سبحانه– لا يماثله شيء من الموجودات في قياس التمثيل ولا أن يدخل في قياس شمول فيماثل أفراده، بل ما ثبت لغيره من الكمال الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه فهو أحق به، وما نزه عنه غيره من النقائص فهو أحق بالتنـــزيه منه، كما قَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ

(١) أخرجه البخاري–كتاب المغازي (١٦١/٣ رقم٤٣٤٣) ومسلم – كتاب الأشربة (٢٤٧/١٣رقم ١٧٣٣).

﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠] وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: ٢٨].

وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع، وأيضاً(١) أن ما يستفاد بالقياس الشمولي في عامة الأمور قد يستفاد بدون ذلك فتعلم أحكام الجزئيات الداخلة في القياس بدون معرفة حكم القضية الكلية، كما إذا قيل: الكل أعظم من الجزء والضدان لايجتمعان [فما](٢) من كل معين وضدين معينين(٣) إلا وإذا علم أن هذا جزء هذا وأن هذا ضد هذا علم أن هذا أعظم من هذا وأن هذا لا يجامع هذا/ بدون أن يخطر بالبال قضية كلية أن كل/ ضدين لا يجتمعان وأن كل كلٍ فهو أعظم من جزء. وكذلك إذا قيل النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان فما من نقيضين يعرف أنهما نقيضان إلا ويعرف أنهما لا يجتمعان ولا يرتفعان بدون أن يستحضر أن كل نقيضين لا يجتمعان [ولا يرتفعان](٤).

ط٣٤٧b
ظ١٦b

فعامة المطالب يستغنى فيها عن القياس المنطقي المتضمن للكبرى الذي لا بد فيه من قضية كلية، والأمور المعينات لا تعلم بمجرد القياس العقلي وإنما يعلم بالقياس القدر المشترك بينها(٥) وبين غيرها وهم يسلمون ذلك، وبيَّنا أن الأدلة الدالة على الصانع هي آيات تدل بنفسها على نفسه المقدسة، وبيَّنا الفرق بين دلالة الآيات ودلالة القياس، وأن الأدلة أكمل وأنفع، وطريقة القياس تابعة لها ودونها في المنفعة والكمال، والقرآن جاء بهذه وهذه، ومعرفة الإلهيات، والنبوات وغيرها، فتلك الطريقة أكمل وأتم.

---

(١) في (ط) : (وبيَّنا أن ما يستفاد).

(٢) (فما): ليست في الأصل وهي من (ط).

(٣) في (ط): معنيين.

(٤) (ولا يرتفعان): ليست في الأصل وهي من (ط).

(٥) كما في: (ط) وفي الأصل (بينهما) ولعل الصواب ما أثبته.

زعم المنطقيين لا ينال مطلوب إلا بالقياس

وهؤلاء يزعمون أنه لا ينال مطلوب فطري إلا بطريقة القياس الذي لا بد فيه من قضيةٍ كليةٍ، والقضية الكلية لا تفيد إلا أمراً كلياً عقلياً، لا تفيد معرفة شيءٍ معين، وكل موجود فهو معين فكيف يقول عاقل مع [هذا][1] أنه لا ينال علم إلا بهذه الطريق؟! ثم إنهم في ضلالهم يظنون أن علم الأنبياء، بل وعلم الرب سبحانه إنما حصل/ بواسطة القياس المنطقي، وأن النبي له قوة حدسية[2] يظفر باالحد الأوسط في القياس المنطقي بدون معلم أكمل[3] من غيره فيجعلون علمه بالغيب من هذا الباب[4] ولو أدرك بمثل هذا القياس علوم طبيعية أو حسابية ونحو ذلك، فمن أين أنه لا ينال علم إلا به؟ ومن أين أنه لا مواد يقينية إلا ما يدعيه المدعي مما عنده من الحسيات المعتادة الظاهرة والباطنة، والبديهيات المعتادة، والمتواترات[5]، والمجربات[6] المعتادة. والحدسيات[7] المعتادة، والحس والحس الباطن[8]، والظاهر والتجربة، ونحو ذلك لا يعلم بمجرده إلا أمر معين جزئي، وذلك لا يصلح أن يكون مقدمة في القياس ولكن يعلم في العموم إما بواسطة قياس تمثيل وإما بعلم ضروري[9] يحدثه الله في القلب ابتداءاً، وإذا أحدث علماً ضرورياً/ عاماً لأفراد

ط٣٤٨

ظ١٧

---

(١) (هذا): ليست في الأصل وهي من (ط).

(٢) قوة الحدس : هي قوة عقلية يمتلكها النبي لأنه أكمل من غيره فلم يقروا بأن الأنبياء يعلمون ما يعلمونه بخبر يأتيهم عن الله لا بخبر ملك ولا غيره ويسمون ذلك القوة القدسية كما زعموا انظر : الدرء(١/١٧٩) والعرش للذهبي (١/٤٥).

(٣) في (ط): فيكون أكمل من غيره.

(٤) انظر: رسائل في الحكمة والطبيعيات لابن سينا (ص٦٤).

(٥) المتواتر عند أهل المنطق : ما ركب من سمع وعقل انظر للمحصول للرازي ص(١/١٠٠).

(٦) المجربات: ما يحتاج العقل فيه في جزم الحكم إلى تكرار المشاهدات مرة بعد أخرى.انظر: التعريفات(١٦٩) .

(٧) الحدسيات: مالا يحتاج العقل في جزم الحكم فيه إلى واسطة . انظر: التعريفات (٧٤)

(٨) الحس الباطن: الإدراك الوجداني عبر الحواس. انظر: التعريفات (ص١٤).

(٩) العلم الضروري فيقول الباقلاني في تعريفه: "فالضروري ما لزم أنفس الخلق، لزوماً لا يمكنهم دفعه، والشك في معلومه . انظر: الإنصاف (ص١٤).

فإحداث العلم ببعض تلك الأفراد سهل فقل أن يستفاد بطريقهم علم بنتيجة إلا والعلم بالنتيجة فيه ممكن بالطريق الذي به عرفت المقدمات أو أسهل، فلا يكون في قياسهم إلا زيادة تطويل وتهويل وتضليل.

وقد بسطنا الكلام على المنطق اليوناني بما فيه من حق وباطل ونافع وضار في غير هذا الموضع(١). ونفي العلم إلا بهذا القياس ونفي كون القياس يقينياً إلا بهذه المقدمات قول بلا بلا علم وتكذيب بما لم يحط المكذب بعلمه؛ ولهذا كانت الطريقة النبوية السلفية أن تستعمل(٢) في العلوم الإلهية قياس الأولى كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]. إذ لا يدخل الخالق والمخلوق تحت قضية كلية يستوي أفرادها ولا يتماثلان في شيء من الأشياء بل يعلم أن كل كمال –لا نقص فيه بوجه– ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، وكل نقص وجب نفيه عن المخلوق فالخالق أولى بنفيه عنه، وأمثال هذه الأقيسة العقلية التي من نوع الأمثال المضروبة في القرآن، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]/ وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع. ظ٣٤٩

فلما كان الكفار بالرسالة على ما ذكر جاء في الكفار ببعضها من شاركهم في بعض ذلك: فأنكرت الجهمية أن يكون الله يتكلم أو يقول أو يحب أو يبغض، وأنكروا سائر صفاته التي جاءت بها الرسل، فأنكروا بعض حقيقة الرسالة التي هي كلام الله، وأنكروا بعض ما في الرسالة من صفات الله.

---

(١) انظر: الرد على المنطقيين لابن تيمية (ص٤٩).

(٢) في (ط): (أن يستعمل) .

أول من أنكر كلام الله هم الجهيمة

وأول من أظهر ذلك في الإسلام –وإن كان ذلك موجوداً قبل الإسلام في أمم أخرى– الجعد بن درهم[1]، شيخ الجهم بن صفوان[2]، وكان على ما قيل من أهل حران، وكان فيهم أئمة الفلاسفة، ومنهم تعلم أبو نصر الفارابي[3] كثيراً مما تعلم من الفلسفة على ما ذكره عبد اللطيف بن يوسف البغدادي[4]، فضحى بالجعد خالد بن عبد الله القسري[5] بواسط، على عهد علماء التابعين وغيرهم من علماء المسلمين، وهم بقايا التابعين في

(١) الجعد بن درهم عداده في التابعين مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر نحو ١١٨هـ . لسان الميزان (٢/ ٤٣٧) الأعلام (١٢٠/٢).

(٢) الجهم بن صفوان، أبو محرز الراسبي مولاهم السمرقندي. كان ينكر صفات الرب عز وجل وينزهه بزعمه عن الصفات كلها ويقول بخلق القرآن، ويزعم أن الله ليس على العرش بل في كل مكان.قال الذهبي: فكان الناس في عافية وسلامة فطرة حتى نبغ جهم فتكلم في الباري تعالى وفي صفاته بخلاف ما أتت به الرسل وأنزلت به الكتب، نسأل الله السلامة في الدين.قتله سلم بن أحوز قيل سنة ١٢٨هـ .انظر: تاريخ الإسلام (٣/ ٣٨٩) وميزان الاعتدال (٤٢٦/١).

(٣) أبو نصر الفارابي: محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، ويعرف بالمعلم الثاني: أكبر فلاسفة المسلمين. تركي الاصل، مستعرب. ويقال: إن الآلة المعروفة بالقانون، من وضعه، ولعله أخذها عن الفرس فوسعها وزادها إتقانا فنسبها الناس إليه.له نحو مئة كتاب، منها (الفصوص) و (إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها) و (آراء أهل المدينة الفاضلة) توفي سنة ٣٣٩هـ.انظر: شذرات الذهب (٢٠٩/٤) والأعلام (٢٠/٧) .

(٤) موفق الدين، أبو محمد عبد اللطيف ابن الفقيه يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد الموصلي، ثم البغدادي، الشافعي، نزيل حلب، ويعرف قديما بابن اللباد. صنف: في اللغة، وفي الطب، والتواريخ، وكان يوصف بالذكاء وسعة العلم. من مصنفاته: (غريب الحديث)، و(الواضحة في إعراب الفاتحة)، (شرح خطب ابن نباتة)، (الرد على الفخر الرازي في تفسير سورة الإخلاص)، كتاب (أخبار مصر الكبير)، (مقالة في الرد على اليهود والنصارى)توفي سنة ٦٢٩هـ.سير أعلام النبلاء (٣٢٣/٢) الأعلام (٦١/٤).

(٥) خالد بن عبد الله القسري الدمشقي الأمير كان جوادا خطيبا مفوها خطب بواسط يوم أضحى والتي ضحى فيها بالجعد بن درهم توفي سنة ١٢٦هـ. شذرات الذهب (١١٢/٢) وفيات الأعيان (٢٢٦/٢).

وقته: مثل الحسن البصري(١) وغيره الذين حمدوه على ما فعل، وشكروا ذلك فقال: "أيها الناس/ ضحوا تقبل الله ضحاياكم؛ فإني مضح بالجعد/ بن درهم؛ إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً – تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً–" ثم نزل فذبحه(٢).

ظ١٨
ط٣٥٠

وبنوا ذلك على قاعدة مبتدعة الصابئة(٣) المكذبين ببعض ما جاءت به الرسل الذين لا يصفون الرب إلا بالصفات السلبية(٤) أو الإضافية(٥) أو المركبة منهما(٦)، وهم في هذا التعطيل موافقون في الحقيقة لفرعون رئيس الكفار الذي جحد الصانع بالكلية؛ فإن جحود صفاته مستلزم لجحود ذاته؛ ولهذا وافقوا فرعون في تكذيبه لموسى بأن ربه فوق السموات حيث قال ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ غافر: ٣٦ – ٣٧. بخلاف محمد –صلى الله

(١) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك. قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه الناس كلاما بكلام الانبياء، وأقربهم هديا من الصحابة توفي سنة ١١٠هـ.سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣) الأعلام (٢/٢٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص٧) والآجري (١١٢٢/٧رقم٦٩٤)وذكره الدارمي في الرد على الجهمية (ص ١٨٢).

(٣) في (ط):(مبتدعة الصابئين) .

(٤) الصفات السلبية: هي الصفة التي تدل على النفي المحض دون الدلالة على معنى قائم به. مثل : ليس بجوهر ولاعرض وجاهل . انظر:الصفدية لابن تيمية ١١٦/١.

(٥) الصفات الإضافية : ما كان صفة قائمة بغيرها ليس لها محل تقوم به أي قبل الإضافة والتخصيص مثل الأولية:باعتبار المخلوقات بعده .انظر: رسالة العقل والروح لابن تيمية مطبوعة ضمن الرسائل المنيرية ٣٨/٢، ٣٩.

(٦) الصفات المركبة من السلبية والإضافية: وهي التي تكون سلبية باعتبار، وإضافية باعتبار آخر.مثال ذلك: اسم الأول فليس معناه عند النفاة تضمنه ثبوت صفة الأولية، وإنما معناه انتفاء الحدوث عنه يعني أنه ليس بحادث، وهي بهذا المعنى سلبية منفية.ومعناه _ كذلك _ أن الأشياء كائنة بعده، وهي بهذا المعنى إضافية. انظر: الفتوى الحموية لابن تيمية (ص٢٣٩) ومصطلحات العقائد لمحمد الحمد (ص٥٢).

عليه وسلم- الذي صدق موسى لما عرج به إلى ربه، وأخبر أنه وجد موسى هناك، وأنه جعل يختلف بين ربه وبين موسى[1]، فمحمد -صلى الله عليه وسلم- صدق موسى في أن ربه فوق السموات، وفرعون كذبه في ذلك. والناس إما محمدي موسوي[2]، وإما فرعوني[3]؛ إذ فرعون كذب موسى في أن الله فوق، وكذبه في أن الله كلمه كما أنكر وجود الصانع ومحمد صدق موسى في هذا كله.

وهؤلاء الصابئة المحضة من المتفلسفة يقولون: إن الله ليس له كلام في الحقيقة؛ لكن كلامه -عند من أظهر الإقرار بالرسل منهم- ما يفيض على نفوس الأنبياء، وهو أنه محدث في نفوسهم من غير أن/ يكون في الخارج عن نفوسهم لله عندهم كلام. ٣٥١ط

وهكذا كان الجهم يقول أولاً: إن الله لا كلام له ثم احتاج أن يطلق أن له كلاماً لأجل المسلمين فيقول: هو مجاز؛ ولهذا كان الإمام أحمد وغيره من الأئمة يعلمون مقصودهم وأن غرضهم التعطيل وأنهم زنادقة والزنديق[4]: المنافق.

ولهذا تجد مصنفات الأئمة يصفونهم فيها بالزندقة، كما صنف الإمام أحمد "الرد على الزنادقة والجهمية" وكما ترجم البخاري آخر كتاب الصحيح بكتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية وكان عبد الله بن المبارك[5] يقول:" إنا لنحكي كلام/ اليهود ١٩ظ

---

(١) كما جاء في حديث المعراج أخرجه البخاري باب المعراج (٦٣/٣رقم ٣٨٨٧).

(٢) نسبة إلى ما جاءا به وهو الإسلام.

(٣) نسبة إلى ما ذهب إليه فرعون من تكذيب موسى-عليه السلام- وإنكار وجود الله .

(٤) الزنديق: لفظ معرب من الفارسية وقد عنى به السلف: الذي يبطن الكفر ويظهر الإسلام. انظر التمهيد لابن عبد البر (١٥٤/١٠) والكافي لابن قدامة (٣٢٣/٥).

(٥) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي لحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر قال ابن مهدي: ما رأت عيناي عيناي مثل أربعة: ما رأيت أحفظ للحديث من الثوري، ولا أشد تقشفا من شعبة، ولا أعقل من مالك، ولا

والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية"[1].

وتقول الصابئة المحضة -الذين آمنوا في الظاهر وآمنوا في الباطن ببعض الكتاب- كلام الله: اسم لما يفيض على قلب النبي من العقل الفعال أو غيره و ملائكة الله: اسم لما يتشكل في نفسه من الصور النورانية وقد يقولون: إن جبريل هو العقل الفعال أو هو ما يتمثل في نفسه من الصور الخيالية كما يراه النائم؛ ولهذا يقول هؤلاء: إن خاصة النبي التخييل، وأن الأنبياء أظهروا خلاف ما أبطنوه لمصلحة العامة، ولم يفيدوا بكلامهم علماً؛ لكن تخييلاً ينتفع به العامة ويجعلون هذا من أفضل الأمور، ويمدحون الأنبياء بذلك، ويعظمونهم/ وقد بسطنا الكلام على هذا في موضع أخر. ٣٥٢ط

وعندهم ليس خارجاً عن نفس النبي كلام، ولا ملك كما يزعمه من يزعمه من المتفلسفة والصابئة المشركين، لعله المشائين[2] وزعموا أنهم مؤمنون وقالوا إنهم يجمعون بين النبوة والفلسفة كما يفعل الفارابي وابن سينا[3] وغيرهما من المتفلسفة والقرامطة الباطنية من الإسماعيلية ونحوهم الذين أخذوا معاني المتفلسفة -الروم والفرس-

---

أنصح= =للأمة من ابن المبارك له كتاب في (الجهاد) وهو أول من صنف فيه، و (الرقائق)توفي سنة ١٨١هـ . سير أعلام النبلاء (٣٨٨/٨) الأعلام (١١٥/٤).

(١) ذكره البخاري في خلق أفعال العباد (ص١٢٠) وأخرجه الآجري (٩٨٧/٩رقم ٥٧٩) وصححه ابن القيم في اجتماع الجيوش (١٣٤).

(٢) قوله: (لعله المشائين) ليست في (ط) و المشاؤون هم أتباع أرسطو. وسمّوا مشائين لأنهم كانوا يمشون ويلقون دروسهم وهم سائرون في الطريق. انظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي (ص ١٤).

(٣) ابن سينا: الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والالهيت. من تصانيفه (المعاد) و (الشفاء) و (السياسة) و (أسرار الحكمة المشرقية) وأرجوزة في (المنطق) ورسالة (حي بن يقظان) وله أقوال في النبوة تخالف ما عليه سلف الأمة رد عليها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه درء تعارض العقل والنقل (٨/١) توفي سنة ٤٢٨هـ. سير أعلام النبلاء (٥٣١/١٧) ووفيات الأعيان (١٦١/٢).

فأخرجوها في قالب التشيع والرفض. والإمامية(١) والزيدية(٢) وغيرهم من الشيعة يعلمون أنهم كفار.

ومثل ابن سبعين(٣) وأمثاله ممن أظهر التصوف على طريقة هؤلاء فهو يأخذ معانيهم يكسوها عبارات الصوفية، والصوفية العارفون يعلمون أنهم كفار وأن شيوخ الصوفية الكبار(٤) كالفضيل بن عياض(٥)، وإبراهيم بن أدهم(٦)،

---

(١) الإمامية : من فرق الشيعة وهم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي عليه الصلاة و السلام نصا ظاهرا وتعيينا قالوا : وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام. انظر: مقالات الاسلاميين (٨٩/١) والملل (١٨٩/١) .

(٢) الزيدية : من فرق الشيعة وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها وهم أصناف ثلاثة : جارودية وسليمانية وبترية والصالحية.انظر: مقالات الاسلاميين (١٦٣/١) والملل (١٧٩/١).

(٣)ابن سبعين: عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر ابن سبعين من زهاد الفلاسفة، ومن القائلين بوحدة الوجود. وصنف كتاب (الحروف الوضعية في الصور الفلكية) وكتاب (البدو) وكتاب (اللهو) و (أسرار الحكمة المشرقية) كفره كثير من الناس. له مريدون وأتباع يعرفون بالسبعينية، توفي سنة ٦٦٩هـ .انظر: الأعلام للزركلي (٢٨٠/٣) و شذرات الذهب (٧/ ٥٧٣).

(٤) قلت: يقصد بالصوفية قديماً الزهد بخلاف مفهوم التصوف الحديث الذي اتجه إلى وحدة الوجود وتقديس الأولياء.

(٥) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي كان سبب توبته أنه سمع تاليا يتلو (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم...) [الحديد: ١٦] فلما سمعها، قال: بلى يا رب، قد آن، فرجع، توفي سنة ١٨٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٤)الأعلام (١٥٣/٥).

(٦) إبراهيم بن أدهم بن منصور، التميمي البلخي سيد الزهاد ، وكان أبوه كثير المال والخدم، ، فبينا إبراهيم في الصيد على فرسه يركضه، إذا هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم: ما هذا العبث ؟ (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً) [المؤمنون: ١١٥]، اتق الله، عليك بالزاد ليوم الفاقة.فترل عن دابته، ورفض الدنيا توفي سنة ١٦٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٨٩/٧) و الأعلام (٣١/١).

وأبي سليمان الداراني[1]، وعمرو بن عثمان الشبلي، والجنيد بن محمد[2]، وسهل بن عبد الله التستري[3]،

وأبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي[4] ونحوهم -رضي الله عنهم- كانوا من أعظم الناس تكفيراً لهؤلاء؛ فإن قول هؤلاء الزنادقة -وإن كان فيه إيمان من وجه آخر- فهؤلاء موافقون في الحقيقة لمقدمهم[5] الوحيد الذي قال: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ المدثر: ٢٥. ليس[6] ذاك كفر به كله ظاهراً وباطناً، وهؤلاء قد يؤمنون به/ ظاهراً وقد يؤمنون باطناً ببعض صفاته: من أنه مطاع عظيم وأنه رئيس النوع الإنساني، وأن هذا الكلام الذي/ جاء به كلام عظيم القدر، صادر عن نفس صافية كاملة العلم والعمل، لها ظ٢٠ ط٣٥٣

---

(١) أبو سليمان الداراني عبد الرحمن بن أحمد الإمام، الكبير، زاهد العصر،كان يقول:صل خلف كل مبتدع، إلا القدري، لا تصل خلفه، وإن كان سلطانا، وقال: لكل شيء علم، وعلم الخذلان ترك البكاء، ولكل شيء صدأ، وصدأ القلب الشبع، توفي سنة ٢١٥هـ.انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/١٨٢) الأعلام (٣/٢٩٣).

(٢) أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي هو شيخ الصوفية. لم ير في زمانه مثله في عفة وعزوف عن الدنيا توفي سنة ٢٩٨هـ . انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/٦٩) وفيات الأعياء (١/ ٣٧٣) وطبقات الشافعية (٢/٢٦٠).

(٣) سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أبو محمد: أحد أئمة الصوفية وعلمائهم والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال. له كتاب في (تفسير القرآن) ، وكتاب (رقائق المحبين) توفي سنة ٢٨٣ هـ. انظر:سير أعلام النبلاء(١٣/٣٣٠) والأعلام(٣/١٤٣).

(٤) محمد بن خفيف، أبو عبد الله الشيرازي: صوفي، من أولاد الأمراء تزهد وسافر في سياحات كثيرة، وصنف كتبا منها: آداب المريدين، واختلاف الناس في الروح، وجامع الإرشاد، والفصول في الأصول. من كلامه: (ليس شئ أضر بالمريد، من مسامحة النفس في ركوب الرخص) ولما أدركته الوفاة قيل له: قل لا إله إلا الله. فحول وجهه إلى الجدار وقال: أفنيت كلي بكلك، توفي سنة ٣٧١هـ . انظر: الأعلام (٦/ ١١٤) معجم المؤلفين (٩/٢٦٦).

(٥) في (الأصل):(موافقون في الحقيقة لمقدمتهم) ولعل الصواب ما أثبته كما قال الله عن فرعون : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ هود: ٩٨.

(٦) في (ط):(لكن ذاك كفر به كله) وما أثبته الصواب.

ثلاث خصائص تتفرد بها عن غيرها: خصيصة قوة الحدس والعلم، وخصيصة قوة التأثير في العالم السفلي بنفسه، وخصيصة قوة التخيل المطابق للحقائق بحيث يسمع في نفسه الأصوات، ويرى من الصور ما يكون خيالاً للحقائق، وأنه يجوز إضافة كلامه إلى الله، وتسميته كلام الله حيث هو أمر به أمراً خيالياً. وفي الحقيقة عندهم ما يفيض على سائر النفوس الصافية من العلوم والكلمات هي أيضاً كلام الله مثل ما أنه كلام الله؛ لكن هو أشرف وخطابه دل على أنه رسول الخلق تجب عليهم طاعته، التي[1] أخبرت بها الرسل لكن يطلقون عليه أنه متكلم؛ ولهذا يقولون: إن النبوة مكتسبة فطمع غير واحد منهم أن يصير نبياً كما طمع السهروردي[2] وابن سبعين وغيرهما من الملحدين.

وقد بينا أصول أقوالهم وفسادها في غير هذا الموضع مثل كلامنا على إبطال قولهم: إن معجزات الأنبياء قوى نفسانية.

موقف المعتزلة من كلام الله

وأما المعتزلة ونحوهم فيوافقونهم في أن الله لا يتكلم في الحقيقة التي يعلم الناس أن صاحبها متكلم[3] منفصلاً عنه، ويزعمون أن ذلك حقيقة، وليس كلامه عندهم إلا أنه خَلق في الهواء أو غيره/ أصواتاً يسمعها من يشاء من ملائكته وأنبيائه من غير أن يقوم بنفسه كلام لا معنى ولا حروف، وهم يتنازعون في ذلك المخلوق هل هو جسم أو عرض أو لا يوصف بواحد منهما.

ط٣٥٤

ولما ظهر هؤلاء تكلم السلف من التابعين وتابعيهم في تكفيرهم والرد عليهم بما هو مشهور عند السلف، واطلع الأئمة الحذاق من العلماء على أن حقيقة قول هؤلاء هو

---

(١) في (ط) :(تجب عليه طاعته التي...) .

(٢) يحيى بن حبش بن أميرك، أبو الفتوح ، شهاب الدين ، السهروردي ، فيلسوف ، نُسب إلى انحلال العقيدة. فأفتى العلماء بإباحة دمه، فسجنه الملك الظاهر غازي ، وخنقه في سجنه بقلعة حلب سنة ٥٨٧ هـ.انظر: سير =أعلام النبلاء(٢٠٧/٢١) والأعلام (١٤٠/٨).

(٣) في (ط):(...يتكلم بل كلامه منفصل عنه) .

التعطيل والزندقة، وإن كان عوامهم لا يفهمون ذلك، كما اطلعوا على أن حقيقة قول القرامطة والإسماعيلية هو/ التعطيل والزندقة، وإن كان عوامهم إنما يدينون بالرفض، وجرت فتنة الجهمية لما(١) امتحنت الأئمة، وأقام الإمام أحمد إمام السنة، وصديق الأمة في وقته، وخليفة المرسلين، ووارث النبيين، فثبت الله به الإسلام والقرآن، وحفظ به على الأمة العلم والإيمان، ودفع به أهل الكفر والنفاق والطغيان الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض.

ظ٢١

عقيدة أهل السنة في كلام الله

فاستقر أهل السنة وجماهير الأمة وأهل الجماعة وأعلام الملة في شرقها وغربها على الإيمان الذي جاءت به الرسل عن الله وجاء به خاتم النبيين ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[المائدة: ٤٨]، وهو أن القرآن والتوراة والإنجيل كلام الله وأن كلام الله لا يكون مخلوقاً منفصلاً عنه؛ كما لا يكون كلام المتكلم منفصلاً عنه؛ فإن هذا جحود لكلامه الذي/ هو رسالته، ودفع لحقيقة ما أنبأت به الرسل وعلمته أممهم وإلحاد في أسماء الله وآياته وتمثيل له بالمعدوم والموات؛ فإن الحياة والعلم والقدرة والكلام ونحو ذلك صفات كمال، والرب -تعالى- أحق بكل كمال، فيمتنع أن تثبت(٢) للمخلوق كمال إلا والخالق أحق به كما يمتنع أن يتنزه المخلوق عن نقص إلا والخالق أحق بتنزهه منه، كيف وهو خالق الكمال للكاملين.

ط٣٥٥

وأيضاً فمن لم يتصف بصفات الكمال من الحياة والعلم والسمع والبصر والقدرة والكلام وغير ذلك فإما أن يكون قابلاً للاتصاف بذلك ولم يتصف به، أو غير قابل للاتصاف به. فإن قبله ولم يتصف به كان موصوفاً بصفات النقص: كالموت والجهل والعمى والصمم والعجز والبكم باتفاق العقلاء؛ فإنهم متفقون على أن القابل لهذا ولهذا متى لم يتصف بأحدهما اتصف بالآخر، وإن قيل: إنه لا يقبل الاتصاف بهذه الصفات كان

(١) في (ط):(كما امتحنت الأئمة) .

(٢) في (ط):(فيمتنع أن يثبت) .

أنقص من القابل الذي لم يتصف بها. فالحيوان الذي يكون تارة سميعاً وتارة أصم وتارة بصيراً وتارة أعمى وتارة متكلماً وتارة أخرس، أكمل من الجماد الذي لا يقبل[1] أن يكون لا هذا ولا هذا.

ظ٢٢ فمن لم يصفه بصفات/ الكمال لزمه إما أن يصفه بهذه النقائص، أو يكون أنقص ممن وصف بهذه النقائص. وذلك أن المتفلسفة اصطلحوا على تقسيم المتقابلين بالنفي والإثبات إلى النقيضين، وإلى ما يسمونه العدم والملكة[2] فالعدم عندهم: سلب الشيء عما من شأنه أن يكون متصفاً به كالعمى والخرس؛ فإنه عدم البصر والكلام عما من شأنه أن يكون بصيراً متكلماً. فأما الجماد فلا يسمونه لا بهذا ولا بهذا.

الرد على منكري الصفات

وشبهتهم لَبَّست على طائفة من أهل النظر، فظنوا أنه إذا لم يوصف بصفات الكمال من الحياة والعلم والسمع والبصر والكلام لم يلزم أن يتصف بصفات النقص لأنهما متقابلان تقابل العدم والملكة، لا تقابل النقيضين.

فيقال لهم هذا أولاً: اصطلاح لكم، وإلا فغيركم يسمي الجماد ميتاً ومواتاً ونحو ذلك، كما في مثل قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖ ﴾[النحل: ٥٦ - ٢١].

ويقال لهم ثانياً: النظر في المعاني العقلية، ومعلوم أن عدم هذه الصفات يستلزم النقص الثابت بعدمها .

(١) في (الأصل):(من الجماد الذي لا تقبل)ولعل الأقرب ما أثبته .

(٢) كمافي (ط) وفي الأصل:(وإلى ما يسمونه العدم والمكنة) ولعل الصواب ما أثبته. ويقصد بالعدم والملكة النقيضين لا يمكن اجتماعهما كالحركة والسكون انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ص٣٢٦) .

ويقال لهم ثالثاً: إذا قلتم لا تتصف(١) بواحد منهما لكونه لا يقبل/ ذلك، فهذا النقص أعظم من نقص العمى والصمم والبكم؛ فإن ما(٢) لا يقبل الاتصاف بصفات الكمال أنقص ممن هو قابل لها يمكن اتصافه بها؛ فإنه منه بدا؛ لا كما يقوله الصابئة ومن وافقهم من الجهمية: إنه ابتدأ من نفس النبي أو من العقل الفعال أو من الهواء بل هو ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ فصلت: ٤٢، وإنه إليه يعود إذا أسري به من المصاحف والصدور. ٣٥٧ط

وصار الإمام أحمد علماً لأهل السنة الجائين بعده من جميع الطوائف كلهم يوافقه في جمل أقواله، وأصول مذاهبه؛ لأنه حفظ على الأمة الإيمان الموروث، والأصول النبوية –ممن أراد أن يحرفها ويبدلها– ولم يشرع ديناً لم يأذن الله به، والذي قاله هو الذي يقوله سائر الأئمة الأعيان، حتى أن أعيان أقواله منصوصة عن أعيانهم؛ لكن جمع متفرقها وجاهد مخالفها، وأظهر دلالة الكتاب والسنة عليها/، ومقالاته ومقالات الأئمة قبله وبعده في الجهمية كثيرة مشهورة. ٢٣ظ

والجهمية: هم نفاة صفات الله، المتبعون للصابئة الضالة. وصارت فروع التجهم تجول في نفوس كثير من الناس. فقال بعض من كان معروفاً بالسنة والحديث: ولا نقول مخلوق، ولا غير مخلوق بل نقف، وباطن أكثرهم موافق للمخلوقية ولكن كان المؤمنون أشد رهبة في صدورهم من الله/. ٣٥٨ط

وطائفة أخرى قالت: نقول كلام الله الذي لم ينزله غير مخلوق، وأما القرآن الذي أنزله على رسوله وتلاه جبريل ومحمد والمؤمنون فهو مخلوق، وهؤلاء هم اللفظية. فصارت الأمة تفزع إلى إمامها إذ ذاك، فيقول لهم أحمد: افترقت الجهمية على ثلاث فرق فرقة تقول: القرآن مخلوق، وفرقة تقول: كلام الله وتسكت، وفرقة تقول: ألفاظنا وتلاوتنا

(١) في (ط) :(إذا قلتم لا يتصف) .

(٢) في (ط):(فإنما لا يقبل) .

للقرآن مخلوقة. فإن حقيقة قول هؤلاء أن القرآن الذي نزل به جبريل على قلب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هو قرآن مخلوق لم يتكلم الله به، وكان لهؤلاء شبهة كون أفعالنا وأصواتنا، مخلوقة ونحن إنما نقرؤه بحركاتنا وأصواتنا. وربما قال بعضهم ما عندنا إلا ألفاظنا وتلاوتنا وما في الأرض قرآن إلا هذا، وهذا مخلوق.

فقابلهم قوم أرادوا تقويم السنة فوقعوا في البدعة، وردوا باطلاً بباطل، وقابلوا الفاسد بالفاسد، فقالوا: تلاوتنا للقرآن غير مخلوقة، وألفاظنا به غير مخلوقة؛ لأن هذا هو القرآن، والقرآن غير مخلوق، ولم يفرقوا بين الاسم المطلق والاسم المقيد في الدلالة، وبين حال المسمى إذا كان مجرداً وحاله إذا كان مقروناً مقيداً. فأنكر الإمام أحمد أيضاً على من قال: إن تلاوة العباد وقراءتهم وألفاظهم وأصواتهم غير مخلوقة، وأمر بهجران هؤلاء، كما جهَّم الأولين وبدعهم. والنقل عنه/ بذلك من رواية ابنه عبد الله[1] وصالح[2] والمروذي وفوران[3] وأبي طالب[4] وأبي بكر بن صدقة[5] وخلق كثير من أصحابه وأتباعه. ٣٥٩ط

---

(١) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني روى عن أبيه شيئا كثيرا، من جملته (المسند) كله، و(الزهد) توفي سنة ٢٩٠هـ . انظر: سير أعلام النبلاء (٥٢٣/١٣) طبقات الحنابلة (١٨٢/١).

(٢) صالح بن أحمد ابن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، الإمام المحدث الحافظ الفقيه القاضي، أبو الفضل،سمع أباه، وتفقه عليه توفي سنة ٢٦٦هـ . انظر: سير أعلام النبلاء (٥٣٠/١٢) طبقات الحنابلة (١٧٢/١).

(٣) عبد الله بن محمد بن المهاجر، أبو محمد البغدادي الفقيه، فوران، صاحب الإمام أحمد. وكان أحمد يأنس به ويقدمه، ويستقرض منه توفي سنة٢٦٠ هـ. انظر: تاريخ الإسلام (١٠٩/٦) طبقات الحنابلة (١٩٤/١).

(٤) أحمد بن حميد أبو طالب المشكاني المتخصص بصحبة إمامنا أحمد. روى عن أحمد مسائل كثيرة وكان أحمد يكرمه ويعظمه توفي سنة ٢٤٤هـ .انظر: تاريخ الإسلام (٩٩٨/٥) وطبقات الحنابلة (٣٩/١).

(٥) أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة البغدادي حدث عن:أحمد بن حنبل بمسائل توفي سنة ٢٩٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٨٣/١٤) وطبقات الحنابلة (٦٢/١).

ظ٢٤ وقد قام أخص أتباعه أبو بكر/ المروذي -بعد مماته- في ذلك، وجمع كلامه وكلام الأئمة من أصحابه وغيرهم: مثل عبد الوهاب الوراق[1]، والأثرم[2]، وأبي داود السجستاني والفضل بن زياد[3]، ومثنى بن جامع الأنباري[4]، ومحمد بن إسحاق الصنعاني[5]، ومحمد بن سهل بن عسكر[6]، وغير هؤلاء من علماء الإسلام. وبين بدعة هؤلاء الذين يقولون إن تلاوة العباد وألفاظهم بالقرآن غير مخلوقة.

وقد ذكر ذلك الخلال في "كتاب السنة" وبسط القول في ذلك.[7]

---

(١) عبد الوهاب بن عبد الحكم ابن نافع، الإمام القدوة الرباني الحجة قال المروذي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: عبد الوهاب الوراق رجل صالح، مثله يوفق لإصابة الحق .وقال أحمد بن حنبل: عافاه الله، قل أن ترى مثله ،كان كبير الشأن من خواص الإمام أحمد له كتاب السنة.توفي سنة ٢٥١هـ.انظر: سير أعلام النبلاء (٣٢٣/١٢) ومعجم المؤلفين (٢٢٢/٦).

(٢) أحمد بن محمد بن هانئ الطائي ، أبو بكر الأثرم البغدادي الإسكافي الفقيه الحافظ صاحب أحمد بن حنبل توفي في حدود سنة ٢٦٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٦٢٣/١٢) والأعلام (٢٥٠/١).

(٣) الفضل بن زياد أبو العباس القطان البغدادي ذكره أبو بكر الخلال فقال: كان من المتقدمين عند أبي عبد الله وكان أبو عبد الله يعرف قدره ويكرمه وكان يصلي بأبي عبد الله. انظر:طبقات الحنابلة (٢٥١/١) وتاريخ الإسلام (٣٣٠/١٤).

(٤) المثنى بن جامع، أبو الحسن الأنباري الزاهد كان ثقة مشهوراً بالسُّنَّة من أصحاب الإمام أحمد. يُقال كان مستجاب الدعوة. وكان بشْر الحافي يكرمه ويجله وفاته ما بين سنة ٢٦١-٢٧٠هـ. تاريخ الإسلام (٤٣٠/٦) طبقات الحنابلة (٣٣٥/١).

(٥) قلت: لم أجد ترجمة بهذا اللقب ولعل الصواب الصاغاني وهو: محمد بن إسحاق بن جعفر اشتهر بالحفظ والسنة والاتقان حدث عن عبد الله بن أحمد بن حنبل توفي سنة ٢٧٠هـ .انظر: سير أعلام النبلاء (٥٩٢/١٢) وتاريخ بغداد (٤٤/٢).

(٦) محمد بن سهل بن عسكر بن عمارة بن دويد أبو بكر التميمي، مولاهم البخاري توفي سنة ٢٥١هـ. انظر: تاريخ الإسلام (١٧٦/٦) وتاريخ بغداد (٢٥٣/٣).

(٧) لم أجده في كتاب السنة للخلال فلعله في الجزء المفقود.

كتاب أبي طالب لأهله نصيبين

قال الخلال: أخبرني أبو بكر المروذي، قال: بلغ أبا عبد الله عن أبي طالب أنه كتب إلى أهل نصيبين[1]: إن لفظي بالقرآن غير مخلوق قال أبو بكر: فجاءنا صالح بن أحمد، فقال: قوموا إلى أبي، فجئنا فدخلنا على أبي عبد الله، فإذا هو غضبان شديد الغضب، قد تبين الغضب في وجهه، فقال: اذهب فجئني بأبي طالب، فجئت به، فقعد بين يدي أبي عبد الله، وهو يرعد، فقال: كتبت إلى أهل نصيبين تخبرهم عني أني قلت: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟! فقال: إنما حكيت عن نفسي، قال: فلا يحل هذا عنك ولا عن نفسي، فما سمعت عالماً قال هذا. قال أبو عبد الله: القرآن كلام الله غير مخلوق كيف تصرف، فقيل لأبي طالب: اخرج وأخبر/ أن أبا عبد الله قد نهى أن يقال لفظي بالقرآن غير مخلوق. ط٣٦٠ فخرج أبو طالب فلقي جماعة من المحدثين فأخبرهم: أن أبا عبد الله نهاه أن يقول لفظي بالقرآن غير مخلوق.[2]

ومع هذا فكل واحدة من الطائفتين الذين يقولون لفظنا بالقرآن غير مخلوق والذين يقولون لفظنا وتلاوتنا مخلوقة ينتحل أبا عبد الله وتحكي قولها عنه وتزعم أنه كان على مقالتها، لأنه إمام مقبول عند الجميع؛ ولأن الحق الذي مع كل طائفة يقوله أحمد، والباطل الذي تنكره كل طائفة على الأخرى يرده أحمد. فمحمد بن داود المصيصي[3] أحد علماء الحديث وأحد شيوخ أبي داود، وجماعة في زمانه كأبي حاتم الرازي وغيره يقولون: لفظنا بالقرآن غير مخلوق، وتبعهم طائفة على ذلك: كأبي عبد الله بن حامد/ ظ٢٥

(١) نصيبين: مدينة تاريخية على طريق القوافل من الموصل إلى الشام دعا النبيﷺ لها بالفتح يقال: أن سبب فتحها رميت بالعقارب فسلم أهلها فأصبحت مثلاً: ولا عقارب نصيبين، وهي إحدى المدن التركية على حدود سوريا. انظر: معجم البلدان (٥/٢٨٨).

(٢) انظر: كتاب السنة للخلال (٧/٩٣-٩٤).

(٣) محمد بن داود بن صبيح أبو جعفر المصيصي من خواص الإمام أحمد توفي قريباً من سنة ٢٥٠هـ طبقات الحنابلة (١/٢٩٥) وتاريخ الإسلام (٥/١٢٢٣) .

وأبي نصر السجزي[1]، وأبي عبد الله بن منده[2]، وشيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري[3]، وأبي العلاء الهمداني[4]، وأبي الفرج المقدسي[5]، وغير هؤلاء يقولون: إن ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة، ويروون ذلك عن أحمد، وأنه رجع إلى ذلك كما ذكره أبو نصر في كتابه "الإبانة"[6] وهي روايات ضعيفة بأسانيد مجهولة لا تعارض ما تواتر عنه عند خواص أصحابه، وأهل بيته، والعلماء الثقات لا سيما وقد علم أنه في حياته خطأ أبا طالب في النقل عنه حتى رده أحمد عن ذلك وغضب عليه غضباً شديداً/. ط٣٦١

وقد رأيت بعض هؤلاء طعن في تلك النقول الثابتة عنه. ومنهم من حرفها لفظاً، وأما تحريف معانيها فذهب إليه طوائف فأما الذين ثبَّتوا النقل عنه ووافقوه على إنكاره الأمرين وهم جمهور أهل السنة ومن انتسب إليهم من أهل الكلام كأبي الحسن

---

(١) الإمام، العالم، الحافظ، المجود، شيخ السنة، أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد السجستاني، شيخ الحرم، ومصنف(الإبانة الكبرى)في أن القرآن غير مخلوق، وهو مجلد كبير، دال على سعة علم الرجل بفن الأثر توفي سنة ٤٤٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٥٤) والأعلام (٤/ ١٩٤)

(٢) الإمام الكبير، الحافظ، المجود، أبو عبد الله محمد بن يحيى بن مندة، صاحب كتاب تاريخ أصبهان توفي سنة ٣٩٥هـ .انظر: سير أعلام النبلاء (١٨٨/١٤) شذرات الذهب (٥٠٤/٣).

(٣) عبد الله بن محمد بن علي أبي إسماعيل الأنصاري من ولد صاحب النبي صلى الله عليه وسلم أبي أيوب الأنصاري صنف كتاب " الفاروق في الصفات " وكتاب " ذم الكلام " وكتاب " الأربعين حديثا " في السنة، وقد امتحن مرات، وقال: عرضت على السيف خمس مرات توفي سنة ٤٨١هـ.انظر: تاريخ الإسلام (٤٨٩/١٠) و شذرات الذهب (٣٤٩/٥).

(٤) الإمام، الحافظ، المقرئ، شيخ الإسلام، أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد الهمذاني، شيخ همذان بلا مدافعة توفي سنة ٥٦٩هـ. سير أعلام النبلاء (٤٠/١) و شذرات الذهب (٣٨٢/٦).

(٥) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، أبو الفرج، فقيه، من أعيان الحنابلة. ولد وتوفي في دمشق. وهو أول من ولي قضاء الحنابلة بها، استمر فيه نحو ١٢ عاماً ولم يتناول عليه معلوماً ثم عزل نفسه. له تصانيف، منها (الشافي) وهو الشرح الكبير للمقنع، في الفقه توفي سنة ٦٨٢هـ. انظر:شذرات الذهب (٦٥٧/٧) والأعلام (٣٢٩/٣) .

(٦) لم أجد الكتاب .

الأشعري[1] وأمثاله فإنه ذكر في "مقالات أهل السنة والحديث"[2] إنهم ينكرون على من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، ومن قال: لفظي به غير مخلوق، وأنه يقول بذلك[3].

لكن من هؤلاء من تأول كلام أحمد وغيره في ذلك بأنه منع أن يقال: إن القرآن يلفظ به وهذا قاله الأشعري[4] وابن الباقلاني[5] والقاضي أبو يعلى[6] وأتباعه، كأبي الحسن بن بن الزاغوني[7] وأمثاله.

ثم هؤلاء الذين تأولوا كلامه على ذلك منهم من قال: المعنى الذي أنكره أحمد على من قال لفظي بالقرآن مخلوق كما فعل ذلك الأشعري وأتباعه. ومنهم من قال: بل المعنى

---

(١) الإمام صاحب التصانيف الكثيرة في الرد على الملحدة وسائر أصناف المبتدعة، علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق أبو الحسن الأشعري قال ابن كثير: وذكروا له ثلاثة أحوال: أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها. والحال الثانية: إثبات الصفات العقلية السبعة وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والثالثة: الرجوع لمذهب السلف. وله مؤلفات كثيرة أشهرها 'الإبانة' و'مقالات الإسلاميين' و'اللمع' وغيرها. توفي سنة ٣٢٤هـ.انظر: تاريخ بغداد (١٣/٢٦٠) والبداية والنهاية (١١/٢١٢).

(٢) المراد: كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ) وله عدة تحقيقات منها تحقيق: هلموت ريتر الطبعة: الثانية ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م نشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين (ص٦٠٢).

(٤) في (ط): (وهذا ما قاله الأشعري) .

(٥) القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم، المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور؛ كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ومؤيدا اعتقاده وناصرا طريقته، وسكن بغداد، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره من كتبه (إعجاز القرآن) و (دقائق الكلام) و (الملل والنحل) و (الاستبصار) و و (البيان عن الفرق بين المعجزة والكرامة) و (كشف أسرار الباطنية) و (التمهيد، في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة) توفي سنة ٤٠٣هـ. انظر: وفيات الأعيان (٤/٢٦٩) والأعلام (٦/١٧٦).

(٦) في (ط):(والقاضي وأبو يعلى) .

(٧) الإمام العلامة، ذو الفنون، أبو الحسن علي بن عبيد الله ابن نصر بن عبيد الله بن سهل بن الزاغوني ، صاحب التصانيف منها: الإقناع والواضح والخلاف الكبير والإيضاح . قال الذهبي:ورأيت لأبي الحسن بخطه مقالة في الحرف والصوت عليه فيها مآخذ، والله يغفر له، فيا ليته سكت توفي سنة ٥٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/٦٠٥) وشذرات الذهب(٦/١٣٣).

الذي أنكره أحمد على من قال لفظي به غير مخلوق كما فعل ذلك القاضي وابن الزاغوني وأمثالهما؛ فإن أحمد وسائر الأئمة ينكرون أن يكون شيء من كلام الله مخلوقاً حروفه. أو معانيه أو أن يكون معنى التوراة هو معنى القرآن، وأن كلام الله إذا عبر عنه بالعربية يكون قرآناً، وإذا عبر عنه بالعبرانية يكون هو التوراة، وينكرون أن يكون القرآن المنزل ليس هو كلام الله/، أو أن يطلق القول على ما هو كلام الله بأنه مخلوق/، وأحمد والأئمة ينكرون على من يجعل شيئاً من أفعال العباد أو أصواقم غير مخلوق؛ فضلاً عن أن يكون قديماً، وكلام أحمد في مسألة التلاوة والإيمان والقرآن من نمط واحد منع إطلاق القول بأن ذلك مخلوق؛ لأنه يتضمن القول بأن من صفات الله ما هو مخلوق ولما فيه من الذريعة، ومنع أيضاً إطلاق القول بأنه غير مخلوق لما في ذلك من البدعة والضلال.

ط٣٦٢
ظ٢٦

انتحال الفرق للإمام أحمد

ولما كان أحمد قد صار هو إمام السنة كان من جاء بعده ممن ينتسب إلى السنة ينتحله إماماً كما ذكر ذلك الأشعري في "كتاب الإبانة" وغيره فقال إن قال قائل: "قد أنكرتم قول الجهمية والمعتزلة والخوارج والروافض والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون. قيل له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا، وما روي عن الصحابة والتابعين، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل قائلون ولما خالفه مجانبون؛ فإنه الإمام الكامل، والرئيس الفاضل الذي أبان الله به الحق، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين"،(١) وذكر جملاً من المقالات/.

ط٣٦٣

فلهذا صار من بعده متنازعين في هذا الباب. فالطائفة الذين يقولون: لفظنا وتلاوتنا غير مخلوقة ينتسبون إليه، ويزعمون أن هذا آخر قوليه، أو يطعنون فيما يناقض ذلك عنه، أو يتأولون كلامه بما لم يرده.

---

(١) انظر كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري (ص٢٠) تحقيق : د.فوقيه حسين محمود الطبعة: الأولى ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م نشر: دار الأنصار.

والطائفة الذين يقولون: إن التلاوة مخلوقة، والقرآن المتزل الذي نزل به جبريل مخلوق، وإن الله لم يتكلم بحروف القرآن، يقولون: إن هذا قول أحمد، وإنهم موافقوه كما فعل ذلك أبو الحسن الأشعري(١). فيما ذكره عن أحمد، وفسر به كلامه، وذكر أنه موافقه، وكما ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني في تتريه أصحابه من مخالفة السنة وأئمتها كالإمام أحمد، وكما فعله أبو نعيم الأصبهاني(٢) في كتابه المعروف في ذلك(٣)، وكما فعله أبو ذر الهروي(٤) والقاضي عبد الوهاب المالكي/(٥)، وكما فعله أبو بكر البيهقي(٦) في الاعتقاد(٧) ظ٢٧

(١) انظر : كتاب الإبانة للأشعري (ص٢٠،٨٧).

(٢) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ، الحافظ أبو نُعَيْم الأصبهاني الصُّوفيّ الأحْوَل، سِبْط الزّاهد محمد بن يوسف البناء.كان أحد الأعلام ومَن جمع الله له بين العُلُوّ في الرّواية والمعرفة التّامة والدّراية توفي سنة:٤٣٠ هـ. انظر: تاريخ الإسلام (٤٦٨/٩) ولسان الميزان (٥٠٧/١).

(٣) لعله كتاب الرد على اللفظية والحلولية وهو مخطوط ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢٠٩/١٢ ، وفي درء تعارض العقل والنقل ٢٦٨/١ ، وسماه : الرد على اللفظية والحلولية ، وتوجد في الظاهرية برقم ١٠٩٦ ، ومصورتها في مركز جمعة الماجد برقم ف١٦٦٤.

(٤) أبو ذر الهروي الحافظ الامام المجود، العلامة، شيخ الحرم، عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير صاحب التصانيف منها، " مسانيد الموطأ "، و " فضائل مالك بن أنس " و " بيعة العقبة " وكتابان في شيوخه توفي سنة ٤٣٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٥٤) والأعلام (٦٦/٤).

(٥) عبد الوهاب بن علي بن نصر التعلبي البغدادي، أبو محمد، قاض، من فقهاء المالكية، له نظم ومعرفة بالأدب له كتب منها:"التلقين " في فقه المالكية و "عيون المسائل" و "النصرة لمذهب مالك" و "شرح المدونة" و "الاشراف على مسائل". توفي سنة ٤٢٢ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٢٩) والأعلام (١٨٤/٤).

(٦) أَحْمَد بْن الحُسَيْن بْن عليّ بْن موسى. الْإمام أبو بكر البَيْهَقِيّ .من أئمة الحديث مُصَنِّف:"الاعتقاد" و "السُّنن الكبيرى "، و" السنن الصغيرى "، و" السنن والآثار "، و" دلائل النبوة " و" شعب الإيمان "، و" الأسماء والصِّفات "، وغير ذلك.كان واحد زمانه، وفرد أقرانه، وحافظ أوانه، ومن كبار أصحاب أبي عبد اللَّه الحاكم. توفي سنة ٤٥٨ هـ. انظر: تاريخ الإسلام (٩٥/١٠) الأعلام (١١٦/١).

(٧) كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث للبيهقي تحقيق:أحمد إبراهيم أبو العينين الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ الناشر:دار الفضيلة الرياض.

في مناقب الإمام أحمد(١). وروى عنه أنه قال لفظي بالقرآن مخلوق وتأول ما استفاض عنه من الإنكار على من قال: لفظي بالقرآن مخلوق(٢) على أنه أراد الجهمي المحض الذي يزعم أن القرآن الذي لم يترل مخلوق(٣).

الدفاع عن البخاري

وكذلك أيضاً افترى بعض الناس على البخاري الإمام صاحب "الصحيح" أنه كان يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، وجعلوه من اللفظية حتى وقع بينه وبين أصحابه: مثل محمد بن يحيى الذهلي/ (٤)،وأبي زرعة(٥)، وأبي حاتم(٦)، وغيرهم بسبب ذلك، وكان في القضية أهواء وظنون حتى صنف "كتاب خلق الأفعال" وذكر فيه ما رواه عن أبي قدامة عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال: "ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: أفعال العباد مخلوقة"(٧). وذكر فيه ما يوافق ما ذكره في آخر كتابه "الصحيح" من أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله يتكلم بصوت، وينادي بصوت. وساق في ذلك من الأحاديث الصحيحة والآثار(٨)

ط٣٦٤

---

(١) للبيهقي كتاب مناقب الإمام أحمد مخطوط لم يطبع وهو نسخة مخطوطة بمكتبة أمبروزيانا في ميلانو بإيطاليا تحت رقم(٦٦) كما جاء في فهرس المخطوطات بدار الكتب القطرية نقل من رسالة علمية بعنوان البيهقي د.أحمد عطية الغامدي .

(٢) في (ط) (غير مخلوق) والصواب ما في الأصل .

(٣) قلت: لعل الصحيح : (يزعم أن القرآن الذي نزل مخلوق) حتى يستقيم المعنى والله أعلم.

(٤) محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد ، الإمام، العلامة، الحافظ، البارع، شيخ الإسلام، وعالم أهل المشرق، وإمام أهل الحديث بخراسان، أبو عبد الله الذهلي كان الإمام أحمد يجله ويعظمه، وقال أبو حاتم: كان إمام أهل زمانه اعتنى بحديث الزهري فصنفه وسماه (الزهريات) توفي سنة ٢٥٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء(١٢/ ٢٧٦) وشذرات الذهب (٢٥٩/٣).

(٥) أبو زرعة الرازي عبيد الله بن عبد الكريم الإمام، سيد الحفاظ، قال أبو زرعة: أحفظ مائتي ألف حديث، كما يحفظ الإنسان : {قل هو الله أحد } [الإخلاص: ١] وفي المذاكرة ثلاث مائة ألف حديث. توفي سنة ٢٦٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء(١٢/ ٢٧٦) وشذرات الذهب (٢٧٨/٣).

(٦) أبو حاتم الرازي محمد بن إدريس بن المنذر الإمام، الحافظ، الناقد، شيخ المحدثين، له تصانيف منها : (طبقات التابعين) وكتاب (الزينة) و (تفسير القرآن العظيم) توفي سنة ٢٧٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء(١٣/ ٢٤٧) وشذرات الذهب (٣٢١/٣).

(٧) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٤٧//١).

(٨) انظر: صحيح البخاري (٣٩٥/٤).

ماليس هذا موضع بسطه، وبين الفرق بين الصوت الذي ينادي الله به وبين الصوت الذي يُسمع من العباد، وأن الصوت الذي تكلم الله به ليس هو الصوت المسموع من القارئ، وبيّن دلائل ذلك وأن أفعال العباد وأصواتهم مخلوقة، والله تعالى بفعله وكلامه غير مخلوق.

وقال في قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ الأنبياء: ٢. "إن حدثه ليس كحدث المخلوقين"(١). وذكر قول النبي–صلى الله عليه وسلم–:"إن الله يحدث من أمره ما شاء، وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة"(٢)، وذكر عن علماء السلف: أن خلق الرب للعالم ليس هو المخلوق؛ بل فعله القائم به غير مخلوق وذكر عن نعيم بن حماد الخزاعي: أن الفعل من لوازم الحياة وأن الحي لا يكون إلا فعالاً. إلى غير ذلك من المعاني التي تدل على علمه وعلم السلف بالحق الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول/. ٣٦٥ط

وذكر أن كل واحدة من طائفتي اللفظية المثبتة والنافية تنتحل أبا عبد الله، وأن أحمد بن حنبل كثير مما ينقل عنه/ كذب، وأنهم لم يفهموا بعض كلامه لدقته وغموضه(٣)، وأن الذي قاله وقاله الإمام أحمد هو قول الأئمة والعلماء، وهو الذي دل عليه الكتاب والسنة. ٢٨ظ

ورأيت بخط القاضي أبي يعلى(٤) –رحمه الله– على ظهر "كتاب العدة(٥)" بخطه قال: نقلت من آخر كتاب الرسالة للبخاري(٦) في أن القراءة غير المقروء. وقال: "وقع عندي

(١) صحيح البخاري (٤/٤١٠).

(٢) أخرجه البخاري باب كل يوم هو في شأن (٤/٤١٠) أبو داود في كتاب الصلاة باب رد السلام في الصلاة (١/٣٩٧رقم ٩٢٤) وأخرجه النسائي باب الكلام في الصلاة (٢/٤٥) وصححه الألباني في الجامع الصغير (١/٣٨٤رقم ١٨٩٢).

(٣) قلت: لدقته وغموضه عليهم .

(٤) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد. القاضي أبو يعلى ابن الفراء البغدادي الحنبلي، عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون، له تصانيف كثيرة، منها: (العدة) و(الإيمان – خ) و (الأحكام السلطانية) و

عن أحمد بن حنبل على اثنين وعشرين وجها كلها يخالف بعضها بعضاً، والصحيح عندي أنه قال: ما سمعت عالماً يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق، قال وافترق أصحاب أحمد بن حنبل على نحو من خمسين. قال أبو عبد الله البخاري: قال ابن حنبل اللفظي: الذي يقول: القرآن بألفاظنا مخلوق[(١)(٢)(٣)].

وكان أيضاً قد نبغ في أواخر عصر أبي عبد الله من [(٤)] الكلابية ونحوهم – أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري[(٥)]: الذي صنف مصنفات رد فيها على الجهمية والمعتزلة وغيرهم، وهو من متكلمة الصفاتية، وطريقته يميل فيها إلى مذهب أهل الحديث والسنة؛ لكن فيها نوع من البدعة؛ لكونه أثبت قيام الصفات بذات الله ولم يثبت قيام الأمور الاختيارية بذاته؛ ولكن له في الرد على الجهمية – نفاة الصفات والعلو– من الدلائل والحجج وبسط القول ما بين به فضله/ في هذا الباب وإفساده لمذاهب نفاة الصفات بأنواع من الأدلة والخطاب، وصار ما ذكره معونة ونصيراً وتخليصاً من شبههم لكثير من أولي الألباب، حتى صار قدوة وإماماً لمن جاء بعده من هذا الصنف الذين أثبتوا الصفات، وناقضوا نفاقها؛ وإن كانوا قد شركوهم في بعض أصولهم الفاسدة: التي أوجبت فساد بعض ما قالوه من جهة المعقول، ومخالفته لسنة الرسول. ط٣٦٦

(أربع مقدمات في أصول الديانات) وردود على (الأشعرية) و (الكرامية) و (السالمية) و (المجسمة) و (ابن اللبان)، توفي سنة ٤٥٨ هـ.انظر: تاريخ الإسلام(١٠١/١٠) الأعلام(٩٩/٦).

(١) كتاب العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى، تحقيق:د.احمد علي سير المباركي الطبعة: الثانية ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

(٢) لم أجد كتاباً للبخاري بهذا الإسم لعله يقصد: كتاب خلق أفعال العباد.

(٣) لم أجد هذا النقل لافي العدة لأبي يعلى ولا عند البخاري.

(٤) في الأصل :(من سعيد بن كلاب الكلابية ونحوهم).

(٥) عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري أبو محمد، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم. رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه وأصحابه هم الكلابية، لحق بعضهم أبو الحسن الاشعري، له كتاب " الصفات "، وكتاب " خلق الافعال "، و " كتاب الرد على المعتزلة " توفي سنة ٢٤٥هـ.انظر: سير أعلام النبلاء(١٧٤/١١) والأعلام (٩٠/٤).

وكان ممن اتبعه الحارث المحاسبي(١)، وأبو العباس القلانسي(٢)، ثم أبو الحسن الأشعري، وأبو الحسن بن مهدي الطبري(٣)، وأبو العباس الضبعي(٤)، وأبو سليمان الدمشقي(٥)،

وأبوحاتم البستي(٦)، وغير هؤلاء/: المثبتين للصفات، المنتسبين إلى السنة والحديث، المتلقبين بنظار أهل الحديث. ظ٢٩

طريقة ابن كلاب في الصفات

وسلك طريقة ابن كلاب -في الفرق بين الصفات اللازمة كالحياة والصفات الاختيارية وأن الرب يقوم به الأول دون الثاني- كثير من المتأخرين: من أصحاب مالك والشافعي

---

(١) الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله، من أكابر الصوفية. كان عالماً بالأصول والمعاملات، واعظاً مبكياً، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم. من كتبه (آداب النفوس) ، و (شرح المعرفة) تصوف، و (المسائل في أعمال القلوب والجوارح) ، و (المسائل في الزهد وغيره) و (البعث والنشور) ، و (الرعاية لحقوق الله عزوجل) و (الخلوة والتنقل في العبادة)توفي سنة ٢٤٣هـ. انظر: وفيات الأعيان (٥٧/٢) والأعلام (١٥٣/٢).

(٢) هو أبو العباس عبد الرحمن بن خالد القلانسي الرازي وصفه البغدادي: بإمام أهل السنة الذي زادت تصانيفه في الكلام على مائة وخمسين كتاباً وذكر أنه في زمان أبو علي الثقفي أحد أعلام الكلابية المتوفى سنة ٣٢٨هـ ،ولكن شيخ الإسلام صرح بمتابعته لابن كلاب، وذكر قوله في مسألة الإيمان، وأنه نصر مذهب السلف. انظر:تبيين كذالمفتري لابن عساكر (٣٩٨/١) أصول الدين للبغدادي (ص٣١٠) والفتاوى (١١٩/٧).

(٣) علي بن محمد بن مهدي الطبري، الأشعري (أبو الحسن) محدث، فقيه، مفسر، اخباري مشارك في اصناف من العلوم صحب أبا الحسن الأشعري واخذ عنه. من تصانيفه: مشكلات الأحاديث الواردة ،توفي في حدود سنة ٣٨٠ هـ. انظر: طبقات الشافعية (٤٦٦/٣) ومعجم المؤلفين (٢٣٤/٧).

(٤) محمد بن إسحاق الضبعي أبو العباس النيسابوري أخو الإمام أبي بكر يروي عن يحيى بن الذهلي وجماعة قال الحاكم كان اخوه ينهانا عن السماع منه لما يتعاطاه عاش ١٠٤سنين ومات في سنة ٣٥٤هـ قلت هو آخر من حدث عن بن الذهلي. انظر: لسان الميزان لابن حجر (٥٥٣/٦) تحقيق أبو غدة.

(٥) محمد بن عبد الله بن سليمان السَّعدي، أبو سليمان الدمشقي الشافعي، مُفَسِّر، صنف مجتبى التفسير، والمهذب في التفسير، عاش في القرن الرابع. انظر: تاريخ دمشق (٣٤٩/٥٣) وطبقات المفسرين للسيوطي (ص:٨٩).

(٦) محمد بن حبّان بن أحمد بن حبّان أبو حاتم التميمي البُسْتي لحافظ العلامة، صاحب التصانيف ألف " المُسْنَد الصّحيح " و" التاريخ " و" الضُّعفَاء " توفي سنة ٣٥٤ هـ.انظر: تاريخ الإسلام(٧٣/٨) وشذرات الذهب (٢٨٥/٤).

وأحمد: كالتميميين أبي الحسن التميمي[1]، وابنه أبي الفضل التميمي[2]، وابن ابنه رزق الله التميمي،[3] وعلى عقيدة الفضل[4] التي ذكر أنها عقيدة أحمد اعتمد أبو بكر البيهقي فيما ذكره من مناقب أحمد من الاعتقاد[5].

وكذلك سلك طريقة ابن كلاب هذه أبو الحسن بن سالم[6] وأتباعه/ السالمية[7] والقاضي ط٣٦٧ والقاضي أبو يعلى[8] وأتباعه: كابن عقيل[9]،وأبي الحسن بن الزاغوني[10]، وهي طريقة أبي

---

(١) عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث، أبو الحسن التميمي: فقيه حنبلي، له اطلاع على مسائل الخلاف. صنف كتباً في " الأصول " و " الفرائض " توفي سنة ٣٧١هـ. انظر: ميزان الاعتدال (٦٢٥/٢) والأعلام (١٦/٤).

(٢) أبو الفضل، عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث، التميمي البغدادي الحنبلي من تصانيفه: الاعتقاد المروي عن أحمد بن حنبل ،فلقد كان جامعها –كأكثر الحنابلة المتوسطين– من المتأثرين بعقيدة ابن كلاب توفي سنة ٤١٠هـ.انظر: سير أعلام النبلاء(١٧/ ٢٧٣) ومعجم المؤلفين (٦/ ٢٠٨).

(٣) رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان وله تصانيف. منها " شرحُ الإرشاد " لشيخه ابن أبي موسى في الفقه و"الخصال والأقسام". توفي سنة ٤٨٨هـ. انظر : سر أعلام النبلاء (٦٠٩/١٨) وذيل طبقات الحنابلة (١٧٢/١).

(٤) هو كتاب اعتقاد الإمام المنبل أبي عبد الله أحمد بن حنيل / لأبي الفضل التميمي ت (ت٤١٠) تحقيق: أبي المنذر النقاش (ط)الأولى (ن)الكتب العليمة – بيروت.

(٥) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد / للبيهقي تحقيق: أحمد أبو العينين (ط)الأولى ١٤٢٠هـ (ن) الفضيلة – الرياض.

(٦) أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم البصري الزاهد شيخ الصوفية السالمية كان له أحوال ومجاهدات مات سنة بضع وخمسين وثلاث مائة. سير أعلام النبلاء (٢٧٢/١٦) مرآة العارفين وشذرات الذهب(٣١٨/٤).

(٧) السالمية: فرقة من أهل الكلام فيها تصوّف، تنتسب إلى محمد بن سالم، المتوفى سنة ٢٩٧ هـ، وابنه أحمد المتوفى سنة ٣٥٠ هـ. ومن أشهر رجالها: أبو طالب المكي (ت٣٨٦هـ) صاحب كتاب "قوت القلوب".انظر: المعتمد في أصول الدين (ص٢١٧). ومختصر الصواعق (١٣١٣).

(٨) انظر: كتاب المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى (ص٤٤).

(٩) أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي، الظفري، الحنبلي، المتكلم، صاحب التصانيف،وأكبر تصانيفه الفنون وهو أزيد من أربع مائة مجلد، إلا أنه خالف السلف، ووافق المعتزلة في عدة بدع، فإن كثرة التبحر في الكلام ربما أضر بصاحبه، توفي سنة ٥١٣هـ . انظر: سير أعلام النبلاء (٤٤٣/١٩) وميزان الاعتدال (١٤٦/٣).

أبي المعالي الجويني، وأبي الوليد الباجي[1]، والقاضي أبي بكر بن العربي[2] وغيرهم؛ لكنهم افترقوا في القرآن، وفي بعض المسائل على قولين -بعد اشتراكهم في الفرق الذي قرره ابن كلاب- كما قد بسط كلام هؤلاء في مواضع أخر[3].

والإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة كانوا يحذرون عن هذا الأصل الذي أحدثه ابن كلاب، ويحذرون عن أصحابه، وهذا هو سبب تحذير الإمام أحمد عن الحارث المحاسبي ونحوه من الكلابية[4].

ولما ظهر هؤلاء ظهر حينئذ من المنتسبين إلى إثبات الصفات من يقول: إن الله لم يتكلم بصوت فأنكر أحمد ذلك، وجهّم من يقوله، وقال:" هؤلاء الزنادقة إنما يدورون على التعطيل"، وروى الآثار في أن الله يتكلم بصوت وكذلك أنكر على من يقول إن الحروف مخلوقة، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل في"كتاب السنة": "قلت لأبي: إن هاهنا من يقول:

---

(١) أبو الحسن علي بن عبيد الله ابن نصر بن عبيد الله بن سهل بن الزاغوني البغدادي، وله تصانيف فيها أشياء من بحوث المعتزلة بدعوه بها لكونه نصرها، وما هذا من خصائصه، بل قل من أمعن النظر في علم الكلام إلا وأداه اجتهاده إلى القول بما يخالف محض السنة،توفي سنة ٥٢٧هـ.انظر: سير أعلام النبلاء(١٩/٦٠٦) وميزان الاعتدال (٣/١٤٤).

(٢) سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي، أبو الوليد، صاحب التصانيف. صنف كتاب(المنتقى في الفقه)، وكتاب(المعاني في شرح الموطأ)، فجاء في عشرين مجلدا، عديم النظير.وقد صنف كتابا كبيرا جامعا، بلغ فيه الغاية، سماه:(الاستيفاء)، وكتاب(التسديد إلى معرفة التوحيد) توفي سنة ٤٧٤هـ .انظر: سير أعلام النبلاء(١٨/٥٣٥) والأعلام (٣/١٢٥).

(٣) كمافي (ط) وفي الأصل:(أبي بكر بن عربي) وهو القاضي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، ابن العربي الأندلسي صاحب التصانيف منها: (أمهات المسائل)، و (نزهة الناظر)، و(المحصول) في الأصول،توفي سنة٥٤٦هـ .انظر: سير أعلام النبلاء (٣٩/١٩٤) وشذرات الذهب (٦/٢٣٢).

(٤) درء تعارض العقل والنقل ٦/٢ "درء التعارض" (١/٢٤٥) "مجموع الفتاوى "(٦/٢٢٠).

(٥) العرش للذهبي ص٥٣ درء تعارض العقل والنقل (٦/٢).

إن الله لا يتكلم بصوت فقال: يا بني! هؤلاء جهمية زنادقة، إنما يدورون على التعطيل، وذكر الآثار في خلاف قولهم"[1] /. ط٣٦٨

وكذلك البخاري صاحب "الصحيح" وسائر الأئمة أنكروا ذلك أيضاً، وروى البخاري في آخر "الصحيح"[2] وفي "كتاب خلق الأفعال"[3] ما جاء في ذلك من الآثار، وبين الفرق بين صوت الله الذي يتكلم به وبين أصوات العباد/ بالقرآن، موافقة منه للإمام أحمد وغيره من الأئمة، حيث بين أن الله يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار، وأن ذلك ليس صوت العبد بالقراءة؛ بل ذلك هو صوت العبد، كما قد نص على ذلك كله في مواضع[4]، وعامة أئمة السنة والحديث على هذا الإثبات والتفريق: لا يوافقون قول من يزعم أن الكلام ليس فيه حرف ولا صوت، ولا يوافقون قول من يزعم أن الصوت المسموع من القراء وألفاظهم قديمة، ولا يقولون: إن القرآن ليس إلا الحروف والأصوات. ظ٣٠

وقد كتبت كلام الإمام أحمد ونصوصه، وكلام الأئمة قبله وبعده في غير هذا الموضع[5]؛ فإن جواب هذه المسألة لا يحتمل البسط الكثير؛ ولم يكن في كلام الإمام أحمد ولا الأئمة أن الصوت الذي تكلم الله به قديم؛ بل يقولون لم يزل الله متكلماً، وقد يقولون لم يزل الله متكلماً إذا شاء بما شاء، كما يقول ذلك الإمام أحمد، وابن المبارك، وغيرهما.

معنى كون القرآن غير مخلوق

وكذلك قد تنازع الناس في زمنهم وبعده -من أصحابهم وغيرهم- في معنى كون القرآن غير مخلوق هل المراد به أن نفس الكلام قديم/ أزلي كالعلم؟ أو أن الله لم يزل ط٣٦٩

---

(١) انظر: كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل (ص ٢٨٠) .

(٢) انظر: كتاب الصحيح باب كلام الله مع جبريل ونداء الله الملائكة ٤٠١/٤ وهي أحاديث في كلام الله لملائكته ورسله وأهل الجنة .

(٣) هوكتاب للإمام محمد بن إسماعيل البخاري -من أئمة أهل السنة صاحب الصحيح المتوفى ٢٥٤هـ- له عدة طبعات منها طبع دار أطلس الخضراء تحقيق: فهد الفهيد.

(٤) انظر: كتاب خلق أفعال العباد للبخاري ٧٠/٢.

(٥) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية /(١٥٧/٦)و (١٢/ ٣٨،٣٠٤).

موصوفاً بأنه متكلم يتكلم إذا شاء؟ على قولين. ذكرهما الحارث المحاسبي عن أهل السنة، وأبو بكر عبد العزيز[1] في "كتاب الشافي" عن أصحاب الإمام أحمد، وذكرهما أبو عبد الله ابن حامد[2] في كتابه "أصول الدين". والنزاع في ذلك بين سائر طوائف السنة والحديث، وهذا مبني على أصل الصفات الفعلية الاختيارية[3] والنزاع فيه بين جميع الطوائف من أهل الحديث والسنة والفقه والتصوف ومن دخل معهم من أهل المذاهب الأربعة وبين سائر الفرق، حتى بين الفلاسفة أيضاً، وقد حققت ذلك في غير هذا الموضع[4].

وهذا منشأ نزاع الذين وافقوا السلف على أن القرآن كلام الله غير مخلوق؛ فإن هؤلاء تنازعوا في أن الرب هل يتكلم بمشيئته وقدرته؟ على قولين. فالذين وافقوا ابن كلاب قالوا: إنه لا يتكلم/ بمشيئته وقدرته[5]؛ بل كلامه لازم لذاته كحياته ثم من هؤلاء من عرف أن الحروف والأصوات لا تكون قديمة العين فلم يمكنه أن يقول: القديم هو الحروف والأصوات؛ لأنها لا تكون إلا متعاقبة، والصوت لا يبقى زمانين، فضلاً عن أن

ط ٣٧٠

(١) عبد العزيز بن جعفر بن أحمد بن يزدا أبو بكر، غلام الخلال: مفسر، ثقة في الحديث، من أعيان الحنابلة. كان تلميذا لأبي بكر الخلال، فلقب به.من كتبه: " الشافي " و " المقنع " و " تفسير القرآن " و " الخلاف مع الشافعي " و " زاد المسافر " و " التنبيه " و " مختصر السنة " توفي سنة ٣٦٣ هـ.انظر: سير أعلام النبلاء(١٦/١٤٣) والأعلام (٤/١٥).

(٢) الحسن بن حامد بن علي بن مروان البغدادي، أبو عبد الله شيخ الحنابلة ومفتيهم. له مصنفات في الفقه وغيره، منها: (الجامع) في فقه ابن حنبل، نحو أربعمائة جزء، و (شرح أصول الدين) و (تهذيب الاجوبة). وكان ينسخ الكتب، ويقتات من أجرتها توفي سنة ٤٠٣هـ.انظر سير أعلام النبلاء(١٧/٢٠٣) والأعلام (٢/١٨٢).

(٣) الصفات الفعلية: هي المعاني التي يتصف بها الربّ عزّ وجلّ، فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته؛ مثل كلامه، وإرادته، ومحبّته...إلخ ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب والسنة (وتسمى الاختياريّة). جامع الرسائل (المجموعة الثانية ص٣).ولشيخ الإسلام رحمه الله رسالة صغيرة باسم: ((رسالة في الصفات الاختياريّة)) ضمن جامع الرسائل.وانظر: كلامه أيضاً رحمه الله عن مسألة قيام الأفعال الاختياريّة بالله تعالى، وأقوال السلف فيها، ومن أثبتها، أو نفاها في درء تعارض العقل والنقل ٢/١٨و٩/٢١٦.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/٦٨،١٥٠،٢٧١).

(٥) انظر: مقالات الاسلاميين (١/٢٤٩) وأصول الدين للبغدادي (٩٠-٩٣).

يكون قديماً. فقال: القديم هو معنى واحد، لامتناع معاني لا نهاية لها، وامتناع التخصيص بعدد دون عدد . فقالوا : هو معنى واحد[1] وقالوا : إن الله لا يتكلم بالكلام العربي والعبري، وقالوا: إن معنى التوراة والإنجيل والقرآن وسائر كلام الله معنى واحد،/ ومعنى آية الكرسي وآية الدين معنى واحد. إلى غير ذلك من اللوازم التي يقول جمهور العقلاء أنها معلومة الفساد بضرورة العقل، ومن هؤلاء من عرف أن الله تكلم بالقرآن العربي والتوراة العبرية، وأنه نادى موسى بصوت، وينادي عباده بصوت وأن القرآن كلام الله حروفه ومعانيه؛ لكن اعتقدوا مع ذلك أنه قديم العين، وأن الله لم يتكلم بمشيئته وقدرته. فالتزموا أنه حروف وأصوات قديمة الأعيان لم تزل ولا تزال، وقالوا: إن الباء لم تسبق السين، والسين لم تسبق الميم، وأن جميع الحروف مقترنة بعضها ببعض اقتراناً قديماً أزلياً لم يزل ولا يزال، وقالوا: هي مترتبة في حقيقتها وماهيتها غير مترتبة في وجودها. وقال كثير منهم: إنها مع ذلك شيء واحد، إلى غير ذلك من اللوازم التي يقول جمهور العقلاء إنها معلومة الفساد بضرورة العقل. ظ٣١

ومن هؤلاء من يقول: هو قديم، ولا يفهم معنى القديم. فإذا سئل عن ذلك قال: هي قديمة في العلم، ولا يعلم أن المخلوقات كالسماء والأرض بهذه المثابة مع أنها مخلوقة، ومنهم من يقول: قديم بمعنى أنه متقدم على غيره، ولا يعرف أن الذين قالوا: إنه مخلوق لا ينازعون في أنه قديم بهذا المعنى، ومنهم من يقول: إن مرادنا بأنه قديم أنه غير مخلوق ولا يفهم أنه مع ذلك يكون أزلياً لم يزل، وهؤلاء سمعوا/ ممن يوافقهم على أنه غير/ مخلوق: قالوا هو قديم، فوافقوا على أنه قديم، ولم يتصوروا ما يقولونه. ط٣٧١ ظ٣٢

كما أن من الناس من قال: هو غير مخلوق، وأراد بذلك أنه غير مكذوب، وهذا مما لم يتنازع فيه الناس، كما لم يتنازعوا في أنه قديم بمعنى أنه متقدم على غيره.

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (٢/٢٥٧) والإنصاف (ص ١٥٨).

والقول الثاني: قول من يقول: إن الله يتكلم بمشيئته وقدرته مع أن كلامه غير مخلوق. وهذا قول جماهير أهل السنة والنظر، وأئمة السنة والحديث[1]، لكن من هؤلاء من اعتقد أن الله لم يكن يمكنه أن يتكلم في الأزل بمشيئته، كما لم يكن يمكنه عندهم أن يفعل في الأزل شيئاً، فالتزموا أنه تكلم بمشيئته بعد أن لم يكن متكلماً، كما أنه فعل بعد أن لم يكن فاعلاً، وهذا قول كثير من أهل الكلام والحديث والسنة.

وأما السلف والأئمة فقالوا: إن الله يتكلم بمشيئته وقدرته وإن كان مع ذلك قديم النوع بمعنى: أنه لم يزل متكلماً إذا شاء؛ فإن الكلام صفة كمال، ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، ومن يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يكون متكلماً بمشيئته وقدرته، ومن لا يزال متكلماً بمشيئته وقدرته أكمل ممن يكون الكلام ممكناً له بعد أن يكون ممتنعاً منه، أو قدر أن ذلك ممكن، فكيف إذا/ كان ممتنعاً؟ لامتناع أن يصير الرب قادراً بعد أن لم يكن، وأن يكون التكلم والفعل ممكنا بعد أن كان غير ممكن؟ كما قد بسط هذا في مواضع أخر. ط٣٧٢

وكانت اللفظية الخلقية من أهل الحديث يقولون: نقول: إن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، وإن التلاوة غير المتلو. والقراءة غير المقروء. و اللفظية المثبتة يقولون: نقول: إن ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة، والتلاوة هي المتلو، والقراءة هي المقروء.

وأما المنصوص الصريح عن الإمام أحمد، وأعيان أصحابه، وسائر أئمة السنة والحديث فلا يقولون مخلوقة ولا غير مخلوقة، ولا يقولون التلاوة هي المتلو مطلقاً، ولا غير المتلو مطلقاً كما لا يقولون: الاسم هو المسمى، ولا غير المسمى.

وذلك أن التلاوة والقراءة كاللفظ قد يراد به مصدر تلا يتلو تلاوةً، وقرأ يقرأ قراءةً، ولَفَظ يلفظ لفظاً،/ ومسمى المصدر هو فعل العبد وحركاته، وهذا المراد باسم التلاوة والقراءة، واللفظ مخلوق، وليس ذلك هو القول المسموع: الذي هو المتلو. وقد يراد ظ٣٣

(١) انظر: الرد على الجهمية والزنادقة (ص١٣٣) والتسعينية (٦١٢/٢) ومجموع الفتاوى (١٧٩/٦).

باللفظ الملفوظ، وبالتلاوة المتلو، وبالقراءة المقروء، وهو القول المسموع، وذلك هو المتلو، ومعلوم أن القرآن المتلو: الذي يتلوه العبد، ويلفِظ/ به غير مخلوق، وقد يراد بذلك مجموع الأمرين. فلا يجوز إطلاق الخلق على الجميع ولا نفي الخلق عن الجميع. ط٣٧٣

وصار ابن كلاب يريد بالتلاوة القرآن العربي، وبالمتلو المعنى القائم بالذات، وهؤلاء إذا قالوا: التلاوة غير المتلو، وهي مخلوقة: كان(١) مرادهم أن الله لم يتكلم بالقرآن العربي، بل عندهم أن القرآن العربي مخلوق. وهذا لم يقله أحد من أئمة السنة والحديث. ويظن هؤلاء أنهم يوافقون البخاري أو غيره ممن قد يفرق بين التلاوة والمتلو، وليس الأمر كذلك.

ومن الآخرين من يقول: التلاوة هي المتلو، ويريد بذلك أن نفس ما تكلم الله به من الحروف والأصوات هو الأصوات المسموعة من القراء، حتى يجعل الصوت المسموع من العبد هو صوت الرب، وهؤلاء يقولون : نفس صوت المخلوق وصفته هي عين صفة الخالق، وهؤلاء اتحادية(٢) حلولية(٣) في الصفات يشبهون النصارى من بعض الوجوه، وهذا لم يقله أحد من أئمة السنة.

ويظن هؤلاء أنهم يوافقون أحمد وإسحاق وغيرهما ممن ينكر على اللفظية وليس الأمر كذلك؛ فلهذا كان المنصوص عن الإمام أحمد وأئمة السنة والحديث أنه لا يقال: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، ولا غير/ مخلوقة. ولا أن التلاوة هي المتلو مطلقاً ولا غير المتلو مطلقاً؛ فإن اسم القول والكلام قد يتناول هذا وهذا؛ ولهذا يجعل الكلام قسيماً للعمل ليس قسماً منه في مثل قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ فاطر: ١٠. وقد يجعل قسماً منه كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا ط٣٧٤

(١) في (ط) : (كأن مرادهم) والصواب ما في الأصل.

(٢) الاتحاد : امتزاج الشيئين و اختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً. انظر: التعريفات(ص٩).

(٣) الحلول: عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفا للآخر كحلول الماء في الكوز. انظر: التعريفات(ص٩٨).

يَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾/الحجر: ٩٢ - ٩٣. قال طائفة من السلف عن قول لا إله إلا الله، ومنه قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح: "لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فقال رجل لو أن لي مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما يعمل"(١) ولهذا تنازع أصحاب أحمد فيمن حلف لا يعمل اليوم عملاً هل يحنث بالكلام ؟ على قولين . ذكرهما القاضي أبو يعلى وغيره. ظ٣٤

ولم تكن اللفظية الخلقية ينكرون كون القرآن كلام الله حروفه ومعانيه وأن الله يتكلم بصوت؛ بل قد يقولون: القرآن كله كلام الله حروفه ومعانيه؛ فإن الله يتكلم بصوت، كما نص عليه أحمد والبخاري وغيرهما من الأئمة، وكما جاءت به الآثار؛ ولكن يقولون المترل إلى الأرض من الحروف والمعاني ليس هو نفس كلام الله الذي ليس بمخلوق؛ بل ربما سموها حكاية عن كلام الله كما يقوله ابن كلاب أو عبارة عن كلام الله كما يقوله الأشعري(٢)، وربما سموها كلام الله؛ لأن المعنى مفهوم عندهم./ ط٣٧٥

ولكن لما حدث أبو محمد بن كلاب وناظر المعتزلة بطريق قياسية سلم لهم فيها أصولاً- تواضعوها(٣): من امتناع تكلمه -تعالى- بالحروف، وامتناع قيام الصفات الاختيارية بذاته مما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال والكلام وغير ذلك؛ لأن ذلك يستلزم أنه لم يخل من الحوادث وما لم يخل من الحوادث فهو حادث - اضطره ذلك إلى أن يقول: ليس كلام الله إلا مجرد المعنى وإن الحروف ليست من كلام الله وتابعه على ذلك أبو الحسن الأشعري؛ وإن تنازعا في أن الرب كان في الأزل آمراً ناهياً، أو صار آمراً ناهياً بعد أن لم

---

(١) أخرجه البخاري بنحوه في كتاب فضائل القران باب اغتباط صاحب القران (٣/٣٤٦ رقم ٥٠٢٦) ومسلم(ت. عبد الباقي) بنحوه كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل من يقوم بالقران ويعلمه (٥٥٨/١رقم ٢٦٦).

(٢) قلت: كان ذلك قبل رجوع الأشعري لمذهب السلف كما في الإبانة والذي تمسك أتباع بما قال أولاً انظر: مقالات الاسلاميين (٢٥٧/٢) ونهاية الإقدام (ص٢٩١).

(٣) في (ط):(هم واضعوها).

يكن. وفي أن الكلام هل هو صفة واحدة كما يقوله الأشعري، أو خمس صفات كما يقوله ابن كلاب(١) -.

المخالفين لأهل السنة

وصار هؤلاء مخالفين لأئمة السنة والحديث في شيئين:

(أحدهما): أن نصف القرآن من كلام الله، والنصف الآخر ليس كلام الله عندهم؛ بل خلقه الله في الهواء، أو في اللوح المحفوظ، أو أحدثه جبريل، أو محمد -صلى الله عليه وسلم-. وهؤلاء في كونهم/ جعلوا نصف القرآن مخلوقاً(٢) موافقين لمن قال بخلقه؛ لكن هؤلاء يقولون: إن هذا النصف المخلوق كلام الله. وأولئك يقولون: هو مخلوق منفصل عن الله، وهو كلامه؛ لكن أولئك لا يجعلون لله كلاماً متصلاً به قائماً بنفسه، ولا معاني ولا حروفاً.

ظ٣٥

ط٣٧٦

وهؤلاء يقولون: لله كلام قائم به/ متصل به هو معنى. فصار أولئك أشد بدعة في نفيهم حقيقة الكلام عن الله، وفي جعلهم كلام الله مخلوقاً. وهؤلاء أشد بدعة في إخراجهم ما هو من كلام الله عن أن يكون من كلام الله، وصاروا في هذا موافقين الوحيد(٣) في بعض قوله لا في كله، وهو قولهم: إن نصف القرآن ليس قول الله: بل قول البشر.

وربما استدل بعضهم بأنه مضاف(٤) إلى الرسول فيكون هو أحدث حروفه ولم يتأمل هذا القائل فيرى أنه أضافه تارة إلى رسول هو جبريل، وتارة إلى رسول هو محمد بقوله في الآية الأولى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١﴾ التكوير: ١٩ - ٢١ فهذا جبريل [وقال في الآية الأخرى](٥): ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ

(١) انظر: نهاية الإقدام (ص٢٩١) و لباب العقول (ص٢٨٢) والتسعينية (٧٠٢/٢).

(٢) انظر : مقالات الاسلاميين للأشعري حكاه عن ابن الماجشون (ص٢٥٩).

(٣) يقصد: الوليد بن المغيرة الذي قال الله عنه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾ المدثر: ١١.

(٤) انظر : كتاب الإنصاف للباقلاني (ص ٩٣).

(٥) إدراج من (ط) وليست في الأصل والسياق يقتضيه.

بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾الحاقة: ٤٠ – ٤٢. وهذا **محمد**، فلو كانت إضافته إليه لأنه ابتدأ حروفه وأحدثها لم يصلح أن يضاف إلى كل منهما؛ لامتناع أن يكون كل منهما هو أحدث حروفه ؛ ولأنه قال:﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ ﴾ وهذا إخبار عن القرآن الذي هو بالمعنى أحق عندهم وعند أهل السنة أيضاً، فلو كان الرسول ابتدأه لكان القرآن من عنده لا من عند الله، وإنما أضافه الله إلى الرسول لأنه بلغه وأداه وجاء به من عند الله؛ ولهذا قال: ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ ﴾ ولم يقل: (لقول ملك ولا نبي)؛ بل جاء باسم الرسول ليتبين/ أنه واسطة فيه وسفير، والكلام كلام لمن اتصف به مبتدئاً منشئاً؛ لا لمن تكلم به مبلغا مؤدياً، كما يقال مثل ذلك في جميع كلام الناس فكيف بكلام الله ؟ وهذا على القول المشهور في التفسير[1] المطابق لظاهر القرآن : أن الرسول في أحد الموضعين محمد –صلى الله عليه وسلم–، وفي/ الآخر جبريل –عليه السلام–.

٣٧٧ط

٣٦ظ

وأما على قول طائفة جعلته في الموضعين جبريل[2] فيكون الجواب هو الثاني، والإثبات في الحقيقة حجة لمن يقول إنما يتكلم بكلام الله ويقول قوله؛ لأنه جعل الرسول يقول قول الله الذي أرسله به، والمعنى يراد من هذا قطعاً كما أريد منه اللفظ أيضاً.

وأيضاً فإن هؤلاء جعلوا الكلام الذي يتصف الله به معنى واحداً وهو الأمر والنهي والخبر والاستخبار وأنه إن عبر عنه بالعربية كان هو القرآن، وإن عبر عنه بالعبرية كان هو التوراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان هو الإنجيل، وهذا مما أجمع جمهور العقلاء على أن فساده معلوم بالضرورة.

و "المعنى الثاني" الذي خالفوا فيه أهل السنة والجماعة قولهم: إن القرآن المنزل إلى الأرض ليس هو كلام الله لا حروفه ولا معانيه بل هو مخلوق عندهم، ويقولون: هو عبارة عن المعنى القائم بالنفس؛ لأن / العبارة لا تشبه المعبر عنه؛ بخلاف الحكاية والمحكي،

٣٧٨ط

---

(١) انظر: تفسير ابن جريري الطبري (٢٤/٢٥٢).

(٢) انظر : كتاب الإنصاف للباقلاني (ص ٩٣).

وهذا فيه من زيادة البدع ما لم يكن في قول اللفظية من أهل الحديث الذين أنكر عليهم أئمة السنة وقالوا هم جهمية إذ جعلوا الحروف من إحداث الرسول، وليست مما تكلم الله به بحال، وقالوا: إنه ليس لله في الأرض كلام، ولم يكن أيضاً في اللفظية القدماء الذين يقولون: لفظنا بالقرآن غير مخلوق من يقول إن صوت العبد غير مخلوق، أو أن الصوت القديم يسمع من العبد أو أن هذا الصوت صوت الله، أو يسمع معه صوت الله؛ وإنما أحدث هذا أيضاً المتطرفون() منهم، ()كما أحدث المتطرفون من أولئك أن حروف القرآن ليست كلام الله()؛ فإن هاتين البدعتين الشنيعتين لم تكونا بعد ظهرتا في أولئك المنحرفين الذين أنكر الإمام أحمد وغيره قولهم من الطائفتين، وأن القرآن ليس إلا مجرد معنى قائم بالنفس، وذلك المعنى إليه يعود كلام الله من التوراة والإنجيل والقرآن.

والأخرى: قد رأت حروف القرآن من كلام الله، وأن القرآن كلام الله حروفه ومعانيه، وأن المعنى الواحد/ يمتنع أن يكون هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وأنه يمتنع أن يكون مدلول التوراة والإنجيل والقرآن واحداً، وعلموا أنا إذا ترجمنا التوراة بالعربية لم يصر معناها معنى القرآن، وأن هذه الأقوال معلومة الفساد/ بالضرورة، عارضها بعضها؛ لأن القرآن حرف وصوت، واعتقد بعضهم أنه ليس القرآن والكلام إلا مجرد الحروف والأصوات، وأولئك يقولون ليس الكلام إلا مجرد المعنى القائم بالنفس.

ظ٣٧

ط٣٧٩

وكلا هذين السلبين الجحودين الحادثين خلاف ما كان عليه الأئمة كالإمام أحمد وغيره من الأئمة، وأعيان العلماء من سائر الطوائف. فإن الكلام عندهم اسم للحروف والمعاني جميعا كما أن الإنسان الناطق المتكلم اسم للجسد والروح جميعاً، ومن قال: إن الإنسان ليس إلا هذه الجملة المشاهدة فهو بمنزلة من قال ليس الكلام إلا الأصوات المقطعة، ومن

---

(١) المتطرفون: جمع متطرف نسبة للطرف قال ابن فارس: الطرف حد الشيء وحرفه .انظر: معجم مقاييس اللغة (٤٤٧/٣) قلت: أصبح مصطلح يقابل التوسط فكل من أخذ جانب الأمر وابتعد عن الوسط فهو متطرف.

(٢) انظر: رسالة في إثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القران (ص٧٨).

(٣) انظر: الإنصاف للباقلاني (ص٩٤).

قال: إن الإنسان ليس إلا لطيفة وراء هذا الجسد فهو بمنزلة من قال: إن الكلام ليس إلا معنىً وراء هذه الحروف والأصوات، وكلاهما جحد لبعض حقائق مسميات الأسماء، وإنكارٍ لحدود ما أنزل الله على رسوله.

فصل

فروخ اللفظية النافية والمثبتة

ثم إن فروخ اللفظية النافية[1]: الذين يقولون بأن حروف القرآن ليست من كلام الله تروي عن منازعيها أنهم يقولون: القرآن ليس هو إلا الأصوات المسموعة من العبد، وإلا المداد المكتوب في الورق/ وإن هذه الأصوات وهذا المداد قديمان، وهذا القول ما قاله أحد ممن يقول إن القرآن ليس إلا الحروف والأصوات؛ بل أنكروا ذلك وردوه وكذبوا من نقل عنهم: أن المداد قديم، ولكن هذا القول قد يقوله الجهال المتطرفون، كما يحكى عن أعيانهم مثل سكان بعض الجبال: أن الورق والجلد والوتد وما أحاط به من الحائط كلام الله، أو ما يشبه هذا اللغو من القول الذي لا يقوله مسلم ولا عاقل.

ط٣٨٠

وفروخ اللفظية المثبتة[2]: الذين يقولون: إن القرآن ليس إلا الحروف والصوت: تحكي[3] عن منازعيها: أن القرآن ليس محفوظاً في القلوب، ولا متلوا بالألسن، ولا مكتوباً في المصاحف، وهذا أيضاً ليس قولاً لأولئك؛ بل هم متفقون/على أن القرآن محفوظ في القلوب متلو بالألسنة، مكتوب في المصاحف، لكن جهالهم وغاليتهم إذا تدبروا حقيقة قول مقتصديهم -إن القرآن العربي لم يتكلم الله به، وإنه ليس إلا معنى واحد قائم بالذات، وأصوات العباد ومداد المصحف يدل على ذلك المعنى، وأنه ليس لله في الأرض كلام في الحقيقة، وليس في الأرض إلا ما هو دال على كلام الله، ولم يقل إلا ما هو دال على كلام الله، وكلام الله إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً، وهو معنى واحد لا يتعدد، ولا يتبعض ولا يتكلم الرب بمشيئته وقدرته؛ إلى/ أمثال ذلك من حقائق قول المقتصدين- أسقطوا حرمة المصحف وربما داسوه ووطئوه، وربما كتبوه بالعذرة أو غيرها. وهؤلاء أشد كفراً ونفاقاً ممن يقول الجلد والورق كلام الله؛ فإن أولئك آمنوا بالحق وبزيادة من الباطل وهؤلاء

ظ٣٨

ط٣٨١

---

(١) بعض الكلابية والأشاعرة والماتريدية انظر: مقالات الإسلاميين (٢٥٧/٢) الإنصاف للباقلاني (ص٩٤)ومختصر الصواعق (٥١٣/٢).

(٢) وهم بعض الكلابية انظر:مقالات الإسلاميين (٢٤٩/١) والبراهان للسكسي (ص٣٦).

(٣) في (ط): تحكى .

كذبوا بالكتاب وبما أرسل الله به رسله ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ غافر: ٧٠ - ٧١.

وأما أهل العلم بالمقالة وأهل الإيمان بالشريعة فيعظمون المصحف ويعرفون حرمته ويوجبون له ما أوجبته الشريعة من الأحكام، فإنه كان في قولهم نوع من الخطأ والبدعة، وفي مذهبهم من التجهم والضلال ما أنكروا به بعض صفات الله وبعض صفات كلامه ورسله، وجحدوا بعض ما أنزل الله على رسله وصاروا مخانيث(١) للجهمية الذكور المنكرين لجميع الصفات، لكنهم مع ذلك متأولون قاصدون الحق.

وهم مع تجهمهم هذا يقولون: إن القرآن مكتوب في المصحف، مثل ما أن الله مكتوب في المصحف وإنه متلو بالألسن، مثل ما أن الله مذكور بالألسن، ومحفوظ في القلوب مثل ما أن الله معلوم بالقلوب، وهذا القول فيه نوع من الضلال والنفاق والجهل بحدود ما أنزل الله على رسوله(٢)، وهو الذي أوقع الجهال في الاستخفاف بحرمة/ آيات الله وأسمائه حتى ألحدوا في أسمائه وآياته(٣). ط٣٨٢

كما أن إطلاق/ الأولين: أنه ليس للقرآن حقيقة إلا الحروف والأصوات، ولا يفرق بين صوت الله المسموع منه وصوت القارئ، وأن القرآن قديم أوقع الجهال منهم والكاذبين عليهم في نقلهم عنهم: أن أصوات العباد والمداد الذي في المصحف قديم، وأن الحروف التي هي كلام الله هي المداد، وإن كانوا لم يقولوا ذلك ؛ بل أنكروه ؛ كما فرق الله بين ظ٣٩

---

(١) المخنث : من له ما للرجال والنساء انظر: القاموس المحيط (١/١٦٥)، قلت: والمقصود: أنهم تابعين لغيرهم وليسوا أصحاب ابتداء القول.

(٢)في (ط): (ما أنزل الله على رسوله مافيه).

(٣) كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٠ وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ فصلت: ٤٠.

الكلمات والمداد في قوله: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى ﴿١٠٩﴾ ﴾[الكهف: ١٠٩] (١).

فإن هؤلاء غلطوا (٢) غلطتين (٣) غلطة (٤) في مذهبهم وغلطاً في الشريعة.

أما الغلط في تصوير مذهبهم: فكان الواجب أن يقولوا: إن القرآن في المصحف مثل ما أن العلم والمعاني في الورق، فكما يقال: العلم في هذا الكتاب يقال: الكلام في هذا الكتاب؛ لأن الكلام عندهم هو المعنى القائم بالذات فيضرب (٥) له المثل بالعلم القائم بالذات لا بالذات نفسها.

وأما الغلط في الشريعة فيقال لهم: إن القرآن في المصاحف مثل ما أن اسم الله في المصاحف؛ فإن القرآن كلام: فهو محفوظ بالقلوب كما يحفظ الكلام بالقلوب، وهو مذكور بالألسنة، كما يذكر/ الكلام بالألسنة وهو مكتوب في المصاحف والأوراق كما أن الكلام يكتب في المصاحف والأوراق، والكلام الذي هو اللفظ يطابق المعنى ويدل عليه والمعنى يطابق الحقائق الموجودة. فمن قال: إن القرآن محفوظ كما أن الله معلوم، وهو متلو كما أن الله مذكور، ومكتوب كما أن الرسول مكتوب فقد أخطأ القياس والتمثيل بدرجتين. ط٣٨٣

فإنه جعل وجود الموجودات القائمة بأنفسها بمنزلة وجود العبارة الدالة على المعنى المطابق لها، والمسلمون يعلمون الفرق بين قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ ﴾[الواقعة: ٧٧ - ٧٨] وبين قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾[الشعراء:

(١) في (ط) ولو جئنا بمثله مددا .
(٢) الغلط: خلاف الصواب يقال: غَلِط يَغْلَط غَلَطاً انظر: معجم مقاييس اللغة (٤/٣٩٤) .
(٣) في (ط) غلطين.
(٤) في (ط) غلطاً.
(٥) في (ط) فيصور .

١٩٦. **فإن القرآن لم يتزل على أحد قبل محمد: لا لفظه، ولا جميع معانيه، ولكن أنزل الله ذكره والخبر عنه،/ كما أنزل ذكر محمد والخبر عنه، فذكر القرآن في زبر الأولين كما أن ذكر محمد في زبر الأولين، وهو مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل.** ظ٤٠

فالله ورسوله معلوم بالقلوب، مذكور بالألسن، مكتوب في المصحف، كما أن القرآن معلوم لمن قبلنا مذكور لهم مكتوب عندهم، وإنما ذاك ذكره والخبر عنه، وأما نحن فنفس القرآن أنزل إلينا ونفس القرآن مكتوب في مصاحفنا، كما أن نفس القرآن في الكتاب المكتوب(١) **وهو في الصحف المطهرة.**

ولهذا يجب الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ القمر: ٥٢ / **وبين قوله:** ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾﴾ الطور: ٥ - ٣. **فإن الأعمال في الزبر كالرسول وكالقرآن في زبر الأولين، وأما (الكتاب المسطور في الرق المنشور) فهو كما يكتب الكلام نفسه والصحيفة، فأين هذا من هذا؟.** ط٣٨٤

مراتب الوجود

وذلك أن كل شيء فله أربع مراتب في الوجود: وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البنان: وجود عيني، وعلمي، ولفظي، ورسمي. ولهذا كان أول ما أنزل الله من القرآن: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾ العلق: ١. **وذكر فيها أنه سبحانه معطي الوجودين فقال:** ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ العلق: ١ - ٥ **فهذا الوجود العيني، ثم قال:** ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ علق: ٣ - ٥. **فذكر أنه أعطى الوجود العلمي الذهني، وذكر التعليم بالقلم؛ لأنه مستلزم لتعليم اللفظ والعبارة، وتعليم اللفظ والعبارة مستلزم لتعليم المعنى،**

---

(١) في (ط) المكنون.

فدل بذكره آخر المراتب على أولها لأنه[1] لو ذكر أولها أو أطلق التعليم لم يدل ذلك على العموم والاستغراق.

وإذا كان كذلك فالقرآن كلام، والكلام له (المرتبة الثالثة) ليس بينه وبين الورق مرتبة أخرى متوسطة؛ بل نفس الكلام يثبت في الكتاب،/ كما قال الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨﴾ الواقعة: ٧٧ - ٧٨ وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ البروج: ٢١ – ٥٥ /وقال: ﴿يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ٣﴾ البينة: ٥ - ٣ وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤﴾ عبس: ١١ - ١٤ وقال: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ﴾ الأنعام: ٧.

ط٣٨٥ ظ٤١

وقد يقال: إنه مكتوب فيها كما يطلق القول: إنه فيها كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ٣﴾ الطور: ١ – ٣. وأما الرب سبحانه أو رسوله أو غير ذلك من الأعيان فإنما في الصحف اسمه، وهو من الكلام؛ ولهذا قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ الأعراف: ١٥٧. وإنما في التوراة كتابته وذكره وصفته واسمه وهي (المرتبة الرابعة) منه، فكيف يجوز تشبيه كون القرآن أو الكلام في الصحف أو الورق بكون الله أو رسوله أو السماء أو الأرض في الصحف أو الورق؟!.

ولو قال قائل: الله أو رسوله في الصحف أو الورق لأنكر ذلك؛ إلا مع قرائن تبين المراد، كما في قوله: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ٥٢﴾ القمر: ٥٢ وفي قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٩٦﴾ الشعراء: ١٩٦. فإن المراد بذلك ذكره وكتابته. و الزبر: جمع زبور، والزبور فعول بمعنى مفعول أي مزبور أي: مكتوب فلفظ الزبور يدل على الكتابة، وهذا

---

(١) (لأنه): ليست في الأصل وهي من (ط).

مثل ما في الحديث المعروف عن ميسرة الفجر: "قال قلت: يا رسول الله/ متى كنت نبياً -وفي رواية متى كتبت نبياً-؟ قال: وآدم بين الروح والجسد " رواه أحمد[1]. فهذا الكون هو كتابته وتقديره، وهو (المرتبة الرابعة) كما تقدم. ط٣٨٦

فإن هذه المرتبة تتقدم وجود المخلوقات عند الله، وعند من شاء من خلقه؛ وإن كانت قد تتأخر أيضاً؛ "فإن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة" رواه مسلم في صحيحه[2] عن عبد الله بن عمرو عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولهذا قال ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ الجاثية: ٢٩. إن الله يأمر الملائكة بأن تنسخ من اللوح المحفوظ ما كتبه من القدر، ويأمر الحفظة أن تكتب أعمال بني آدم فتقابل بين النسختين فتكونان سواء،[3] ثم يقول ابن عباس: ألستم قوماً عرباً؟ وهل تكون النسخة إلا من أصل؟[4].

والتقدير والكتابة تكون تفصيلاً بعد جملة. فالله تعالى لما قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة لم يظهر ذلك التقدير للملائكة، ولما خلق آدم قبل أن ينفخ فيه الروح أظهر/ لهم ما قدره، كما يظهر لهم ذلك من كل مولود، كما في الصحيح عن ابن مسعود عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: " يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوماً [5]، ثم يكون علقة مثل ذلك،/ ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، ظ٤٢ ط٣٨٧

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٤/٢٠٢) والأجري (٣/١٤٠٥رقم ٩٤٣) قلت:وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٤٧١/رقم ١٨٥٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٤/٢٠٤٤ رقم ٢٦٥٣).

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٧/٢٧١).

(٤) ذكره ابن جرير في تفسيره (٢٢/٨٤).

(٥) في (ط) :(أربعين يوما نطفة) وليست في الأصل والصواب ما أثبه لعدم ثبوتها في نص الحديث.

وعمله، وشقي، أو سعيد "(١) وفي طريق آخر وفي رواية "ثم يبعث إليه الملك، فيؤمر بأربع كلمات فيقال : اكتب رزقه، وعمله، وأجله، وشقي، أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح "(٢).

فأخبر -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث الصحيح: أن الملك يؤمر بكتابة رزقه، وأجله، وعمله، وشقي، أو سعيد، بعد خلق جسد ابن آدم وقبل نفخ الروح فيه. فكان ما كتبه الله من نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- الذي هو سيد ولد آدم بعد خلق جسد آدم وقبل نفخ الروح فيه من هذا الجنس، كما في الحديث الآخر الذي في المسند وغيره عن العرباض بن سارية عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إني عند الله مكتوب(٣) خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته "(٤) وهذا وأمثاله من وجود الأعيان في الصحف.

وأما وجود الكلام في الصحف فنوع آخر؛ ولهذا حكى ابن قتيبة من مذهب أهل الحديث والسنة: أن القرآن في المصحف حقيقة لا مجازاً، كما يقوله بعض المتكلمة، وإحدى الجهميات التي أنكرها أحمد وأعظمها قول من زعم أن القرآن ليس في الصدور ولا في المصاحف، وأن من قال ذلك فقد قال بقول النصارى، كما حكي له ذلك عن موسى/ بن عقبة الصوري(٥) -أحد كتبة الحديث إذ ذاك ؛ ليس هو صاحب المغازي ؛ فإن ذلك قديم من أصحاب التابعين- فأعظم ذلك أحمد، وذكر النصوص والآثار الواردة ٣٨٨ط

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة بلفظ (أن أحدكم يجمع خلقه...) وزيادة (ويقال له اكتب...) (٤٢٤/٢ رقم ٣٢٠٨) وأخرجه مسلم في كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه بلفظ (أن أحدكم يجمع خلقه...) (٢٠٣٦/٤رقم ٢٦٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي باب ذكر الملائكة (٤٢٤/٢/رقم٣٢٠٨) وأخرجه ابن بطة في الإبانة (١٦٧/٣).

(٣) (مكتوب): كما في (ط) وفي الأصل لمكتوب والصواب ما أثبته لموافقته نص الحديث .

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب التاريخ باب من صفته ﷺ وأخباره (٣١٣/١٤) والبغوي في شرح السنة كتاب الفضائل باب فضائل سيد الأولي والآخرين (٢٠٧/١٣).

(٥) لم أجد ترجمته.

وذلك مثل قوله -صلى الله عليه وسلم-:" استذكروا القرآن فلهو أشد تفصياً[1] من صدور الرجال من النعم من عقلها"[2]، أومثل قوله: "الجوف الذي ليس فيه شيء من القرآن كالبيت الخرب "[3]، وغير ذلك، وليس الغرض هنا إلا التنبيه اللطيف.

ومن قال: إن هذا شبيه[4] قول النصارى فلم يعرف قول النصارى، ولا قول المسلمين، أو علم وجحد؛ وذلك أن النصارى تقول: إن الكلمة وهي جوهر إله عندهم ورب معبود تدرع الناسوت واتحد به كاتحاد الماء واللبن[5]، أو حل فيه حلول الماء في الظرف، أو اختلط به اختلاط النار والحديد، والمسلمون لا يقولون إن القرآن جوهر قائم بنفسه معبود، وإنما هو كلام الله الذي تكلم به، ولا يقولون اتحد بالبشر.

وأما إطلاق حلوله في المصاحف والصدور فكثير من المنتسبين إلى السنة الخراسانيين[6] وغيرهم يطلق ذلك ومنهم من العراقيين[7] وغيرهم من ينفي ذلك ويقول/: هو فيه على وجه الظهور لا على وجه الحلول،/ ومنهم من لا يثبته ولا ينفيه بل يقول: القرآن في القلوب والمصاحف لا يقال هو حال ولا غير حال؛ لما في النفي والإثبات من إيهام معنى فاسد وكما يقول ذلك طوائف من الشاميين وغيرهم ولا نزاع بينهم : أن كلام الله لا يفارق ذات الله وأنه لا يباينه كلامه ولا شيء من صفاته؛ بل ليس شيء من صفة

ظ٤٣

ط٣٨٩

(١) تفصياً: قال ابن حجر في الفتح :تفلتا وتخلصاً انظر : فتح الباري (٧١٢/٨).

(٢) أخرجه البخاري /كتاب فضائل القرآن / باب استذكار القرآن وتعاهده (٣٤٦/٣/ رقم٥٠٣٢) ومسلم /كتاب صلاة المسافرين /باب فضائل القران وما يتعلق به (٣١٨/٦/ رقم ٢٢٨و٢٢٩).

(٣) أخرجه الترمذي / كتاب فضائل القرآن /باب رقم ١٨ وقال عنه: حسن صحيح (٣٥/٥/ رقم ٢٩١٣) وأحمد في مسنده (٢٢٣/١).

(٤) في (ط) شبه.

(٥) انظر : الإنصاف للباقلاني (ص٥٤).

(٦) الخرسانيون : هم اتباع ابن كلاب قال ابن تيمية :" من أهل خراسان المائلين الى طريقة ابن كلاب" انظر: انظر: درء التعارض (٢٧٠/١) وأصول الدين للبغدادي (ص٢٩).

(٧) العراقيون : هم اتباع ابن كلاب قال ابن تيمية : " كما أن العراقيين المنتسبين الى أهل الإثبات من أتباع ابن كلاب كأبي العباس القلانسي وأبي الحسن الأشعري...وهم أقرب إلى السنة من أهل خرسان " انظر: درء التعارض (٢٧٠/١) وأصول الدين للبغدادي (ص٢٩).

موصوف تباين موصوفها وتنتقل إلى غيره فكيف يتوهم عاقل أن كلام الله يباينه وينتقل إلى غيره؟.

كلام الله من الله ليس ببائن منه

ولهذا قال الإمام أحمد: "كلام الله من الله ليس ببائن منه وقد جاء في الأحاديث والآثار: "أنه منه بدا أو منه(١) خرج"(٢) ومعنى ذلك أنه هو المتكلم به لم يخرج من غيره ولا يقتضي ذلك أنه باينه وانتقل عنه فقد قال سبحانه في حق المخلوقين: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ الكهف: ٥ . ومعلوم أن كلام المخلوق لا يباين محله وقد علم الناس جميعهم [أن](٣) نقل الكلام وتحويله هو معنى تبليغه كما قال: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ المائدة: ٦٧ وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ﴾ الأحزاب: ٣٩ وقال تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ الجن: ٢٨ وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : "نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه إلى من لم يسمعه فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"(٤) ، وقال : "بلغوا عني ولو آية "(٥).

ط٣٩٠

والكلام في الورق ليس هو فيه كما تكون الصفة بالموصوف/ والعرض بالجوهر. بحيث تصير صفة له ولا هو فيه كما يكون الجسم في الحيز الذي انتقل إليه من حيز آخر ولا هو فيه كمجرد الدليل المحض بمنزلة العالم الذي هو دليل على الصانع؛ بل هو قسم آخر معقول بنفسه ولا يجب أن يكون لكل موجود نظير يطابقه من كل وجه؛ بل الناس

---

(١) في (ط) ومنه .

(٢) جاء لفظ: (منه خرج) جزء من حديث عند الترمذي :(إنكم لن ترجعوا إلى الله بأفضل مما خرج منه يعني القرآن) كتاب فضائل القران (١٧٧/٥) قال الألباني : ضعيف.قلت: وقد جاء في هذا المعنى عدة أحاديث منها :عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: «يا هنتاه تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه» مختصر قيام الليل للمقريزي (ص١٧٢).

(٣) إدراج من (ط) وليست في الأصل.

(٤) أخرجه البزار (٣٨٢/٥) وابن حبان في صحيحه(٢٦٨/١رقم٦٦) وبنحوه: أخرجه أبو داود في كتاب العلم (٤٦/٤ رقم ٣٦٦٠) وأحمد في المسند (٢٢١/٧ رقم٤١٥٧).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٤٩٣/٢رقم ٣٤٦١).

بفطرهم يفهمون معنى كلام المتكلم في الصحيفة ويعلمون أن كلامه الذي قام به لم يفارق ذاته ويحل في غيره ويعلمون أن ما في الصحيفة ليس مجرد دليل على معنى في نفسه ابتداء بل ما في الصحيفة مطابق للفظه ولفظه مطابق لمعناه ومعناه مطابق للخارج وقد يعلم ما في نفسه بأدلة طبعية وبحركات إرادية لم يقصد بها الدلالة ولا يقول أحد إن ذلك كلام(١) للمتكلم مثل كلامه المسموع منه فلو كان الكلام إنما سمي بذلك لمجرد الدلالة لشاركه كل دليل وسنتكلم إن شاء الله تعالى على ذلك.

ظ٤٤ ولو كان ما في المصحف وجب احترامه لمجرد الدلالة وجب/ احترام كل دليل؛ بل الدال على الصانع وصفاته أعظم من الدال على كلامه وليست له حرمة كحرمة(٢) المصحف والدال على المعنى القائم بنفس الإنسان قد يعلم تارة بغير اختياره وقد يعلم بأصوات طبعية كالبكاء وقد يعلم بحركات لم يقصد بها الدلالة وقد يعلم بحركات يقصد بها الدلالة كالإشارة وقد يعلم باللفظ الذي تقصد به الدلالة./ ط٣٩١

فصل

المراد بقراءة القرآن وكتابته

وصار هؤلاء الذين غلطوا مذهب اللفظية وزادوا فيه شراً كثيراً إذ قالوا: القراءة غير المقروء و التلاوة غير المتلو والكتابة غير المكتوب إنما يعنون بالقراءة: أصوات القارئين، وبالكتابة: مداد الكاتبين ويعنون أن هذا غير المعنى القائم بالذات الذي هو كلام الله وإنما هو دلالة عليه وعبارة عنه؛ وليس عندهم إلا قراءة ومقروء فلم يبق إلا صوت ومداد ومعنى قائم بالذات؛ ليس ثم قرآن غير ذلك.

وأسقطوا حروف كلام الله التي تكلم بها وحقيقة معاني القرآن التي في نفس الله –تعالى –وأسقطوا أيضا معاني القرآن التي في نفوس القارئين والمستمعين؛ فإنه لا ريب أن القرآن

---

(١) في (ط) الكلام.

(٢) كما في (ط) وفي الأصل:(وليست له بحرمة المصحف).

الذي نقرؤه فيه حروف ومعاني حروف منطوقة ومسطورة؛ فإذا لم يكن عندهم إلا صوت العبد وحبر المصحف فأين المعاني؟ وأين حروف القرآن التي أنزلها الله؟ وإن كانت عندهم مخلوقة. وكيف يتصور أن لا يكون لجميع ما أنزل الله -تعالى- من الكتب إلا معنى واحد يكون أمراً ونهياً ووعداً ووعيداً/ ويكون(١) هذه أوصافه لا أقسامه؟ فإن هؤلاء يقولون: إن معاني جميع كلام الله معنى واحد فمعنى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ①﴾ [المسد: ١] هو معنى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص: ١] ومعنى التوراة هو معنى القرآن والإنجيل. ثم قد يجعلون معاني الكلام كلها الخبر وقد يجعلون معنى الخبر العلم ويجعلون العلم بهذا غير العلم بهذا. ٣٩٢ط

ولهذا كان أكثر العقلاء يقولون: فساد هذا معلوم بالاضطرار ويقولون: الأمر والنهي والخبر صفات إضافية للكلام وليست هي لأنواع الكلام وأقسامه وكلام الله شأنه أعظم من شأن كلام المخلوقين والكلام الذي في المصحف هو من هذا القسم الأخير دون الأقسام المتقدمة فكيف إذا كان لذلك اللفظ من الخصائص/ما قيل فيه: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ⑧⑧﴾ [الإسراء: ٨٨]. ٤٥ظ

لكن من الأشياء ما يدل على غيره يقصد(٢) منه(٣) غير(٤) الدلالة(٥) كالجامدات فإن فيها مقاصد غير دلالتها على الخلق(٦) ومن الأشياء ما لا يقصد به إلا الدلالة. بحيث إذا ذكر

---

(١) في (ط) وتكون .

(٢) في (ط) بقصد.

(٣) في (ط): [ومنها ما يدل على]وليست في الأصل.

(٤) في (ط) غيره .

(٥) في (ط) للدلالة .

(٦) كما في (ط) وفي الأصل :(دلالتها على الخلود) ولعل الصواب وما أثبته فإن الخلود لا يكون للجامدات بعامة وإنما فيها دلالة وجود الخالق.

ما يقصد بذكره ذكر مدلوله كالاسم مع مسماه فالمقصود من الاسم هو المسمى ؛ فلهذا إذا ذكر الاسم كان المقصود به المسمى وكذا[1] اللفظ مع المعنى الذي هو مدلوله وكذلك الخط مع اللفظ فالمقصود من الخط/ إنما هو اللفظ والمقصود من الحروف المرسومة هو الحروف المنطوقة؛ ولهذا كان لفظ الحرف مقولا عليهما جميعاً. فإذا قيل: الكلام من الكتاب عرف أن المقصود هو: المقصود[2] مما في الكتاب هو الكلام دون غيره ولهذا كان لهذا من الاختصاص بالحرمة ما ليس لما يقصد منه الدلالة وغير الدلالة والله أعلم.

---

(١) في (ط) وكذلك .

(٢) (المقصود): ليست في (ط) .

فصل

القرآن حيث تصرف فهو كلام الله

وصار أولئك الذين غلطوا مذهب اللفظية المثبتة الذي يقولون: لفظنا بالقرآن غير مخلوق ويقولون: التلاوة هي المتلو و الكتابة هي المكتوب وما عندهم من القرآن إلا ما توهموا من الحروف والأصوات يلتزم أحدهم: أن الصوت القديم يسمع من القارئ ويوهمون المخالف لهم أن عين الصوت المسموع من العبد هو عين الصوت الذي تكلم الله به وينكرون معاني حقائق القرآن أن يكون[1] من كلام الله ولا يجعلون المعنى من كلام الله. وكان السلف يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق والقرآن حيث تصرف فهو كلام الله غير مخلوق.

و اللفظية المبتدعة المثبتة الذين أنكر عليهم الإمام أحمد وغيره/ إنما قالوا لفظنا به غير مخلوق. ولم يقولوا قديم. فجاءت المغلطة لمذهبهم فقالوا: لفظنا به قديم ولفظنا به أصواتنا فأصواتنا به قديمة. والإمام أحمد وسائر الأئمة من أصحابه الذين صحبوه وغيرهم ومن بعدهم من الأئمة ينكرون هذه المراتب الأربع فإنهم ينكرون أن يقال: لفظي به غير مخلوق فكيف لفظي به قديم؟ فكيف صوتي به غير مخلوق؟ فكيف صوتي به قديم؟ أو بعض الصوت المسموع قديم؟ ونحو ذلك. ط٣٩٤

(١) في (ط) تكون.

فصل

ومن تأمل نصوص الإمام أحمد في هذا الباب وجدها من أسد الكلام وأتم/ البيان ووجد كل طائفة منتسبة إلى السنة[1] قد تمسكت منها بما تمسكت ثم قد يخفى عليها من السنة في موضع آخر ما ظهر لبعضها فتنكره. ظ٤٦

منشأ النزاع في مسألة اللفظ بالقران

ومنشأ النزاع بين أهل الأرض والاضطراب العظيم الذي لا يكاد ينضبط في هذا الباب يعود إلى أصلين: مسألة تكلم الله بالقرآن وسائر كلامه. ومسألة تكلم العباد بكلام الله./ ط٣٩٥

وسبب ذلك أن التكلم والتكليم له مراتب ودرجات وكذلك تبليغ المبلغ لكلام غيره له وجوه وصفات فمن[2] الناس من يدرك من هذه الدرجات والصفات بعضها وربما لم يدرك إلا أدناها. ثم يكذب بأعلاها فيصيرون مؤمنين ببعض الرسالة كافرين ببعضها ويصير كل من الطائفتين مصدقة بما أدركته مكذبة بما مع الآخرين من الحق.

وقد بين الله في كتابه وسنة رسوله ذلك فقال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ الشورى: ٥١ وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ النساء: ١٦٣ - ١٦٤ وقال: ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ البقرة: ٢٥٣. ففي هذه الآية خص بالتكليم بعضهم وقد صرح في الآية الأخرى بأنه كلم موسى تكليماً واستفاضت الآثار بتخصيص موسى

(١) قلت : السنة هنا في مقابل البدعة .

(٢) في (ط) ومن.

بالتكليم فهذا التكليم الذي خص به موسى على نوح وعيسى ونحوهما ليس هو/ التكليم العام الذي قال فيه: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾الشورى: ٥١ إن(١) هذه الآية قد جمع فيها جميع درجات التكليم كما ذكر السلف. ط٣٩٦

أنواع الوحي

فروينا(٢) في كتاب الإبانة(٣) لأبي نصر السجزي وكتاب البيهقي(٤) وغيرهما عن عقبة قال: سئل ابن شهاب عن هذه الآية: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١ ﴾الشورى: ٥١ . قال ابن شهاب: "نزلت هذه الآية تعم من أوحى الله إليه من البشر"(٥)./ فكلام الله الذي كلم به موسى من وراء حجاب والوحي ما يوحي الله إلى النبي من أنبيائه عليهم السلام ليثبت الله –عز وجل– ما أراد من وحيه في قلب النبي ويكتبه وهو كلام الله ووحيه ومنه ما يكون بين الله وبين رسله ومنه ما يتكلم به الأنبياء ولا يكتبونه لأحد ولا يأمرون بكتابته ولكنهم يحدثون به الناس حديثا ويبينونه لهم؛ لأن الله أمرهم أن يبينوه للناس ويبلغوهم إياه ومن الوحي ما يرسل الله به من يشاء ممن اصطفاه من ملائكته فيكلمون به أنبياءه من الناس ومن الوحي ما يرسل الله به من يشاء من الملائكة فيوحيه وحيا في قلب من يشاء من رسله(٦). ظ٤٧

---

(١) في (ط) فإن.

(٢) لعل المراد الاطلاع .

(٣)الإبانة لأبي نصر السجزي: لم يطبع حسب علمي، وقال د.سعود العتيبي : بأنه حقق كرسالة علمية بالجامعة الإسلامية بالمدينة.

(٤) هو كتاب الأسماء والصفات للبيهقي تحقيق: عبد الله الحاشدي (ط) الأولى ١٤١٣هـ (ن) مكتبة السوادي– جدة.

(٥) انظر: كتاب الأسماء والصفات للبيهقي (ص٤٩٦).

(٦) انظر: الإسماء والصفات للبيهقي (٤٩٦/١).

قلت: فالأول الوحي: وهو الإعلام السريع الخفي إما في اليقظة/ وإما في المنام فإن رؤيا الأنبياء وحي ورؤيا المؤمنين جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة كما ثبت ذلك عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في الصحاح(١) وقال عبادة بن الصامت -ويروى مرفوعاً- :" رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده في المنام "(٢)، وكذلك في اليقظة فقد ثبت في الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي فعمر "(٣)، وفي رواية في الصحيح: "مكلمون"(٤)، وقد قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى ﴾ المائدة: ١١١. وقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ القصص: ٧. بل قد قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾ فصلت: ١٢ وقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ النحل: ٦٨.

٣٩٧ط

فهذا الوحي يكون لغير الأنبياء ويكون يقظةً ومناماً. وقد يكون بصوت هاتف يكون الصوت في نفس الإنسان ليس خارجاً عن نفسه يقظةً ومناماً كما قد يكون النور الذي يراه أيضاً في نفسه.

فهذه الدرجة من الوحي التي تكون في نفسه من غير أن يسمع صوت ملك هي(٥) في أدنى أدنى المراتب وآخرها، وهي أولها باعتبار السالك، وهي التي أدركتها عقول الإلهيين من

(١) أخرجه البخاري / كتاب بدء الوحي /باب الرؤيا الصالحة (٢٩٧/٤/رقم ٦٩٨٨) ومسلم /كتاب الرؤيا (١٧٧٣/٤رقم ٢٢٦٣).

(٢) أخرجه البرهان فوري في كنز العمال (٣٧٦/١٥رقم ٤١٤٥١) والهيثمي في مجمع الزوائد (٨٩/٧ رقم ١١٧٢٨) وذكره الألباني في ضعيف الجامع (ص ٤٥٣رقم ٣٠٧٨) وقال: حديث ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري بنحوه في كتاب الأنبياء باب حدثنا أبو اليمان (٤٩٧/٢رقم ٣٤٦٩) ومسلم بنحوه كتاب فضائل الصحابة باب فضل عمر رضي الله عنه (٢٣٦/١٥رقم ٢٣٩٨).

(٤) أخرجه البخاري بلفظ :(يكلمون) كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عمر رضي الله عنه (١٦/٣رقم ٣٦٨٩).

(٥) (هي): ليست في (ط).

فلاسفة الإسلام(١) الذين فيهم إسلام وصبوء(٢) فآمنوا ببعض صفات الأنبياء والرسل – وهو قدر مشترك بينهم وبين غيرهم– ولكن كفروا بالبعض فتجد بعض/ هؤلاء يزعم أن النبوة مكتسبة أو أنه قد استغنى عن الرسول أو أن غير الرسول قد يكون أفضل منه وقد يزعمون: أن كلام الله لموسى كان من هذا النمط(٣) وأنه إنما كلمه من سماء عقله وأن الصوت الذي سمعه كان في نفسه/ أو أنه سمع المعنى فائضاً من العقل الفعال أو أن أحدهم قد يصل إلى مقام موسى.

ط٣٩٨

ظ٤٨

ومنهم من يزعم أنه يرتفع فوق موسى ويقولون: إن موسى سمع الكلام بواسطة ما في نفسه من الأصوات ونحن نسمعه مجرداً عن ذلك. ومن هؤلاء من يزعم أن جبريل الذي نزل على محمد –صلى الله عليه وسلم– هو الخيال النوراني: الذي تمثل(٤) في نفسه كما تتمثل(٥) في نفس النائم ويزعمون أن القرآن أخذه محمد عن هذه(٦) الخيال المسمى بجبريل بجبريل عندهم؛ ولهذا قال ابن عربي صاحب "الفصوص"(٧) و "الفتوحات المكية(٨)": إنه يأخذ من المعدن الذي يأخذه(٩) الملك: الذي يوحي به إلى الرسول. وزعم أن مقام النبوة دون الولاية وفوق الرسالة(١٠) فإن محمداً –بزعمهم الكاذب– يأخذ عن هذا الخيال النفساني –الذي سماه ملكاً– وهو يأخذ عن العقل المجرد الذي أخذ منه هذا الخيال.

(١) فلاسفة الإسلام: ليس للإسلام فلسفة ولكن يقصد بهم من تأثر بأرسطو من المسلمين كابن سينا وغيره انظر: الملل والنحل (٥٧/٢) و(٣/٣).
(٢) كما في (ط) وفي الأصل: وصبو.جاء في العباب الزاخر: صَبَأَ الرجل صُبُوْءاً: خرج من دين إلى دين آخر. انظر:العاب الزاخر (ص٧٨)
(٣) النمط: الطريقة والنوع من الشيء. انظر : القاموس المحيط (٣٨٧/٢).
(٤) في (ط) يتمثل .
(٥) في (ط) يتمثل.
(٦) في (ط) هذا.
(٧) كتاب فصوص الحكم لابن عربي (ت٦٣٨هـ) تحقيق: أبو العلاء عفيفي الناشر: دار الكتب العربي.
(٨) الفتوحات المكية لابن عربي (ت٦٣٨هـ) طبع دار الكتب العربية بمصر.
(٩) في (ط) يأخذ منه .
(١٠) كما قال ابن عربي : مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي . انظر: جامع الرسائل لابن

ثم هؤلاء لا يثبتون لله كلاماً اتصف به في الحقيقة ولا يثبتون أنه قصد إفهام أحد بعينه؛ بل قد يقولون لا يعلم أحداً بعينه؛ إذ علمه/ وقصده عندهم إذا أثبتوه لم يثبتوه إلا كلياً لا يعين أحداً بناء على أنه يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات إلا على وجه كلي. وقد يقرب أو يقرب من مذهبهم من قال باسترسال علمه على أعيان الأعراض وهذا الكلام -مع أنه كفر باتفاق المسلمين- فقد وقع في كثير منه من له فضل في الكلام والتصوف ونحو ذلك ولولا أني(١) أكره التعيين في هذا الجواب لعينت أكابر من المستأخرين(٢). ط٣٩٩

وقد يكون الصوت الذي يسمعه خارجاً عن نفسه من جهة الحق تعالى على لسان ملك من ملائكته أو غير ملك وهو الذي أدركته الجهمية من المعتزلة ونحوهم واعتقدوا أنه ليس لله تكليم إلا ذلك وهو لا يخرج عن قسم الوحي الذي هو أحد أقسام التكليم أو قسم(٣) التكليم بالرسول. وهو (القسم الثاني): حيث قال تعالى: ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾الشورى: ٥١. فهذا إيحاء الرسول، وهو غير الوحي الأول من الله الذي هو أحد أقسام التكليم العام.

أنواع الوحي من جهة الرسول "الملك"

وإيحاء الرسول أيضاً أنواع: ففي الصحيحين: " عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- /كيف يأتيك الوحي؟ قال: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته/ يترل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً "(٤). ظ٤٩ ط٤٠٠

تيمية(١/٢٠٩).

(١) في (ط) أني .

(٢) في (ط) المتأخرين.

(٣) في (ط)قسيم.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي باب رقم :٢ (١/١٣رقم ٢) وأخرجه مسلم (ت.عبد الباقي) في كتاب الفضائل باب (٤/١٨١٦رقم٨٧)

فأخبر -صلى الله عليه وسلم- أن نزول الملك عليه تارة يكون في الباطن بصوت مثل صلصلة الجرس. وتارة يكون متمثلا بصورة رجل يكلمه كما كان جبريل يأتي في صورة دحية الكلبي وكما تمثل لمريم بشراً سوياً وكما جاءت الملائكة لإبراهيم وللوط في صورة الآدميين كما أخبر الله بذلك في غير موضع وقد سمى الله كلا النوعين إلقاء الملك وخطابه وحياً؛ لما في ذلك من الخفاء؛ فإنه إذا رآه يحتاج أن يعلم أنه ملك وإذا جاء في مثل صلصلة الجرس يحتاج إلى فهم ما في الصوت.

و(القسم الثالث): التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى عليه السلام ولهذا سمى الله هذا نداء ونجاء فقال تعالى: ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ ﴾ مريم: ٥٢ وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾ طه: ٥٥ – ١٣. وهذا التكليم مختص ببعض الرسل كما قال تعالى: ﴿ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ البقرة: ٢٥٣ وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ الأعراف: ١٤٣ وقال بعد ذكر إيحائه إلى الأنبياء: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾ النساء: ١٦٤. فمن جعل هذا من جنس الوحي الأول -كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة/ ومن تكلم في التصوف على طريقهم كما في "مشكاة الأنوار[1] " وكما في "كتاب خلع النعلين[2] "وكما في كلام الاتحادية "كصاحب الفصوص" وأمثاله- فضلاله ومخالفته للكتاب والسنة والإجماع؛ بل وصريح المعقول من أبين الأمور.

---

(١) مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار للغزالي (ت٥٠٥هـ) تحقيق: عبد العزيز السيروان الناشر : دار الكتب الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

(٢) كتاب خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين لأحمد بن قسي (٥٤٦هـ) تحقيق: محمد الأمراني الطبعة الأولى : ١٤١٨هـ/١٩٩٧م طبع: ibmh.

وكذلك من زعم: أن تكليم الله لموسى إنما هو من جنس الإلهام والوحي ؛ وأن الواحد منا قد يسمع كلام الله كما سمعه موسى –كما يوجد مثل ذلك في كلام طائفة من فروخ الجهمية الكلابية[1] ونحوهم– فهذا أيضاً من أعظم الناس ضلالاً.

وقد دل كتاب الله على أن اسم الوحي والكلام / في كتاب الله فيهما عموم وخصوص. ظ٥٠ فإذا كان أحدهما عاماً اندرج فيه الآخر كما اندرج الوحي في التكليم العام في هذه الآية واندرج التكليم في الوحي العام حيث قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ طه: ١٣ .وأما التكليم الخاص الكامل فلا يدخل فيه الوحي الخاص الخفي : الذي يشترك فيه الأنبياء وغيرهم كما أن الوحي المشترك الخاص لا يدخل فيه التكليم الخاص الكامل؛ كما قال تعالى لزكريا: ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ مريم: ١٠ ثم قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ ﴾ مريم: ٥٥ " فالإيحاء " ليس بتكليم ولا يناقض الكلام وقوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ آل عمران: ٤١ . إن جعل/ معنى الاستثناء منقطعاً اتفق معنى التكليم في الآيتين ط٤٠٢ وإن جعل متصلاً كان التكليم مثل التكليم في سورة الشورى وهو التكليم العام؛ وقد تبين أنه إنما كلم موسى تكليماً خاصاً كاملاً بقوله: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ البقرة: ٢٥٣. مع العلم بأن الجميع أوحى إليهم وكلمهم التكليم العام وبأنه فرق بين تكليمه وبين الإيحاء إلى النبيين، [وكذا[2]] التكليم بالمصدر، وبأنه جعل التكليم من وراء حجاب قسماً غير إيحائه، وبما تواتر عن النبي –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه من تكليمه الخاص لموسى منه إليه وقد ثبت أنه كلمه بصوت سمعه موسى كما جاءت الآثار بذلك عن سلف الأمة وأئمتها موافقة لما دل عليه الكتاب والسنة.

---

(١) انظر: مشكاة الأنوار (ص١٦١و١٦٨).

(٢) في الأصل: (وبأنه وكذا...) والصواب ما أثبته.

وغلطت هنا (الطائفة الثالثة): كالكلابية[١]. فاعتقدت أنه إنما أوحي إلى موسى عليه السلام معنى مجرداً عن صوت.

واختلفت هل يسمع ذلك؟ فقال بعضهم يسمع ذلك المعنى بلطيفة خلقها فيه قالوا: إن السمع والبصر والشم والذوق واللمس معان تتعلق بكل موجود كما قال ذلك الأشعري وطائفة وقال بعضهم لم يسمع موسى كلام الله فإنه عنده معنى والمعنى لا يسمع كما قال ذلك القاضي أبو بكر وطائفة.

وهذا الذي أثبتوه في جنس الوحي العام الذي فرق الله عز وجل/ بينه وبين تكليمه لموسى عليه السلام حيث قال: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾النساء: ١٦٣ / إلى قوله: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ ﴾النساء: ١٦٤ . وفرق بين إيحائه وبين تكليمه من وراء حجاب حيث قال: ﴿ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ الشورى: ٥١ . حيث فرق بين الرسول المكلم وغيره بقوله تعالى: ﴿ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ البقرة: ٢٥٣.

ط٤٠٣ ط٥١

لكن هؤلاء يثبتون أن لله كلاماً هو معنى قائم بنفسه هو متكلم به وبهذا صاروا خيراً ممن لا يثبت له كلاماً إلا ما أوحى في نفس النبي من المعنى؛ أو ما سمعه من الصوت المحدث ولكن لفرط ردهم على هؤلاء زعموا: أنه لا يكون كلاماً لله بحال إلا ما قام به؛ فإنه لا يقوم به إلا المعنى. فأنكروا أن تكون الحروف كلام الله وأن يكون القرآن العربي كلام الله.

وجاءت (الطائفة الرابعة): فردوا على هؤلاء دعواهم أن يكون الكلام مجرد المعنى بزعم[٢] بعضهم أن الكلام ليس إلا الحرف أو الصوت فقط وإن المعاني[٣] المجردة لا تسمى

(١) في (ط) الكلابية.
(٢) في (ط) فزعم.
(٣) في (ط) المعانى.

كلاماً أصلاً؛ وليس كذلك؛ بل الكلام المطلق اسم للمعاني والحروف جميعاً وقد يسمى أحدهما كلاماً مع التقييد كما يقول النحاة: الكلام: اسم وفعل وحرف. فالمقسوم هنا اللفظ وكما قال الحسن البصري: "ما زال أهل العلم يعودون بالتكلم على التفكر وبالتفكر على التدبر ويناطقون القلوب حتى نطقت". وكما قال/ الجنيد: "التوحيد: قول القلب، والتوكل: عمل القلب". فجعلوا للقلب نطقاً وقوة كما جعل النبي –صلى الله عليه وسلم– للنفس حديثا في قوله: " إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها –ثم قال–: ما لم تتكلم به أو تعمل به"[1]. ط٤٠٤

فعلم أن الكلام المطلق: هو ما كان بالحروف المطابقة للمعنى وإن كان مع التقييد قد يقع بغير ذلك حتى إنهم قد يسمون كل إفهام ودلالة يقصدها الدال قولاً سواء كانت باللفظ أو الإشارة أو العقد –عقد الأصابع– وقد يسمون أيضاً الدلالة قولاً وإن لم يكن[2] بقصد من الدال مثل دلالة الجامدات كما يقولون: قالت: "اتساع بطنه".

امتلأ الحوض وقال قطني   قطني رويدا قد ملأت بطني

وقالت له العينان سمعاً وطاعة[3]

ويسمى هذا لسان الحال ودلالة الحال ومنه قولهم : سل الأرض من فجر أنهارك وسقى ثمارك وغرس أشجارك ؟ فإن لم تجبك/جوز[4] أجابتك اعتباراً. ظ٥٢

ومنه قولهم:

تخبرني العينان ما القلب كاتم   ولا خير في السحيا[5] والنظر الشزر[6]

---

(١) أخرجه البخاري بنحوه: في كتاب الطلاق باب الطلاق في الإغلاق (٤٠٥/٣ رقم٥٢٦٩) وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب تجاوز الله عن حديث النفس (١١٦/١رقم٢٠٢)

(٢) في (ط) تكن.

(٣) انظر: العين للفارهيدي (١٤/٥).

(٤) في (ط) حوارا.

ومنه قولهم:/ ط٤٠٥

سألت الدار تخبرني عن الأحباب ما فعلوا

فقالت لي أناخ القوم أياماً وقد رحلوا[(]

وقد يسمى شهادة وقد زعم طائفة أن ما ذكر في القرآن من تسبيح المخلوقات هو من هذا الباب وهو دلالتها على الخالق تعالى؛ ولكن الصواب أن ثم تسبيحاً آخر زائداً على ما فيها من الدلالة كما قد سبق في موضع آخر؛ لكن هذا كله يكون مع التقييد والقرينة؛ ولهذا يصح سلب الكلام والقول عن هذه الأشياء كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ الأعراف: ١٤٨ وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ طه: ٨٩ وقال الخليل عليه السلام: ﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٦٣ وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ المرسلات: ٣٥ - ٣٦ وقال تعالى: ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ النبأ: ٣٨ وقال تعالى: ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٧ وهذا معلوم بالضرورة والتواتر وهو سلب القول والكلام عن الحي الساكت والعاجز فكيف عن الموات[(]؟!.

وقد علم أن الله تعالى موصوف بغاية صفات الكمال وأن الرسل قد أثبتوا أنه متكلم بالكلام الكامل التام في غاية الكمال فمن لم يجعل كلامه إلا مجرد معنى أو مجرد حروف أو مجرد حروف وأصوات فما قدر الله حق قدره ومن لم يجعل كلامه إلا ما يقوم/ بغيره ط٤٠٦

---

(١) في (ط): الحياء.

(٢) انظر: الكامل في اللغة والأدب (٢/٦٩) .

(٣) انظر: المدهش لابن الجوزي نسبها لأبي العتاهية (ص٣٦٧).

(٤) الموات: مالاحياة فيه . انظر : معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٢٨٣) وشرح نهج البلاغة (٩/٢٦٦).

فقد سلبه الكلام[1] وشبهه بالموات، وكذلك من لم يجعله يتكلم بمشيئته أو جعله يتكلم بمشيئته وقدرته ولكن جعل الكلام من جملة المخلوقات وجعله يوصف بمخلوقاته أو جعله يتكلم بعد أن لم يكن متكلما فكل من هذه الأقوال وإن كان فيه إثبات بعض الحق ففيه رد لبعض الحق ونقص لما يستحقه الله من الكمال.[2] / ٥٣ط

(١) كمافي الاصل:وفي (ط) :(فقد سلبه الكمال) والصواب ما أثبته.

(٢) في الأصل : [وقد يسمى ذلك شهادة وقد زعم طائفة أن ما ذكر في القران من تسبيح المخلوقات هو من هذا الباب وهو دلالتها على الخالق تعالى ولكن الصواب بيان أن تسبيحا أخر زائدا على ما فيها من الدلالة كما قد بسط في موضع آخر.(هذا المقطع سبق في ص١٣٦) وكذلك من لم يجعله يتكلم بمشيئته وقدرته أو جعله =يتكلم بمشيئته وقدرته ولكن جعل الكلام من جملة المخلوقات وجعله يوصف بمخلوقاته وجعله يتكلم بعد أن لم يكن متكلما فكل من هذه الاقوال وإن كان فيها بعض الحق ففيه رد لبعض.] هذا المقطع تكرر هنا.

فصل

وكل من هؤلاء أدرك من درجات الكلام وأنواعه بعض الحق .

ما يقرأه المسلمون هو كلام الله

وكذلك(الأصل الثاني): وهو تكلمنا بكلام الله؛ فإن الكتاب والسنة والإجماع دل على أن هذا الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله لا كلام غيره ولو قال أحد: إن حرفاً منه أو معنى ليس هو من كلام الله أو أنه كلام غير الله وسمع ذلك منه النبي صلى الله عليه وسلم أو أحد من أصحابه لعلم بالاضطرار أنهم كانوا يقابلونه بما يقابلون أهل الجحود والضلال ؛ بل قد أجمع الخلائق على نحو ذلك في كل كلام. فجميع الخلق الذين يعلمون أن قوله:

ط٤٠٧

ألا كل شيء ما خلا الله باطل (١)

من شعر لبيد يعلمون أن هذا كلام لبيد وأن قوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومترل (٢)

هو من (٣) كلام امرئ القيس مع علمهم أنهم إنما سمعوها من غيره بصوت ذلك الغير فجاء المنفون (٤) ببعض الحق دون بعض فقالوا: ليس هنا (٥) أو لا نسمع إلا صوت العبد ولفظه؛

---

(١) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: أصدق كلمة قالتها العرب:
أَلاَ كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ)انظر:ما أخرجه مسلم في كتاب الشعر (١٧٦٨/٤رقم ٢٢٥٦)
وتتمت البيتَ ... وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ
وكل أناس سوفَ تدخلُ بَيْنَهُم ... دويهيةٌ تصفرُّ منها الأناملُ انظر: ديوان لبيد(ص٨٥) وديوان المعاني:(١١٥/١).
(٢)من أجود ما قيل في الوقوف على الديار، قول امرىء القيس:
قفا نبك من ذكرى حبيب ومترل. انظر: ديوان امرؤ القيس (ص ١١٠) وديوان المعاني:(٢٦٤/١).
(٣) (من) :في (ط) وليست في الأصل.
(٤) في (ط) المؤمنون.
(٥) في (ط) هذا.

ثم قال "النفاة": ولفظ العبد محدث وليس هو كلام الله فهذا المسموع محدث وليس هو كلام الله. وقالت المثبتة: بل هذا كلام الله وليس إلا لفظه أو صوته فيكون لفظه أو صوته كلام الله وكلام الله غير مخلوق أو قديم فيكون لفظه أو صوته غير مخلوق أو قديم.

وكل من الفريقين قد علم الناس بالضرورة من دين الأمة؛ بل وبالعقل أنه مخطئ في بعض ما قاله مبتدع فيه؛ ولهذا أنكر الأئمة ذلك وإذا رجع أحدهم إلى فطرته وجد الفرق بين أن يشير إلى الكلام المسموع فيقال: هذا كلام زيد وبين أن يقول هذا صوت زيد ويجد فطرته تصدق بالأول وتكذب بالثاني قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾التوبة: ٦ . وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: " زينوا القرآن بأصواتكم "[(١)].

وكل أحد يعلم بفطرته ما دل عليه الكتاب والسنة من أن الكلام/ كلام الباري/ والصوت صوت القارئ، ولهذا قال الإمام أحمد لأبي طالب لما قرأ عليه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ الإخ .ص: ١ وقال له: هذا غير مخلوق فحكى عنه أنه قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق قال له: أنا قلت لك لفظي غير مخلوق؟ قال: لا . ولكن قرأت عليك: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ الإخلاص: ١ فقلت: هذا غير مخلوق.

ط٤٠٨
ظ٥٤

فبين أحمد الفرق بين أن يقول: هذا الكلام غير مخلوق أو يقول: لفظ هذا المتكلم غير مخلوق؛ لأن قوله لفظي مجمل يدخل فيه فعله ويدخل فيه صوته. فإذا قيل: لفظي أو تلاوتي أو قراءتي غير مخلوقة أو هي المتلو أشعر ذلك أن فعل العبد وصوته قديم وأن ما قام به من المعنى والصوت هو عين ما قام بالله من المعنى والصوت وإذا قال: لفظي بالقرآن أو تلاوتي للقرآن أو لفظ القرآن أو تلاوته مخلوقة أو التلاوة غير المتلو أو القراءة

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد باب التعريب بعد الهجرة (٤٨/١) وأخرجه أبو داود باب الترتيل في القراءة (٥٤٨/١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٩/١رقم ٣٥٨٠).

غير المقروء أفهم ذلك أن حروف القرآن ليست من كلام الله[1] بحال وأن نصف القرآن كلام الله ونصفه كلام غيره وأفهم ذلك أن قراءة الله للقرآن مباينة لمقروئه وتلاوته للقرآن مباينة لمتلوه وأن قراءة العبد للقرآن مباينة لمقروء العبد وتلاوته له مباينة لمتلوه وأفهم ذلك أنما نزل إلينا ليس هو كلام الله؛ لأن المقروء والمتلو هو كلام الله والمغايرة عند هؤلاء تقتضي المباينة فما باين كلامه لم يكن كلاما له فلا يكون هذا الذي أنزله كلامه./ ط٤٠٩

ولما كان الكلام إنما يكون بحركة وفعل تنشأ عنه حروف ومعان صار الكلام يدخل في اسم الفعل والعمل: تارة باعتبار الحركة والفعل ويخرج عنه تارة باعتبار الحروف والمعاني؛ ولهذا يجيء في الكتاب والسنة قسما منه تارة كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[المجادلة: ٧]. وقسيماً له أخرى كما في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[فاطر: ١٠].

ولهذا تنازع العلماء فيما إذا حلف لا يعمل عملاً في هذا المكان ولم يكن له نية ولا سبب يقيد[2] هل يحنث /بالكلام؟ على قولين في مذهب الإمام أحمد وغيره وذكروهما روايتين عن أحمد؛ ولهذا قال أبو محمد بن قتيبة في كتابه الذي ألفه في بيان اللفظ أن القراءة قرآن وعمل لا يتميز أحدهما عن الآخر فمن قال: "إنها قرآن فهو صادق ومن حلف إنها عمل فهو بار، وأخطأ[3] من أطلق: أن القراءة مخلوقة، وأخطأ[4] من زعم أنها غير مخلوقة ونسبهما جميعاً إلى قلة العلم وقصور الفهم؛ فإن هذه المسألة خفيت على ظ٥٥

---

(١) (الله) في (ط) وليست في الأصل.

(٢) في (ط) يفيد.

(٣) في (ط) وخطأ.

(٤) في (ط) وخطأ.

الطائفتين لغموضها؛ فإن إحدى الطائفتين وجدت القراءة تسمى قرآنا فنفت الخلق عنها والأخرى وجدت القراءة فعلا يثاب صاحبه عليه فأثبتت حدوثه[1] "[2]./ ط٤١٠

قلت: والخطأ في هذا الأصل في طرفين كما أنه في الأصل الأول في طرفين. ففي الأصل الأول من قال: إنه ليس له كلام قائم به ومن قال: ليس كلامه إلا معنى مجرد أو صوت مجرد. وفي هذا الأصل من قال: كلامه لا يقوله غيره أو لا يسمع من غيره ومن قال: كلامه إذا أبلغه غيره وأداه فحاله كحاله إذا سمع[3] منه وتلاه بل كلامه تقوله[4]: رسله وعباده ويتكلمون به ويتلونه ويقرءونه فهو كلامه حيث تصرف وحيث تلي وحيث كتب وكلامه ليس بمخلوق حيث تصرف، وهو مع هذا فليس حاله إذا قرأه العباد وكتبوه كحاله إذا قرأه[5] الله وسمعوه منه ولا من يسمعه من القارئ بمنزلة موسى بن عمران الذي سمع كلام رب العالمين منه كما جاء في الحديث: " إذا سمع الخلائق القرآن يوم القيامة من الله فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك "[6]، بل ولا تلاوة الرسول وسمعه منه كتلاوة غيره وسمعه منه؛ بل ولا تلاوة بعض الناس والسماع منه كتلاوة بعض الناس والسماع منه وهو كلام الله تعالى الذي ليس بمخلوق في جميع أحواله وإن اختلفت أحواله.

ومما يجب أن يعرف أن قول الله ورسوله والمؤمنين لما أنزله الله :هذا كلام الله ؛ بل وقول الناس لما يسمعونه من كلام الناس: هذا كلام فلان كقولهم لمثل قوله: "إنما الأعمال

---

(١) في (ط) حدثه.

(٢) انظر: كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية لابن قتيبة (ص٥٧).

(٣) في (ط) سمعه.

(٤) في (ط) يقوله.

(٥) قلت : القراءة يقصد بها: القول والكلام وهو المقصود به هنا وهو مايليق بالله تعالى وتأتي بمعنى التلاوة وقراءة كلام الله وهذا يليق بالمخلوق.

(٦) أخرجه أبو يعلى الفراء في إبطال التأويلات لأخبار الصفات (٣٨٧/١) وذكره الألباني في ضعيف الجامع وقال ضعيف (ص ٦٠٦ برقم ٤١٥٧ و ٤١٥٨).

ط٤١١ ظ٥٦ بالنيات وإنما لكل/ امرئ ما نوى "(١)،هذا كلام رسول/الله صلى الله عليه وسلم ولمثل قوله:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل هذا شعر لبيد .

فليس قولهم: هذا هو هذا؛ لأنه مساو له في النوع كما يقال: هذا السواد هو هذا السواد؛ فإن هذا يقولونه لما اتفق من الكلامين والعلمين؛ والقدرتين والشخصين. ويقولون في مثل ذلك: وقع الخاطر على الخاطر كوقع الحافر على الحافر. وفي الحقيقة فهو إنما هو مثله كما قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ ﴾ البقرة: ١١٨ وهم يقولون: هذا هو هذا مع اتفاقهما في الصفات وقد يكون مع اختلافهما اختلافا غير مقصود كما أنهم يقولون للعين الواحدة إذا اختلفت صفتها هذه غير(٢) هذه ولا هو أيضاً بمنزلة من تمثل بكلام لغيره سواء كان نظماً أو نثراً مثل أن يتمثل الرجل بقول لغيره فيصير متكلماً به متشبهاً بالمتكلم به أولا، وهذا مثل أن نقول قولا قاله غيرنا موافقين لذلك القائل في صحة القول.

ط٤١٢ ولهذا قال الفقهاء: إن من قال ما يوافق لفظ القرآن على وجه/ الذكر والدعاء مثل أن يقول عند ابتداء الفعل بسم الله وعند الأكل الحمد لله ونحو ذلك لم يكن قارئاً وجاز له ذلك مع الجنابة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم :" أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " رواه مسلم(٣) .

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب بدء الخلق /باب كيف كان بدء الوحي (١/١٣ قم ١) ومسلم : كتاب الإمارة/ باب قوله ﷺ "إنما الأعمال بالنيات " (٣/١٥١٥ رقم ١٥٥).

(٢) في (ط) عين.

(٣) ذكره البخاري معلقاً بنحوه في كتاب الأيمان والنذور /باب إذا قال والله لا اتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو كبر أو حمد أو هلل فهو على نيته. (٤/٢٢٥) ومسلم بلفظ (أحب الكلام إلى الله) كتاب الآداب باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة (٣/١٦٨٥رقم ٢١٣٧) وفي المسند بزيادة (لا يضرك بأيهن بدأت) (٣٣/٣٧٥رقم ٢٠٢٢٣).

فجعلها أفضل الكلام بعد القرآن وأخبر أنها من القرآن فهي من القرآن. وإذا قالها على وجه الذكر لم يكن قارئاً.

لكن هذا الوجه قد يضاف فيه الكلام إلى الأول وإن لم يقصد الثاني تبليغ كلامه؛ لأنه هو الذي أنشأ الحقيقة ابتداء والثاني قالها احتذاء فإذا تمثل الرجل بقول الشاعر وإن لم يقصد تبليغ شعره:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

قيل له هذا كلام لبيد؛ لكن الثاني قد لا يقصد إلا أن يتكلم به ابتداء لاعتقاده صحة معناه.

هل حروف الهجاء مخلوقة

ومن هنا تنازع أهل العلم في حروف الهجاء وفي الأسماء المنزلة في القرآن وفي كلمات القرآن إذا تمثل الرجل بها ولم يقصد بها القراءة هل يقال: ليست مخلوقة لأنها من القرآن؟ أو يقال: إذا لم/ يقصد بها القرآن وكلام الله فليست من كلام الله فتكون/ مخلوقة على قولين لأهل السنة.

ظ٥٧
ط٤١٣

وأما الإنسان إذا قال ما هو كلام لغيره يقصد تبليغه وتأديته أو التكلم به معتقدا أنه إنما قصد التكلم بكلام غيره الذي هو الآمر بأمره. المخبر بخبره؛ المتكلم ابتداء بحروفه ومعانيه فهنا الكلام كلام الأول قطعا ليس كلاما للثاني بوجه من الوجوه وإنما وصل إلى الناس بواسطة الثاني.

وليس للكلام نظير من كل وجه فيشتبه به وإنما هو أمر معقول بنفسه فإن كلام زيد المخلوق وإن كان قد عدم -مثلاً- وعدم أيضا ما قام به من الصفة فإذا رواه عنه راو آخر وقلنا: هذا كلام زيد. فإنما نشير إلى الحقيقة التي ابتدأ بها زيد واتصف بها وهذه هي تلك بعينها: أعني الحقيقة الصورية؛ لا المادة؛ فإن الصوت المطلق بالنسبة إلى الحروف الصوتية المقطعة بمنزلة المادة والصورة وهو لم يكن كلاما للمتكلم الأول؛ لأجل الصوت

المطلق الذي يشترك فيه صوت الآدميين والبهائم العجم والجمادات وإنما هو لأجل الصورة التي ألفها زيد مع تأليفه لمعانيها.

ووجود هذه الصورة في المادتين ليس بمنزلة وجود الأنواع والأشخاص في الأعيان ولا بمنزلة وجود الأعراض في الجواهر ولا/ هو بمنزلة سائر الصور في موادها الجوهرية؛ بل هو حقيقة قائمة بنفسها وليس لكل حقيقة نظير مطابق من كل وجه. ط٤١٤

وإذا قالوا: هذا شعر لبيد فإنما يشيرون إلى اللفظ والمعنى جميعا. ثم مع هذا لو قال القائل: أنا أنشأت لفظ هذا الشعر أو هذا اللفظ من إنشائي أو لفظي بهذا الشعر من إنشائي لكذبه الناس كلهم وقالوا له: بل أنت رويته وأنشدته. أما أن تكون أحدثت لفظه أو هو محدث البارحة بلفظك؛ أو لفظك به محدث البارحة فكذب؛ لأن لفظ هذا الشعر موجود من دهر طويل وإن كنت أنت أديته بحركتك وصوتك فالحركة والصوت أمر طبيعي يشركك فيه الحيوان ناطقه وأعجمه فليس لك فيه حظ من حيث هو كلام ولا من حيث هو كلام ذلك الشاعر؛ إذ كونه كلاما أو كلاما لمتكلم هو مما يختص به المتكلم؛ إنما أديته بآلة/يشركك فيها العجماوات والجمادات، لكن الحمد لله الذي جعل لك من العقل والتمييز ما تعيه[1] به ويسير به لسانك ولم يجعل ذلك للعجماوات؛ فجعل فعلك وصفتك تعينك على عقل الكلام والتكلم به ولم يجعل فعل العجم وصفتها كذلك. ظ٥٨

فإذا كان هذا في مخلوق بلغ كلام مخلوق مثله فكيف الظن بكلام الخالق جل جلاله الذي فضله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه؟!/ فإن له شأنا آخر يختص به لا يشبه بتبليغ سائر الكلام كما أنه في نفسه لا يشبه سائر الكلام وليس له مثل يقدر عليه أحد من الخلق؛ بخلاف سائر ما يبلغ من كلام البشر؛ فإن مثله مقدور فلا يجوز إضافة هذا الكلام المسموع الذي هو القرآن إلى غير الله بوجه من الوجوه؛ إلا على سبيل ط٤١٥

(١) في (ط) تهتدي .

التبليغ كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ [الحاقة: ٤٠]. والله سبحانه قد خاطبنا به بواسطة الرسول كما تقدم.

وقد بسطت الكلام في هذه المواضع(١) التي هي محارات العقول التي اضطربت فيها الخلائق في الموضع الذي يليق به ؛ فإن هذا جواب فتيا لا يليق بها(٢) إلا التنبيه على جمل الأمور وإثبات وجوب نسبة الكلام إلى من بدا منه لفظه ومعناه دون من بلغه عنه وأداه وأنه كلام المتصف به مبتدئا حقيقة سواء سمع منه أو سمع ممن بلغه وأداه بفعله وصوته مع العلم بأن أفعال العباد وصفاتهم مخلوقة وأن قول الله ورسوله والمؤمنين: هذا كلام الله وما بين اللوحين كلام الله حقيقة لا ريب فيه وأن القرآن الذي يقرؤه المسلمون ويكتبونه ويحفظونه هو كلام الله تعالى وكلام الله حيث تصرف غير مخلوق. وأما ما اقترن بتبليغه وقراءته من أفعال العباد وصفاتهم فإنه مخلوق.

لكن هذا الموضع فيه اشتباه وإشكال لا يحتمل تحريره وبسطه هذه الفتوى؛ لأن صاحبها مستوفز عجلان يريد أخذها؛ ولأن في/ ذلك من الدقة والغموض ما يحتاج إلى ذكر النصوص وبيان/ معانيها وضرب الأمثال التي توضح حقيقة الأمر وليس هذا موضعه.

ط٤١٦
ظ٥٩

بل الذي يعلم من حيث الجملة أن الإمام أحمد والأئمة الكبار الذين لهم في الأمة لسان صدق عام لم يتنازعوا في شيء من هذا الباب؛ بل كان بعضهم أعظم علماً به وقياماً بواجبه من بعض . وقد غلط في بعض ذلك من أكابر الناس جماعات. وقد رد الإمام أحمد عامة البدع في هذا الباب هو والأئمة.

انكار التابعين على الجهمية

فأول ما ابتدع الجهمية القول بخلق القرآن و نفي الصفات فأنكرها من كان في ذلك الوقت من التابعين ثم تابعي التابعين ومن بعدهم من الأئمة وكفروا قائلها. ثم ابتدع بعض أهل الحديث والكلام الذين ناظروا الجهمية: القول بأن القرآن المنزل مخلوق أو أنه ليس

(١) انظر: درء التعارض (٣١٦/٥) ومجموع الفتاوى (٥٣/١٢).

(٢) في (ط) به.

بكلام الله[1] أو أنه ليس في المصاحف ولا في الصدور وأنكر بعضهم أن تكون حروف القرآن كلام الله أو أن يكون الله تكلم بالصوت وأنكر الإمام أحمد وأئمة وقته ذلك.

وقابلهم قوم من أهل الكلام والحديث؛ فزعموا أن ألفاظ العباد وأصوات العباد غير مخلوقة أو ادعوا أن بعض أفعال العباد أو صفاتهم غير مخلوقة أو أن ما يسمع من الناس من القرآن هو مثل ما يسمع/ من الله –تعالى– من كل وجه ونحو ذلك. فأنكر الإمام أحمد وعامة أئمة وقته وأصحابه وغيرهم من العلماء ذلك. ط٤١٧

وإنكار جميع هذه البدع وردها موجود عن الإمام أحمد وغيره من الأئمة في الكتب الثابتة مثل " كتاب السنة " للخلال و " الإبانة " لابن بطة و " كتب المحنة " التي رواها حنبل وصالح و "كتاب السنة" لعبد الله بن أحمد و "السنة للالكائي"[2] و "السنة لابن أبي حاتم[3]" وما شاء الله من الكتب.

فأما الرد على الجهمية القائلين بنفي الصفات وخلق القرآن ففي كلام التابعين وتابعيهم والأئمة المشاهير من ذلك شيء كثير وفي مسألة القرآن من ذلك آثار كثيرة جداً. مثل ما روى ابن أبي حاتم وابن شاهين واللالكائي وغيرهم من غير وجه عن/علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– أنه قيل له يوم صفين: حكمت رجلين فقال: (ما حكمت مخلوقاً ما حكمت إلا القرآن)[4]، وعن عكرمة قال: (كان ابن عباس في جنازة فلما وضع الميت في ظ٦٠

---

(١) في (ط) بكلام الله .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، لهبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (ت٤١٨هـ) تحقيق : د. أحمد سعد حمدان (ط): ١٤٠٢هـ(ن): دار طيبة – الرياض. واللالكائي هو: هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي، أبو القاسم اللالكائي الامام الحافظ المجود، المفتي حافظ للحديث، من فقهاء الشافعية قال الخطيب: كان يفهم ويحفظ، وصنف كتابا في السنة. توفي سنة ٤١٨ هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٢٠) والأعلام (٧١/٨).

(٣) عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، حافظ للحديث، من كبارهم. له تصانيف، منها (الجرح والتعديل) و (التفسير) و (الرد على الجهمية) كبير، و (علل الحديث) و (المسند) و (الفوائد الكبرى). توفي سنة ٣٢٧ هـ. انظر : شذرات الذهب (١٣٩/٣) الأعلام (٣/ ٣٢٤) .

(٤) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٥٩٤/١رقم ٥٢٦) قال محققه عبد الله الحاشدي ضعيف جداً

لحده قام رجل فقال: اللهم رب القرآن اغفر له فوثب إليه ابن عباس فقال له: مه القرآن منه)[1]. وفي رواية: (القرآن كلام الله وليس بمربوب منه خرج وإليه يعود)[2]. وعن عبد الله بن مسعود قال: (من حلف بالقرآن فعليه بكل آية كفارة فمن كفر بحرف منه فقد كفر به أجمع)[3]./

ط٤١٨

ومن المستفيض عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار -وربما وقفه بعضهم على سفيان والأول هو المشهور- قال:(أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدا وإليه يعود)[4]، ومشايخ عمرو من لقي عمرو من الصحابة والتابعين. وعن علي بن الحسين زين العابدين وابنه جعفر بن محمد: (ليس القرآن بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله)[5].

ومثل هذا مأثور عن الحسن البصري وأيوب السختياني[6] وحماد بن أبي سليمان[7]،

وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢٥٣/٢)وانظر: تفسير أبي حاتم (٣٢٤٩/١٠).

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٥٩٠/٢رقم ٥١٩) قال محققه عبد الله الحاشدي ضعيف وأخرجه السيوطي في اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٧/١) وقال رجاله ثقات.

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص١٦٣رقم ٣٤٤)وأخرجه السيوطي في اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة بنحوه وقال صحيح (٨/١) كلهم بلفظ (وليس بمخلوق) ولم أجد لفظ: (وليس بمربوب).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧٤/١٠رقم ١٩٩٠١)وأخرجه ابن حجر في المطالب العالية (٥٥٧/٨رقم ١٧٦٨) قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهذا ثابت عن ابن مسعود - الفتاوى(٥٠٥/١٢).

(٤) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٧/٦رقم ١٨٤) وأخرجه السيوطي في اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة بلفظ : (منه خرج) وقال صحيح (٨/١).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد (٦١/٢ برقم ١١٤)وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٦٠٠/١رقم ٥٣٤ و٥٣٦).

(٦) أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري، أبو بكر: سيد فقهاء عصره. تابعي، من النساك الزهاد، من حفاظ الحديث كان يقوم الليل كله، فيخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح، رفع صوته، كأنه قام تلك الساعة توفي سنة ١٣١هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (١٥/٦) والأعلام (٣٧/٢).

(٧) حماد بن أبي سليمان العلامة الامام فقيه العراق، أبو إسماعيل بن مسلم الكوفي مولى الاشعريين، أصله من

وابن أبي ليلى[١] وأبي حنيفة ومالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة[٢] وابن أبي ذئب[٣] وابن الماجشون[٤] والأوزاعي والشافعي وأبي بكر بن عياش[٥] وهشيم[٦] وعلي بن عاصم[٧] وعبد الله بن المبارك وأبي إسحاق الفزاري[٨] ووكيع بن

أصبهان ليس هو بالمكثر من الرواية، لانه مات قبل أوان الرواية،كان جوادا سريا محتشما يفطر كل ليلة من رمضان خمسمائة إنسان وقال شعبة كان صدوق السان توفي سنة ١٢٠هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (٢٣١/٥) وشذرات الذهب (٨٩/٢).

(١) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار (وقيل: داود) ابن بلال الانصاري الكوفي: قاض، فقيه، من أصحاب الرأي. وكان قارئا للقرآن، عالما به. ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية، ثم لبني العباس. واستمر ٣٣ سنة، توفي سنة ١٤٨ هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (٦ / ٣١٢) والأعلام (١٨٩/٦).

(٢) قوله:(ومالك بن أنس والليث بن سعد وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة) ليست في (ط).

(٣) محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب، من بني عامر بن لؤي، من قريش، أبو الحارث:= =تابعي، من رواة الحديث.من أهل المدينة.كان يفتي بها.يشبه بسعيد بن المسيب.من أورع الناس وأفضلهم في عصره. وسئل الإمام أحمد عنه وعن الإمام مالك، فقال: ابن أبي ذئب أصلح في بدنه وأورع وأقوم بالحق من مالك عند السلاطين. توفي سنة ١٥٨ هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (٧ / ١٣٩) والأعلام (١٨٩/٦).

(٤) عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله التيمي بالولاء أبو مروان ابن الماجشون: فقيه مالكي فصيح، دارت عليه الفتيا في زمانه، وعلى أبيه قبله. أضر في آخر عمره. توفي سنة ٢١٣ هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (١٠ / ٣٩٥) والأعلام (١٦٠/٤).

(٥) أبو بكر بن عياش ابن سالم الاسدي، مولاهم الكوفي المقرئ، الفقيه، المحدث، شيخ الاسلام، وفي اسمه أقوال: أشهرها شعبة ،أجل أصحاب عاصم قال ابن المبارك ما رأيت أحدا أسرع إلى السنة من أبي بكر ابن عياش وقال غيره كان لا يفتر من التلاوة قرأ اثنتي عشرة ألف ختمة وقيل أربعين ألف ختمة. توفي سنة ١٩٣ هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩٥) وشذرات الذهب (٤٣٠/٢).

(٦) هشيم بن بشير بن أبي خازم قاسم بن دينار السلمي، أبو معاوية، الواسطي، نزيل بغداد: مفسر من ثقات المحدثين. قيل: أصله من بخارى. كان محدث بغداد. ولزمه الإمام ابن حنبل أربع سنين. له غير " التفسير " كتاب " السنن " في الفقه، و " المغازي "، توفي سنة ١٨٣ هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (٨/ ٢٨٧) الأعلام (٨٩/٨).

(٧) علي بن عاصم بن صهيب الواسطي، أبو الحسن: مسند العراق في عصره، من حفاظ الحديث. كان صالحا ورعا قال عاصم بن علي: يقول: أخبرني أبي أنه صام ثمانين شهر رمضان، لم يفطر فيها يوما.، توفي سنة ١٩٩ هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٤٩) والأعلام (٢٩٧/٤).

(٨) الامام الكبير الحافظ المجاهد، إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن كان من أئمة الحديث قال الشافعي: لم يصنف أحد في السير مثل كتاب أبي إسحاق ، ونقل قول أبي داود الطيالسي: مات أبو

الجراح(١) والوليد بن مسلم(٢) وعبد الرحمن بن مهدي(٣) ويحيى بن سعيد القطان ومعاذ بن معاذ(٤) وأبي يوسف(٥) ومحمد(٦) والإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وبشر بن

إسحاق الفزاري وما على وجه الارض أفضل منه. توفي سنة ١٨٨ هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٩) والأعلام (٥٩/١).

(١) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو سفيان: حافظ للحديث، ثبت، كان محدث العراق في عصره. أراد الرشيد أن يوليه قضاء الكوفة، فامتنع ورعا. وكان يصوم الدهر. قال الإمام ابن حنبل: ما رأيت أحد أوعى منه ولا أحفظ، وكيع إمام المسلمين. له كتب منها: " تفسير القرآن " و " السنن " و " المعرفة والتاريخ " و " الزهد ". توفي سنة ١٩٧ هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٠) والأعلام (١١٧/٨).

(٢) الوليد بن مسلم الأموي بالولاء، الدمشقي، أبو العباس: عالم الشام في عصره، من حفاظ الحديث. له ٧٠ تصنيفا في الحديث والتاريخ، منها " السنن " و " المغازي ". وكان يقال: من كتب مصنفات الوليد، صلح أن يلي القضاء. توفي سنة ١٩٥ هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (٩/ ٢١١) والأعلام (١٢٢/٨).

(٣) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري البصري اللؤلؤي، أبو سعيد، إمام مقدم من أئمة الحديث ، يحتج فيه بقوله ، ويعتمد في أمره على نقله ونقده . قال الشافعي: لا أعرف له نظيرا في الدنيا توفي سنة ١٩٨ هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٢) والأعلام (٣٣٩/٣).

(٤) معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري التميمي، أبو المثنى: قاض بصرى، من الاثبات في الحديث قال ابن حنبل: ما رأيت أعقل من معاذ، كأنه صخرة !. توفي سنة ١٩٦ هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٤) والأعلام (٢٥٧/٧).

(٥) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الانصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه. كان فقيها علامة، من حفاظ الحديث. ولي القضاء يقال له: قاضي قضاة الدنيا !، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه، على مذهب أبي حنيفة.وكان واسع العلم بالتفسير والمغازي وأيام العرب. من كتبه " الخراج " و " الآثار " وهو مسند أبي حنيفة، و " أدب القاضي " و " الامالي في الفقه" توفي سنة ١٨٢ هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٥) والأعلام (١٩٣/٨).

(٦) محمد بن الحسن الشيباني مولى لبني شيبان، حضر مجلس أبي حنيفة سنتين ثم تفقه على أبي يوسف، وكان من أذكياء العالم قال أبو عبيد ما رأيت أعلم بكتاب الله منه وكان فصيحاً قال الشافعي: لو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن لفصاحته وقال محمد: خلف أبي ثلاثين ألف درهم فانفقت نصفها على النحو والشعر وانفقت الباقي على الفقه. صنف الجامع الكبير والجامع الصغير . توفي سنة ١٨٩ هـ. انظر : طبقات الفقهاء (١/ ١٣٥) وشذرات الذهب (٤٠٧/٢).

الحارث[(١)] ومعروف الكرخي[(٢)] وأبي عبيد القاسم بن سلام[(٣)] وأبي ثور[(٤)] والبخاري ومسلم وأبي زرعة وأبي حاتم ومن لا يحصى كثرة[(٥)].

قال أبو القاسم اللالكائي–وقد سمى علماء القرون الفاضلة ومن يليهم الذين نقل عنهم في كتابه أن القرآن كلام الله غير مخلوق – :(فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً من التابعين وأتباع التابعين والأئمة/ المرضيين –سوى الصحابة– على اختلاف/ الأعصار ومضي السنين والأعوام وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتمذهبوا بمذاهبهم ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفا كثيرة فنقلت عن هؤلاء عصراً بعد عصر لا ينكر عليهم المنكر ومن أنكر قولهم استتابوه أو أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه) .[(٦)]

ط٤١٩
ظ٦١

---

(١) بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي، أبو نصر، المعروف بالحافي: من كبار الصالحين. له في الزهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث، من أهل (مرو) سكن بغداد وتوفي بها. قال المأمون: لم يبق في هذه الكورة–البقعة– أحد يستحيى منه غير هذا الشيخ بشر بن الحارث كان يزم نفسه، فقد كان رأسا في الورع والإخلاص، ثم إنه دفن كتبه. توفي سنة ٢٢٧ هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٦٩) الأعلام (٢/٥٤).

(٢) معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ: أحد أعلام الزهاد والمتصوفين. قيل: كان أبواه نصرانيين، فأسلماه إلى مؤدب كان يقول له، قل: ثالث ثلاثة، فيقول معروف: بل هو الواحد، فيضربه، فيهرب، فكان والداه يقولان: ليته رجع، ثم إن أبويه أسلما. كان الإمام أحمد ابن حنبل في جملة من يختلف إليه. ولابن الجوزى كتاب في (أخباره وآدابه) نقل عن بشر قوله : إذا أراد الله بعبد شرا، أغلق عنه باب العمل، وفتح عليه باب الجدل. توفي سنة ٢٠٠ هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٣٩) والأعلام (٧/٢٦٩).

(٣) القاسم بن سلام الهروي الازدي الخزاعي، أبو عبيد: من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه .كان منقطعا للامير عبد الله بن طاهر، كلما ألف كتابا أهداه إليه، وأجرى له عشرة آلاف درهم. من كتبه: " الغريب المصنف " في غريب الحديث، ألفه في نحو أربعين سنة، وهو أول من صنف في هذا الفن، و " فضائل القرآن " و " الايمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته " قال عبد الله بن طاهر: علماء الإسلام أربعة: عبد الله بن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والقاسم بن معن في زمانه، والقاسم بن سلام في زمانه. وقال الجاحظ: " لم يكتب الناس أصح من كتبه، ولا أكثر فائدة ". توفي سنة ٢٢٤ هـ. انظر : طبقات الحنابلة (١/ ٢٥٦) والأعلام (٧/٢٦٩).

(٤) إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي، أبو ثور الامام الحافظ الحجة المجتهد، مفتي العراق. قال ابن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وورعا وفضلا ،سأل أحمد بن حنبل عن أبي ثور، فقال: لم يبلغني عنه إلا خير، إلا أنه لا يعجبني الكلام الذي يصيرونه في كتبهم. توفي سنة ٢٤٠ هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/ ٧٢) والأعلام (١/٣٧).

(٥) انظر: السنة للالكائي (٢/٣٤٤).

.(١) قال: (ولا خلاف بين الأمة أن أول من قال: القرآن مخلوق الجعد بن درهم ثم الجهم بن صفوان وكلاهما قتله المسلمون)(٢). وممن أفتى بقتل هؤلاء: مالك بن أنس ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وسفيان بن عيينة وأبو جعفر المنصور الخليفة(٣) ومعتمر بن سليمان ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي ومعاذ بن معاذ ووكيع بن الجراح وأبوه(٤) وعبد الله بن داود الخريبي(٥) وبشر بن الوليد(٦) -صاحب أبي يوسف- وأبو مصعب الزهري(٧)،

---

(١) السنة للالكائي (٢/٣٤٤).

(٢) السنة للالكائي (٢/٣٤٤).

(٣) عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر، المنصور: ثاني خلفاء بني العباس، وأول من عني بالعلوم ملوك العرب. كان عارفا بالفقه والادب، مقدما في الفلسفة والفلك، محبا للعلماء. وولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦ هـ وهو باني مدينة " بغداد " أمر بتخطيطها سنة ١٤٥ وجعلها دار ملكه بدلا من " الهاشمية " التي بناها السفاح. ومن آثاره مدينة " المصيصة " و " الرافقة " بالرقة، وزيادة في المسجد الحرام. وفي أيامه شرع العرب يطلبون علوم اليونانيين والفرس، وعمل أول أسطرلاب في الاسلام، صنعه محمد بن إبراهيم الفزاري.
وكان بعيدا عن اللهو والعبث، كثير الجد والتفكير، وله تواقيع غاية في البلاغة. وهو والد الخلفاء العباسيين جميعا. وكان أفحلهم شجاعة وحزما إلا أنه قتل خلقا كثيرا حتى استقام ملكه. توفي ببئر ميمون (من أرض مكة) محرما= =بالحج.ودفن في الحجون (بمكة) ومدة خلافته ٢٢ عاما. توفي سنة ١٥٨ هـ. انظر : شذرات الذهب (٢/٢٦١) الأعلام (٤/ ١١٧) .

(٤) الجراح بن مليح وقد كان والد وكيع ولي على بيت المال في دولة الرشيد، وكان على دار الضرب بالري وكان ضعيفا في الحديث، عسرا في الحديث، ممتنعا به توفي سنة ١٧٥هـ. سير إعلام النبلاء (٩/١٦٨).

(٥) عبد الله بن داود، بن عامر، بن ربيع، الامام الحافظ القدوة، المشهور بالخريبي لنزوله محلة الخريبة بالبصرة وقد قطع الحديث قبل موته بأعوام.قال ابن سعد: كان ثقة عابدا ناسكا. توفي سنة ٢١٣هـ. سير إعلام النبلاء (٩/٣٤٦) وشذرات الذهب (٢/٦٠).

(٦) بشر بن الوليد بن خالد، الامام العلامة المحدث الصادق، قاضي العراق، أبو الوليد الكندي، الحنفي قيل: كان ورده في اليوم مئتي ركعة، وكان يحافظ عليها بعد ما فلج -اصيب بشلل في أحد شقي جسمه- واندك. توفي سنة ٢٣٧هـ. سير إعلام النبلاء (١٠/٦٧٣) وشذرات الذهب (٢/١٧٣).

(٧) أحمد بن القاسم (أبي بكر) بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف، أبو مصعب الزهري المدني شيخ أهل المدينة في عصره وقاضيهم ومحدثهم. لزم الإمام مالكا وتفقه به، وروى عنه (الموطأ) ومات وهو= =قاض. قال الدارقطني: أبو مصعب ثقة في الموطأ. توفي سنة ٢٤٢هـ. شذرات الذهب (٢/١٩٢) والأعلام (١/١٩٧).

وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو ثور وأحمد بن حنبل وغير هؤلاء من الأئمة(١).

وكذلك ذم الواقفة وتضليلهم -الذين لا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق- مأثور عن جمهور هؤلاء الأئمة مثل ابن الماجشون وأبي مصعب ووكيع بن الجراح وأبي الوليد(٢) وأبي الجارود(٣) صاحب الشافعي والإمام أحمد بن حنبل وأبي ثور وإسحاق بن راهويه/ ومن لا يحصي(٤) عدده إلا الله. ط٤٢٠

مسألة اللفظية

وأما البدعة الثانية -المتعلقة بالقرآن المنزل تلاوة العباد له- وهي مسألة اللفظية فقد أنكر بدعة اللفظية الذين يقولون: إن تلاوة القرآن وقراءته واللفظ به مخلوق أئمة زمانهم جعلوهم من الجهمية وبينوا أن قولهم: يقتضي(٥) القول بخلق القرآن وفي كثير من كلامهم كلامهم تكفيرهم.

وكذلك من يقول: إن هذا القرآن ليس هو كلام الله وإنما هو حكاية عنه أو عبارة عنه أو أنه ليس في المصحف والصدور إلا كما أن الله ورسوله في المصاحف والصدور ونحو ذلك وهذا محفوظ عن الإمام أحمد وإسحاق وأبي عبيد وأبي مصعب الزهري وأبي ثور وأبي الوليد الجارودي ومحمد بن بشار(٦) ويعقوب بن إبراهيم الدورقي(٧) ومحمد بن يحيى

---

(١) انظر: الرد على الجهيمة للدارمي (٢١١/١).

(٢) (أبي الوليد) لعلها زائدة. انظر : شرح أصول الاعتقاد للالكائي (٣٠٤/١).

(٣) في (ط):وأبي الوليد وأبي الوليد الجارودي.وهو: موسى بن أبي الجارود أبو الوليد المكي الفقيه راوي كتاب الأمالي وغيره عن الشافعي روى عنه الترمذي في آخر الجامع أقوال الشافعي قال الدارقطني روى عن الشافعي حديثا كثيرا وكان يفتي بمكة على مذهب الشافعي توفي سنة ٢٧٢هـ. انظر: طبقات الشافعية لابن شهبة (٧٠/١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٦١/٢).

(٤) في (ط) يحصى.

(٥) في (ط) يقتضى.

(٦) بندار محمد بن بشار بن عثمان بن داود بن كيسان، الامام الحافظ، راوية الاسلام، أبو بكر العبدي البصري بندار، لقب بذلك، لانه كان بندار الحديث في عصره ببلده، والبندار الحافظ. قال ابن حبان: كان يحفظ حديثه، ويقرؤه من حفظه. توفي سنة ٢٥٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤٤/١٢) وشذرات الذهب(٢٣٨/٢).

ظ٦٢ بن أبي عمرو[2] [3] العدني[3] [4] ومحمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن أسلم/الطوسي[4] وعدد كثير لا يحصيهم إلا الله من أئمة الإسلام وهداته.

وكذلك أنكر بدعة اللفظية المثبتة -الذين يقولون: إن لفظ العباد أو صوت العباد به غير مخلوق أو يقولون إن التلاوة التي هي فعل العبد وصوته غير مخلوقة- الأئمة الذين بلغتهم هذه/ البدعة: مثل الإمام أحمد بن حنبل وأبي عبد الله البخاري صاحب الصحيح ط٤٢١ وأبي بكر المروذي أخص أصحاب الإمام أحمد بن حنبل به وأخذ في ذلك أجوبة علماء الإسلام إذ ذاك: ببغداد والبصرة والكوفة والحرمين والشام وخراسان وغيرهم: مثل عبد الوهاب الوراق[5]،

(١) يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح العبدي، أبو يوسف الدورقي محدث العراق في عصره. كان ثقة حافظا متقناً، أخذ عنه الائمة الستة. له " مسند " في الحديث. والدورقي: نسبة إلى لبس " الدورقية " وهي قلانس طوال، كان يلبسها المتنسكون في ذلك الزمان، ثم أطلق لفظ الدورقي على كل متنسك. توفي سنة ٢٥٢هـ. شذرات الذهب (٢/٢٣٩) والأعلام (٨/١٩٤).

(٢) لعل الصواب : (أبي عمر) كما جاء في ترجمته التالية .

(٣) محمد بن يحيى بن أبي عمر، أبو عبد الله العدني الدراوردى، ويقال له ابن أبي عمر: عالم بالحديث. كان قاضي (عدن) وجاور بمكة. صنف " المسند ". وكان قد حج سبعا وسبعين حجة.وبلغني أنه لم يقعد من الطواف ستين سنة رحمه الله توفي سنة ٢٤٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/٩٦) وشذرات الذهب(٢/١٩٩).

(٤) محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد، أبو الحسن الكندي، مولاهم، الطوسي: من حفاظ الحديث.اشتهر بالصلاح، ونعته الذهبي بشيخ المشرق. له (المسند) و (الرد على الجهمية) و (الايمان والأعمال) في الرد على الكرامية، و (أربعون حديثا). توفي سنة ٢٤٢ هـ. انظر : سير أعلام النبلاء (١٢/١٩٥) والأعلام (٦/ ٣٤) .

(٥) عبد الوهاب بن عبد الحكم ويقال ابن الحكم بن نافع أبو الحسن الوراق الامام القدوة الرباني الحجة، صحب الإمام أحمد وسمع منه قال عنه: رجل صالح، مثله يوفق لإصابة الحق .قال الحسن -ولده-: ما رأيت أبي مازحا قط، ولا ضاحكا إلا تبسما توفي سنة ٢٥١هـ. انظر: طبقات الحنابلة (١/٢٠٩) وسير أعلام النبلاء (١٢/٣٢٣).

وأبي بكر الأثرم(١) ومحمد بن بشار بندار وأبي الحسين علي بن مسلم الطوسي ويعقوب الدورقي ومحمد بن سهل بن عسكر(٢) ومحمد بن عبد الله المخرمي الحافظ(٣) ومحمد بن إسحاق الصاغاني والعباس بن محمد الدوري(٤) وعلي بن داود القنطري(٥) ومثنى بن جامع جامع الأنباري وإسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد(٦) ومحمد بن يحيى الأزدي(٧) والحسن بن عبد العزيز الجروي(٨)،

---

(١) أحمد بن محمد بن هانئ الطائي، أو الكلبي، الإسكافي أبو بكر الأثرم من حفاظ الحديث، أخذ عن الإمام أحمد وآخرين. قال أبو بكر الخلال: كان الأثرم جليل القدر، حافظا. له كتاب في (علل الحديث) وآخر في (السنن) و (ناسخ الحديث ومنسوخه) توفي سنة ٢٦١ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/٦٢٤) والأعلام (١/ ٢٠٥) .

(٢) محمد بن سهل بن عسكر، أبو بكر التميمي، مولاهم البخاري توفي سنة ٢٥١هـ. انظر: تاريخ بغداد (٣/٢٥٣) وتاريخ الإسلام (٦/١٧٦).

(٣) محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمي ، الامام العلامة الحافظ الثبت، أبو جعفر القرشي مولاهم البغدادي المخرمي المدائني، قاضي حلوان توفي سنة ٢٥٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/٢٦٥) والأعلام (٦/ ٢٢٢).

(٤) العباس بن محمد بن حاتم أبو الفضل الدوري مولى بني هاشم بغدادي وكان من أئمة الحديث الثقات توفي سنة ٢٧١ هـ. انظر: طبقات الحنابلة (١/٢٣٦) وشذرات الذهب (٣/ ٣٠٢) .

(٥) الامام المحدث، أبو الحسن، علي بن داود بن يزيد التميمي، البغدادي، القنطري، الحافظ.توفي سنة ٢٧٢ هـ. انظر: سر أعلام النبلاء (١٣/١٤٣) وتهذيب الكمال (٢٠/ ٤٢٤) .

(٦) إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد الشهيدي، أبو يعقوب البصري.توفي سنة ٢٧٢ هـ. انظر: تاريخ الإسلام (٦/٤٦) وتهذيب الكمال (٢/ ٣٦١) .

(٧) محمد بن يحيى بن عبد الكريم، أبو عبد الله الأزدي البصري.توفي سنة ٢٥٢ هـ. انظر: تاريخ الإسلام (٦/٢٠٤) وتهذيب الكمال (٢٦/ ٦٣٣) .

(٨) الجروي الامام الاجل الصادق، أبو علي، الحسن بن عبد العزيز بن وزير بن ضابئ بن مالك بن عامر بن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عدي بن حمرس قال الدارقطني: هو فوق الثقة، لم ير مثله فضلا وزهدا.وقال الخطيب: مذكور بالورع والثقة، موصوف بالعبادة.قال جعفر: سمعت جدي الحسن بن عبد العزيز يقول: من لم يردعه القرآن والموت، ثم تناطحت الجبال بين يديه، لم يرتدع.توفي سنة ٢٥٧ هـ. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ١٣٢) وسير أعلام النبلاء (١٢/٣٣٣).

وعبد الكريم بن الهيثم العاقولي[1] [2] وأبي موسى بن أبي علقمة الفروي[3] [4] وغيره من علماء المدينة ومحمد بن عبد الرحمن المقري[5] وأبي الوليد بن أبي الجارود وأحمد بن محمد بن القاسم بن أبي مرة [6] وغيرهم من أهل مكة وأحمد بن سنان الواسطي[7] وعلي بن حرب الموصلي[8] ومن شاء الله تعالى من أئمة أهل السنة وأهل الحديث من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل وغيرهم ينكرون على من يجعل لفظ العبد بالقرآن أو صوته به أو

---

(١) (العاقولي)في الأصل ولعل الصواب : الديرعاقولي (من أهل دير العاقولي)ودير العاقول بلدة قرب بغداد بينها وبين دجلة ميل انظر:(معجم البلدان٢/٥٢٠) وانظر ترجمته التالية.

(٢) الإمام، الحافظ، الحجة، أبو يحيى عبد الكريم بن الهيثم بن زياد بن عمران الديرعاقولي(من أهل دير العاقول)، ثم البغدادي، القطان.ولد: بعد التسعين ومائة، وطوف، وكتب الكثير.توفي سنة ٢٧٨ هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٣٥٨) وسير أعلام النبلاء (١٣/٣٣٥).

(٣) في (ط): النفروني والصواب: ما في الأصل نسبة إلى فروة –لقبه– انظر ترجمته التالية .

(٤) هارون بن موسى بن أبي علقمة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة العدوي، أبو موسى المدني، مولى آل عثمان بن عفان رضي الله عنه.قال ابن منده: ولد سنة أربع وسبعين ومائة، وطلب العلم سنة تسع وثمانين.توفي سنة ٢٥٣ هـ. انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٢٢٣) وإكمال تهذيب الكمال (١٢/١١٥).

(٥) محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد بن جرجة المخزومي مولاهم المكي المعروف بقنبل المقريء.

ولد سنة ١٩٥ وجود القراءة على أبي الحسن القواس وَغيره، وانتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز وولي الشرطة بمكة فحمدت سيرته.توفي سنة ٢٩١ هـ. انظر: لسان الميزان (٧/ ٢٨٤) شذرات الذهب (٣/٣٨٥).

(٦) لم أجد ترجمته.

(٧) أحمد بن سنان ابن أسد بن حبان، الامام الحافظ المجود، أبو جعفر، الواسطي القطان. كان في الحفظ والعدالة إلى حد لا مزيد، خرج عنه البخاري في " صحيحه " حديثا واحدا لم يخرج عنه غيره وهو تقبيل الحجر. توفي سنة ٢٥٦ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٤٤) إكمال تهذيب الكمال (٣/٣٨٥).

(٨) علي بن حرب بن محمد بن علي الطائي ، الإمام، المحدث، الثقة، الأديب، مسند وقته، أبو الحسن الطائي، الموصلي.اتفق مولده: بأذربيجان، في سنة خمس وسبعين ومائة، وكان أبوه يتجر. صنف، وخرج (المسند)، وكان عالما بأخبار العرب وأنسابها، أديبا، شاعرا. توفي سنة ٢٦٥ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٥١) إكمال تهذيب الكمال (٩/٢٨٨).

غير ذلك من صفات العباد المتعلقة بالقرآن غير مخلوقة ويأمرون بعقوبته بالهجر وغيره وقد جمع بعض كلامهم في ذلك أبو بكر الخلال في "كتاب السنة"[1]./

ومن المشهور[2] في "كتاب صريح السنة[3]" لمحمد بن جرير الطبري[4] وهو متواتر عنه لما لما ذكر الكلام في أبواب السنة قال: (وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن فلا أثر[5] فيه نعلمه عن صحابي مضى ولا عن تابعي قفا إلا عمن في قوله الشفاء والعفاء وفي اتباعه الرشد والهدى ومن يقوم[6] لدينا[7] مقام الأئمة الأولى: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل/فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل – ط٤٢٢ رضي الله عنه–[8] يقول اللفظية جهمية يقول الله: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾التوبة: ٦ ممن يسمع ؟[9] قال ابن جرير: وسمعت جماعة من أصحابنا –لا أحفظ أسماءهم– يحكون عنه أنه كان يقول: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال: غير مخلوق فهو

---

(١) السنة للخلال (٩١/٧).

(٢) عاد هنا المختصر (س).

(٣) كتاب صريح السنة لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)حققه: بدر المعتوق انظر:الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ/ ١٩٨٥م نشر:مكتبة أهل الأثر – الكويت.

(٤) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الامام. عرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. له (أخبار الرسل والملوك –يعرف بتاريخ الطبري–) و (جامع البيان في تفسير القرآن) يعرف بتفسير الطبري، و (المسترشد) في علوم الدين، و (جزء في الاعتقاد) و (القرآت) وغير ذلك. وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق. وكان مجتهدا في أحكام الدين لا يقلد أحدا. توفي سنة ٣١٠ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧) والأعلام (٦٩/٦).

(٥) في (س): (فلا تواتر).

(٦) في (س): (ومن قام).

(٧) (لدينا): ليست في (س).

(٨) الجملة الدعائية (رضي الله عنه) في (س) وليست في الأصل .

(٩) (يقول الله: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ التوبة: ٦ ممن يسمع ؟)ليست في (س).

مبتدع).[1] قال ابن جرير: (ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله إذ لم يكن لنا إمام نأتم به سواه وفيه الكفاية والمقنع وهو الإمام المتبع).[2][3]

وقال أبو الفضل صالح بن أحمد بن حنبل في "كتاب المحنة"[4] تناهى إلي أن أبا طالب يحكي[5] عن أبي أنه يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق فأخبرت أبي بذلك فقال: من أخبرك فقلت: فلان فقال: ابعث إلى أبي طالب فوجهت إليه فجاء وجاء فوران فقال له أبي: أنا قلت لك: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وغضب/ وجعل يرعد[6] فقال له: قرأت عليك ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ الإخلاص: ١ فقلت لي: هذا ليس بمخلوق قال له: فلم حكيت عني أني قلت: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وبلغني: أنك وضعت ذلك في كتابك وكتبت به إلى قوم فإن كان في كتابك فامحه أشد المحو واكتب إلى القوم الذين كتبت إليهم: أني لم أقل هذا وغضب وأقبل عليه فقال: تحكي عني ما لم أقل لك؟ فجعل فوران يعتذر له وانصرف من عنده وهو مرعوب فعاد أبو طالب فذكر أنه حك ذلك من كتابه وأنه كتب إلى القوم يخبرهم ؟ أنه وَهِم على أبي عبد الله في الحكاية[7]. قال الفضل بن زياد: كنت أنا والبستي عند أبي طالب قال: فأخرج إلينا كتابه وقد ضرب على المسألة وقال: كان الخطأ من قبلي وأنا أستغفر الله وإنما قرأت على أبي عبد الله القرآن فقال: هذا غير مخلوق كان الوهم من قبلي يا أبا العباس!.[8]

ط٤٢٣

---

(١) صريح السنة ص ٣٧.

(٢) صريح السنة ص ٣٨.

(٣) وقف هنا في (س) وانتقل إلى قوله :فذكر الخلال ص ٧٦.

(٤) هوكتاب سيرة الإمام أحمد /لأبي الفضل صالح بن أحمد بن حنبل ت (٢٦٥هـ) تحقيق: د.عبد المنعم فؤاد(ط)الثالثة ١٤١٥هـ (ن) دار السلف- الرياض.

(٥) في (ط) حكى.

(٦) في (ط) يرتعد.

(٧) انظر: سيرة الإمام أحمد لصالح بن أحمد بن حنبل (ص ٧٠).

(٨) هذه الحكاية جاءت في (س) قريبا من هذا اللفظ.

وقال الخلال في: "السنة" حدثنا المروذي قال لي أبو عبد الله قد غلظ[1] قلبي على ابن شداد قلت: أي شيء حكى عنك؟ قال: حكى عني في اللفظ فبلغ ابن شداد أن أبا عبد الله قد أنكر عليه فجاءنا حمدون بن شداد بالرقعة فيها مسائل فأدخلتها على أبي عبد الله فنظر فرأى فيها: أن لفظي بالقرآن غير مخلوق -مع مسائل فيها- فقال أبو عبد الله: فيها كلام ما تكلمت به فقام من الدهليز/ فدخل/ فأخرج المحبرة والقلم وضرب أبو عبد الله على موضع: لفظي بالقرآن غير مخلوق وكتب أبو عبد الله بخطه بين السطرين: "القرآن حيث تصرف غير مخلوق"[2]. وقال: ما سمعت أحدا تكلم في هذا بشيء وأنكر على من قال : لفظي بالقرآن غير مخلوق[3].

ظ٦٤
ط٤٢٤

وقال الخلال في "كتاب السنة": أخبرني زكريا بن الفرج الوراق قال حدثنا أبو محمد فوران قال جاءني صالح -وأبو بكر المروذي عندي- فدعاني إلى أبي عبد الله وقال: إنه قد بلغ أبي أن أبا طالب قد حكى عنه أنه يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق فقمت إليه فتبعني صالح فدار صالح من بابه فدخلنا على أبي عبد الله فإذا أبو عبد الله غضبان شديد الغضب بين الغضب في وجهه فقال لأبي بكر: اذهب فجئني بأبي طالب فجاء أبو طالب وجعلت أسكن أبا عبد الله قبل مجيء أبي طالب وأقول: له حرمة فقعد بين يديه – وهو متغير اللون – فقال له أبو عبد الله: حكيت عني أني قلت: لفظي بالقرآن غير مخلوق ؟ فقال: إنما حكيت عن نفسي فقال: لاتحك هذا عنك ولا عني فما سمعت عالما يقول هذا -أو العلماء شك فوران- وقال له: القرآن كلام الله غير مخلوق حيث تصرف فقلت لأبي طالب -وأبو عبد الله يسمع- إن كنت حكيت هذا لأحد فاذهب حتى تخبره أن أبا عبد الله نهى عن/ هذا؟ فخرج أبو طالب فأخبر غير واحد -بنهي أبي عبد الله-منهم أبو بكر بن زنجويه والفضل بن زياد القطان وحمدان بن علي الوراق وأبو عبيد وأبو عامر

---

(١) في (ط) غيظ.

(٢) قلت: يتضح هنا أن قولك لفظي بالقران مخلوق لفظ مجمل فإثباته ونفيه يأتي بالتفصيل إن كنت تريد لفظك وما تنطق به فهوم مخلوق وان كنت تريد ما تقرأ من كلام الله فهو غير مخلوق .

(٣) انظر: كتاب السنة للخلال (١٠٠/٧).

وكتب أبو طالب بخطه إلى أهل نصيبين -بعد موت أبي عبد الله- يخبرهم أن أبا عبد الله نهى أن يقال: لفظي بالقرآن غير مخلوق وجاءني أبو طالب بكتابه وقد ضرب على المسألة من كتابه قال زكريا بن الفرج: فمضيت إلى عبد الوهاب الوراق فأخذ الرقعة فقرأها فقال لي: من أخبرك بهذا عن أحمد فقلت له : فوران بن محمد فقال : الثقة المأمون على أحمد قال زكريا: وكان قبل ذلك قد أخبر أبو بكر المروذي لعبد الوهاب فصار عند عبد الوهاب شاهدان. قال زكريا/وسمعت عبد الوهاب قال: من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق يهجر ولا يكلم ويحذر عنه وكان قبل ذلك قال: هو مبتدع".[1] ظ٦٥

وروى الخلال عن أبي الحارث قال:" سمعت رجلا يقول لأبي عبد الله يا أبا عبد الله أليس نقول: القرآن كلام الله ليس بمخلوق بمعنى من المعاني وعلى كل حال وجِهة؟ فقال أبو عبد الله: نعم"،[2] واستيعاب هذا يطول.

وكذلك في كلام الإمام أحمد وأئمة الصحابة وغيرهم من إضافة صوت/ العبد بالقرآن إليه ما يطول كما جاء الحديث النبوي بذلك: مثل قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "زينوا القرآن بأصواتكم"[3] وقوله: " لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته"[4] فذكر الخلال[5] في كتاب القرآن عن إسحاق بن إبراهيم قال قال لي أبو عبد الله يوما -وكنت سألته عنه-: تدري ما معنى من لم يتغن بالقرآن؟ قلت: لا، قال: هو الرجل يرفع صوته فهذا معناه إذا رفع صوته فقد تغنى به، وعن منصور بن[6] صالح أنه قال لأبيه: يرفع صوته بالقرآن بالليل ؟ قال: نعم إن شاء رفعه " ثم ذكر حديث أم هانئ: "كنت أسمع قراءة النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنا على عريش من ط٤٢٦

(١) انظر: كتاب السنة للخلال (٩٦/٧).

(٢) انظر: كتاب السنة للخلال (١٠٢/٧).

(٣) سبق تخريج ص ٨٧.

(٤) أخرجه ابن ماجة/كتاب إقامة الصلاة/ باب حسن الصوت (٣٦٠/٢رقم١٣٤٠) وأحمد (٣٧٢/٣٩رقم٢٣٩٤٧) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم (٤٦٣٠)

(٥) اكمل هنا في (س).

(٦) في (س) : (وعن منصور وصالح) لعله الصواب يقصد صالح بن الإمام أحمد .

الليل"(١) وعن صالح بن أحمد أنه قال لأبيه: "زينوا القرآن بأصواتكم" فقال: "التزيين" أن تحسنه. وعن الفضل بن زياد قال سمعت أبا عبد الله يسأل عن القراءة: فقال يحسنه بصوته من غير تكلف وقال أبو بكر الأثرم(٢) سألت أبا عبد الله عن القراءة بالألحان ؟ فقال:"كل شيء محدث؛ فإنه لا يعجبني إلا أن يكون صوت الرجل لا يتكلفه"(٣) قال القاضي أبو يعلى فيما علقه بخطه على "جامع الخلال": هذا يدل من كلامه على أن صوت القارئ ليس هو الصوت القديم؛ لأنه أضافه إلى القارئ الذي هو طبعه من غير أن يتعلم الألحان./ ط٤٢٧

وأما ما في كلام أحمد والأئمة من إنكارهم على من يقول إن هذا القرآن مخلوق وإن القراءة مخلوقة وتعظيمهم لقول من يقول: إنه ليس في الصدور قرآن ولا في المصاحف قرآن وزعم من زعم أن من قال ذلك فقد قال بقول النصارى والحلولية فإنكار أحمد وغيره هذه المقالات كثير شائع موجود/ في كتب كثيرة ولم تكن هذه الفتيا محتاجة إلى تقرير هذا الأصل فلم يحتج إلى تفصيل الكلام فيه؛ بخلاف الأصل الآخر(٥) وقد ذكرنا من من ذلك ما يسره الله في غير هذا الموضع ولو ذكرت ما في كلام أحمد وأئمة أصحابه وغيرهم: من الرد على من يقول: لفظ العبد أو صوته غير مخلوق أو يقول: إن الصوت المسموع من القاري قديم لطال. ظ٦٦

وهذا أبو نصر السجزي(٦) قد صنف "الإبانة" المشهور وهو من أعظم القائلين: بأن التلاوة هي المتلو واللفظ بالقرآن هو القرآن وهو غير مخلوق وأنكر ما سوى ذلك عن

---

(١) أخرجه النسائي في المجتبى /باب رفع الصوت بالقرآن (١٧٨/٢ رقم١٠١٣)وقال الألباني حسن صحيح، وابن ماجة /كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل (٣٧٢/٢رقم ١٣٤٩).

(٢) إلى هنا في (س) ثم انتقل إلى قوله: وقال الأثرم سألت أبا عبد الله عن القراءة.

(٣) اكمل هنا في (س).

(٤) وقف هنا في (س).

(٥) وهو قولهم إن تلاة القرآن وقراءته واللفظ به مخلوق(بدعة اللفظية)انظر: ما سبق ص١٥٢.

(٦) في (ط) السجزى.

أحمد ومع هذا فقد قال: فإن اعترض خصومنا فقالوا: أنتم وإن قلتم: إن(١) القراءة قرآن وكلام الله فلا تطلقون أن الصوت المسموع من القاري صوت الله ؛ بل تنسبونه إلى القاري وإذا لم يمكنكم إطلاق ذلك دل على أنه غير القرآن؟!.

قال أبو نصر: فالجواب أن اعتصامنا في هذا الباب بظاهر الشرع/ وقولنا في القراءة والصوت غير مختلف وإذا قرأ القارئ القرآن لا يقول: إن هذه قراءة الله ولا يجيز ذلك بوجه: بل تنسب(٢) القراءة إلى القارئ توسعا لوجود التحويل منه وإنما يقول: إن قراءة القاري قرآن، وقد ثبت ذلك في الشرع باتفاق الكل؛ فإن الأشعري مع مخالفته لنا يقول: المسموع من القاري قرآن وقد بينا: أن التمييز بين القراءة والقرآن في هذا الموضع الذي اختلفنا فيه غير ممكن وكذلك يقول: إن الصوت المسموع من قارئ القرآن قراءةٌ وقرآنٌ والشرع يوجب ما قلناه، لا أعلم خلافا بين المسلمين في ذلك(٣). ط٤٢٨

(١) (إن) ليست في (ط).

(٢) في (ط) ينسب.

(٣) انظر: التوحيد للماتردي (٥٨).

فصل

خلق أفعال العباد

وأما نصوص الإمام أحمد على خلق كلام الآدميين و خلق أفعال العباد فموجودة في مواضع كثيرة كما نص على ذلك سائر الأئمة. وليس بين أهل السنة في ذلك اختلاف؛ ولهذا قال يحيى بن سعيد القطان شيخ الإمام أحمد: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: أفعال العباد مخلوقة وقد سئل الإمام أحمد عن أفاعيل العباد مخلوقة هي؟ فقال: نعم. ونص على كلام الآدميين في رواية أحمد بن الحسن الترمذي كما سيأتي وفيما خرجه على الزنادقة والجهمية وهو/ مروي من طريق ابنه عبد الله وجادة[1]/وقد ذكره الخلال أيضا في "كتاب السنة" ونقل منه القاضي أبو يعلى وغيره وقد حكى إجماع الخلق على ذلك غير واحد منهم أبو نصر السجزي في "الإبانة" وهو من أشد الناس إنكارا على من يقول: إن ألفاظ العباد بالقرآن مخلوقة أو يقول: إن المسموع من القارئ ليس هو القرآن. قال أبو نصر: وأما نسبة الأصوات إلى القراء -فيما ذكرنا في هذا الباب وفي غيره من كتابنا هذا- ونسبة القراءة إليهم وإن فرح بها الزائغون فلا حجة لهم فيها؛ وذلك أنا لم نختلف في إضافة الصوت إلى الإنسان وأنه إذا صاح أو تكلم بكلام الناس أو نادى إنسانا فصوته مخلوق. قال: وهذا لا يشتبه: وإنما وقع الاختلاف في أن المستمع من قارئ القرآن ماذا يستمع؟ وساق الكلام إلى آخره. وذكر في موضع آخر الإجماع أيضا على ذلك.

ط٤٢٩
ظ٦٧

(١) في (ط) وحاده.

فصل

مسألة تلاوة القرآن

وإنما نبهت على أصل مقالة الإمام أحمد وسائر أئمة السنة وأهل الحديث في مسألة تلاوتنا للقرآن لأنها أصل ما وقع من الاضطراب/ والتنازع في هذا الباب مثل مسألة الإيمان هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟ و مسألة نور الإيمان و الهدى ونحو ذلك من المسائل التي يكثر تنازع أهل الحديث والسنة فيها ويتمسك كل فريق ببعض من الحق فيصيرون بمنزلة الذين أوتوا نصيبا من الكتاب مختلفين في الكتاب كل منهم بمنزلة الذي يؤمن ببعض ويكفر ببعض وهم عامتهم في جهل وظلم: جهل بحقيقة الإيمان والحق وظلم الخلق ويقع بسببها بين الأمة من التكفير والتلاعن ما يفرح به الشيطان ويغضب له الرحمن ويدخل به من فعل ذلك فيما نهى الله عنه من التفرق والاختلاف ويخرج عما أمر الله به من الاجتماع والائتلاف.

ط٤٣٠

وأصل ذلك القرب والاتصال الحاصل بين ما أنزله الله تعالى من القرآن والإيمان الذي هو من صفاته وبين أفعال العباد وصفاتهم؛ فلعسر الفرق والتمييز يميل قوم إلى زيادة في الإثبات. وآخرون إلى زيادة في النفي؛ ولهذا كان مذهب الإمام أحمد والأئمة الكبار: النهي عن الإثبات العام والنفي العام؛ بل إما الإمساك عنهما -وهو الأصلح للعموم وهو جمل الاعتقاد-. وأما/ التفصيل المحقق فهو لذي العلم من أهل الإيمان كما أن الأول لعموم أهل الإيمان.

ظ٦٨

وهذه المسألة لها أصلان:/

ط٤٣١

(أحدهما): أن أفعال العباد مخلوقة وقد نص عليها الأئمة أحمد وغيره وسائر أئمة أهل السنة والجماعة المخالفين للقدرية واتفقت الأمة على أن أفعال العباد محدثة.

و(الأصل الثاني): مسألة تلاوة القرآن وقراءته واللفظ به هل يقال إنه مخلوق أو غير مخلوق؟ والإمام أحمد قد نص على رد المقالتين هو وسائر أئمة السنة من المستقدمين والمستأخرين؛ لكن كان رده على اللفظية النافية أكثر وأشهر وأغلظ لوجهين.

(أحدهما): أن قولهم يفضي إلى زيادة التعطيل والنفي وجانب النفي -أبداً- شر من جانب الإثبات؛ فإن الرسل جاءوا بالإثبات المفصل في صفات الله وبالنفي المجمل: فوصفوه بالعلم والرحمة والقدرة والحكمة والكلام والعلو وغير ذلك من الصفات وفي النفي: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾الشورى: ١١ ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ الإخلاص: ٤. وأما الخارجون عن حقيقة الرسالة: من الصابئة والفلاسفة والمشركين وغيرهم ومن تجهم من أتباع الأنبياء فطريقتهم "النفي المفصل" ليس كذا ليس كذا وفي الإثبات أمر مجمل ولهذا يقال: المعطل أعمى والمشبه أعشى. فأهل التشبيه مع ضلالهم خير من أهل التعطيل.

(الوجه الثاني): أن أحمد إنما ابتلي بالجهمية المعطلة فهم خصومه/ فكان همه منصرفا إلى رد مقالاتهم؛ دون أهل الإثبات؛ فإنه لم يكن في ذلك الوقت والمكان من هو داع إلى زيادة في الإثبات؛ كما ظهر من كان يدعو إلى زيادة في النفي. والإنكار يقع بحسب الحاجة والبخاري لما ابتلي باللفظية المثبتة ظهر إنكاره عليهم كما في تراجم آخر "كتاب الصحيح" وكما في "كتاب خلق الأفعال" مع أنه كذب من نقل عنه أنه قال: لفظي بالقرآن مخلوق من جميع أهل الأمصار وأظنه حلف على ذلك وهو الصادق البار. ط٤٣٢

فصل

قيام الكلام بالمتكلم

وقد نص أحمد على نفس هذه المسألة في غير موضع فروى أبو القاسم اللالكائي في "أصول السنة" قال: أخبرنا/ الحسن بن عثمان قال حدثنا عمرو بن جعفر قال؛ حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي قال: قلت لأحمد بن حنبل: إن الناس قد وقعوا في القرآن فكيف أقول؟ فقال أليس أنت مخلوقاً؟ قلت: نعم قال: فكلامك منك مخلوق؟ قلت: نعم قال: أفليس القرآن من كلام الله؟ قلت: نعم قال: وكلام الله من الله؟ قلت: نعم قال: فيكون من الله شيء مخلوق؟!(١). /

ظ٦٩ ط٤٣٣

بين أحمد للسائل: أن الكلام من المتكلم وقائم به؛ لا يجوز أن يكون الكلام غير متصل بالمتكلم ولا قائم به؛ بدليل أن كلامك أيها المخلوق منك؛ لا من غيرك فإذا كنت أنت مخلوقا وجب أن يكون كلامك أيضا مخلوقا وإذا كان الله تعالى غير مخلوق امتنع أن يكون ما هو منه وبه مخلوقاً.

وقصده بذلك الرد على الجهمية الذين يزعمون أن كلام الله ليس من الله ولا متصل به ولاقائم به(٢). فبين أن هذا الكلام ليس هو معنى كون المتكلم متكلماً ولا هو حقيقة ذلك ولا هو مراد الرسل والمؤمنين من الإخبار عن أن الله قال ويقول وتكلم بالقرآن ونادى وناجى ودعا ونحو ذلك مما أخبرت به عن الله رسله واتفق عليه المؤمنون به من جميع الأمم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾ السجدة: ١٣ وقال: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ الزمر: ١ وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ النمل: ٦ وقال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ هود: ١.

---

(١) أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/٢٦٤).

(٢) (ولاقائم به) ليست في (ط).

وليس القرآن عينا من الأعيان القائمة بنفسها حتى يقال: هذا مثل قوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ الجاثية: ١٣. وإنما هو صفة كالعلم والقدرة والرحمة والغضب والإرادة والنظر والسمع ونحو ذلك؛ وذلك لا يقوم إلا بموصوف وكل معنى له اسم/ وهو قائم بمحل وجب أن يشتق لمحله منه اسم وأن لا يُشتق لغير محله منه اسم. ط٤٣٤

فكما أن الحياة والعلم والقدرة إذا قام بموصوف وجب أن يشتق له منه اسم الحي والعالم والقادر؛ ولا يشتق الحي والعالم والقادر لغير من قام به العلم والقدرة فكذلك القول والكلام والحب والبغض والرضا والرحمة والغضب والإرادة/والمشيئة إذا قام بمحل وجب أن يشتق لذلك الموصوف منه الاسم والفعل فيقال: هو الصادق والشهيد والحكيم والودود والرحيم والآمر ولا يشتق لغيره منه اسم. ظ٧٠

فلو لم يكن الله سبحانه وتعالى هو القائل بنفسه: ﴿ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ طه: ١٤ بل أحدث ذلك في غيره لم يكن هو الآمر بهذه الأمور ولا المخبر بهذا الخبر ولكان ذلك المحل هو الآمر بهذا الأمر المخبر بهذا الخبر وذلك المحل: إما الهواء وإما غيره فيكون ذلك المحل المخلوق هو القائل لموسى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي ﴾ طه: ١٤.ولهذا كان السلف يقولون في هذه الآية وأمثالها: من قال: إنه مخلوق فقد كفر. ويستعظمون القول بخلق هذه الآية وأمثالها أكثر من غيرها يعظم عليهم أن تقوم دعوى الإلهية والربوبية لغير الله تعالى.

ولهذا كان مذهب جماهير أهل السنة والمعرفة -وهو المشهور عند أصحاب الإمام أحمد وأبي حنيفة وغيرهم: من المالكية والشافعية/ والصوفية وأهل الحديث وطوائف من أهل الكلام: من الكرامية وغيرهم- أن كون الله سبحانه وتعالى خالقا ورازقاً ومحيياً ومميتاً وباعثاً وداريا(١) وغير ذلك من صفات فعله وهو من صفات ذاته؛ ليس من يخلق كمن لا ط٤٣٥

(١) في (ط) ووارثاً.

يخلق ومذهب الجمهور أن الخلق غير المخلوق فالخلق فعل الله القائم به والمخلوق هو المخلوقات المنفصلة عنه.

وذهب طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والأشعرية ومن وافقهم: من الفقهاء الحنبلية والشافعية والمالكية وغيرهم إلى أنه ليس لله صفة ذاتية من أفعاله وإنما الخلق هو المخلوق(١) أو مجرد نسبة وإضافة وهذا اختيار ابن عقيل وأول قولي القاضي أبي يعلى(٢) وهؤلاء عندهم حال الذات التي تخلق وترزق أو لا تخلق ولا ترزق سواء.

وبهذا نقضت المعتزلة على من ناظرها من الصفاتية الأشعرية ونحوهم؛ لما استدلت الصفاتية بما تقدم من القاعدة الشريفة فقالوا: ينتقض عليكم بالخالق والرازق وغير ذلك من أسماء الأفعال؛ فإن الخلق والرزق قائم بغيره وقد اشتق له منه اسم/ الخالق والرازق؛ ظ٧١ ولم يقم به صفة فعل أصلا فكذلك الصادق والحكيم والمتكلم والرحيم والودود.

وهذا النقض لا يلزم جماهير الأمة وعامة أهل السنة والجماعة؛ فإن الباب عندهم واحد وليس هذا قولا بقدم مخلوقاته أو مفعولاته سواء قيل: أن نفس فعله القائم به قديم فقط كما يقوله كثير من هؤلاء/ الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية وأهل الحديث والكلام ط٤٣٦ والصوفية أو يقولون له عند إحداث المخلوقات أحوال ونسب(٣) كما يقوله كثير من هؤلاء: الفقهاء وأهل الحديث والصوفية وأهل الكلام من الطوائف كلها.

---

(١) معنى الخلق هو المخلوق: أن صفة الخلق، أو الفعل لم تقم بالله تعالى، ولا يمكن أن تقوم به؛ استناداً إلى أصلهم: ما قامت به الحوادث فهو حادث، فأثبتوا خالقاً لا خلق له وهذا ممتنع في بديهة العقول. يقول الجويني: "..ولا ترجع من الخلق صفة متحققة إلى الذات، فلا يدل الخالق إلا على إثبات الخلق، ولذلك قال أئمتنا: لا يتصف الباري – تعالى – في أزله بكونه خالقاً، إذ لا خلق في الأزل، ولو وصف بذلك على معنى أنه قادر كان تجوزاً".انظر: الإرشاد ص١٤٣.

(٢) انظر: الإرشاد ص ١٤٨ومقالات الإسلاميين (٢/٥٢).

(٣) كما في (ط) وفي الأصل غير واضحة.

وذلك لأن القول في ذلك كالقول في مشيئته وإرادته فإنه وإن كان مذهب أهل السنة وسائر الصفاتية أنها قديمة فليست مراداته قديمة وكذلك صفة الخلق والتكوين؛ وذلك لأن الشرع والعقل يدل على أن حال الخالق والرازق الفاطر المحيي المميت الهادي النصير ليس حاله في نفسه كحاله لو لم يبدع هذه الأمور ؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى:﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾النحل: ١٧. فالفرق بين الخالق وغير الخالق كالفرق بين القادر وغير القادر.

والمخالف يقول إنما هو موصوف بالقدرة التي تتناول ما يخلقه وما لا يخلقه سواء في نفسه كان خالقا أو لم يكن خالقا ليس له من كونه خالقاً صفة ثبوتية لا صفة كمال ولا صفة وجود مطلق كما له بكونه قادراً. ونصوص الكتاب والسنة توجب أن تكون أسماء أفعاله من أسمائه الحسنى التي تقتضي أن يكون بها محمودا مثنى عليه ممجداً؛ وذلك يقتضي أنها من صفات الكمال.

ط٤٣٧ وليس الغرض هنا ذكر هذه المسألة وإنما هي طرد حجة/ الإمام أحمد وغيره من أئمة السلف الثقات وسائر الصفاتية؛ ولهذا قال الإمام أحمد في رواية حنبل في كتاب المحنة: (لم يزل الله عالما متكلما غفوراً)[1]. فبين اتصافه بالعلم -وهو صفة ذاتية محضة - و بالمغفرة وهي من الصفات الفعلية والكلام الذي يشبه هذا وهذا وذكر أنه لم يزل متصفاً بهذه ظ٧٢ الصفات/والأسماء وقال الإمام أحمد فيما خرجه في الرد على الزنادقة والجهمية لما ذكر قول جهم: إنه يتكلم؛ ولكن كلامه مخلوق. قال أحمد قلنا له: (وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق ففي مذهبكم كان الله في وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق الكلام وكذلك بنو آدم لا يتكلمون حتى خلق لهم كلاماً فقد جمعتم بين كفر وتشبيه)[2]، وكذلك ذكروا

(١) انظر: ذكرمحنة الإمام أحمد لأبنه حنبل (ص٦٨) وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (١/٣٤٩).

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة (ص١٣٩).

في المحنة فيما استدل به الإمام أحمد في المناظرة واستدل بقوله: ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾ السجدة: ١٣ قال: "فإن يكن القول من غير الله فهو مخلوق"[١].

فصل

منزلة الإمام أحمد

وأما[٢] قول القائل: إن أحمد إنما قال ذلك خوفا من الناس فبطلان هذا يعلمه كل عاقل بلغه شيء من أخبار أحمد وقائل هذا إلى العقوبة البليغة التي يفتري بها على الأئمة أحوج منه إلى جوابه؛ فإن/ الإمام أحمد صار مثلاً سائراً يضرب به المثل في المحنة والصبر على الحق وأنه لم تكن تأخذه في الله لومة لائم حتى صار اسم الإمام مقروناً باسمه في لسان كل أحد فيقال: قال الإمام أحمد. هذا مذهب الإمام أحمد. لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ السجدة: ٢٤. فإنه أعطي من الصبر واليقين ما يستحق به الإمامة في الدين.

ط٤٣٨

وقد تداوله ثلاثة خلفاء مسلطون من شرق الأرض إلى غربها ومعهم من العلماء المتكلمين والقضاة والوزراء والسعاة والأمراء والولاة من لا يحصيهم إلا الله. فبعضهم بالحبس وبعضهم بالتهديد الشديد بالقتل وبغيره وبالترغيب في الرياسة والمال ما شاء الله وبالضرب وبعضهم بالتشريد والنفي وقد خذله في ذلك عامة أهل الأرض –حتى أصحابه العلماء والصالحون والأبرار– وهو مع ذلك لم يعطهم كلمة واحدة مما طلبوه منه وما رجع عما جاء به الكتاب والسنة ولا كتم العلم ولا استعمل التقية؛ بل قد أظهر من سنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وآثاره ودفع من البدع المخالفة لذلك ما لم يتأت

---

(١) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/٢٠٤).

(٢) اكمل هنا في (س).

مثله/ لعالم: من نظرائه وإخوانه المتقدمين والمتأخرين؛ ولهذا قال بعض شيوخ الشام: "لم ظ٧٣ يظهر أحد ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم- كما أظهره أحمد بن حنبل". فكيف يظن به أنه كان يخاف في هذه الكلمة التي لا قدر لها؟!./ ط٤٣٩

وأيضاً فمن أصوله أنه لا يقول في الدين قولاً مبتدعاً، وقد جعلوا يطالبونه بما ابتدعوه فيقول لهم: كيف أقول ما لم يقل؟[1] فكيف يكتم كلمة ما قالها أحد قبله من خلق الله.[2]

وأيضاً فإن أحمد بن الحسن الترمذي[3] من خواص أصحابه وأعيانهم فما الموجب لأن يستعمل التقية معه.

وأيضاً فلم يكن به حاجة إلى أن يقول: كلام الآدمي مخلوق وإنما هو ذكر ذلك مستدلاً به ضارباً به المثل فكيف يبتدئ بكلام هو عنده باطل لم يسأله عنه أحد؟!.

وأيضاً فقد كان يسعه أن يسكت عن هذا؛ فإن الإنسان إذا خاف من إظهار قول كتمه. أما إظهاره لقول لم يطلب منه وهو باطل عنده فهذا لا يفعله أقل الناس عقلا وعلماً وديناً.

فمن [يسب][4] الإمام أحمد -الذي موقفه من الإسلام وأهله فوق ما يصفه الواصف؛ ويعرفه العارف- فقد استوجب من غليظ العقوبة ما يكون نكالا لكل مفتر كاذب راجم بالظن قاذف قائل على الله ورسوله والمؤمنين وأئمتهم ما لا يقوله العدو المنافق.

---

(١) انظر: طبقات الحنابلة (١/٥).

(٢) قريباً منه في (س) وانتقل إلى قوله: فالمنتسبين إلى السنة والحديث.

(٣) أحمد بن الحسن بن جنيدب الترمذي أبو الحسن الترمذي.وتفقه بأحمد بن حنبل وصحبه، وكان بصيرا بالعلل والرجال.حدث عنه: البخاري، والترمذي، وأبو بكر بن خزيمة، وجماعة. نزل أذنه دهرا وتوفي بحران اختلف في تاريخ وفاته قيل سنة ٢٥٠هـ.انظر: سير أعلام النبلاء(١٢/١٥٦).

(٤) كما في (ط) وفي الأصل نسب والصواب ما أثبته.

وأيضاً فقد ذكر ذلك فيما صنفه من الرد على الزنادقة/ والجهمية[1] وهو في الحبس وكتبه بخطه ولم يكن ذلك مما أظهره لأعدائه: الذين يحتاج غيره إلى أن يستعمل معهم التقية. ط٤٤٠

وهذا القول أقبح من قول الروافض فيما ثبت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قاله وفعله على وجه التقية؛ فإن الإمام أحمد صنف الرد عليهم وبين أنهم زنادقة فأي تقية تكون لهم مع هذا وهو يجاهدهم ببيانه وبنانه وقلمه ولسانه؟.

(١) انظر: الرد على الجهمية والزنادقة (ص١١١).

فصل

شبهة الكلام في حروف المعجم

شبهة هؤلاء أنهم وجدوا الناس قد تكلموا في حروف المعجم وأسماء المخلوقات. فإن المنتسبين إلى السنة تكلموا في حروف المعجم في غير/ القرآن والكتب الإلهية وقال طوائف منهم: كابن حامد(1) وأبي نصر السجزي والقاضي في أشهر قوليه وابن عقيل وغيرهم: إنها مخلوقة(2) وقالوا: الحروف حرفان. وقال طوائف وهم كثير من أهل الشام والعراق وخراسان: كالقاضي يعقوب البرزيني(3) والشريف أبي الفضائل الزيدي الحراني(4) ويروى ذلك عن الشيخ أبي الحسين بن سمعون(5) وهو قول القاضي أبي الحسين(6) وحكاه عن أبيه في آخر قوليه وهو قول الشيخ أبي الفرج الأنصاري(7)،

ظ٧٤

ط٤٤١

---

(١) شيخ الحنابلة ومفتيهم، أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي بن مروان البغدادي، الوراق، مصنف كتاب(الجامع)في عشرين مجلدا في الاختلاف و (شرح أصول الدين) و (تهذيب الاجوبة).كان يتقوت من النسخ، ويكثر الحج.وهو أكبر تلامذة أبي بكر غلام الخلال. هلك شهيدا في أخذ الوفد سنة ٤٠٣هـ.انظر: سير أعلام النبلاء(١٧/٢٠٤) والأعلام للزركلي (٢/١٨٧).

(٢) انظر: كتاب جزء في الأصول أصول الدين مسألة القران لأبي عقيل (ص ٥٠).

(٣) يعقوب بن إبراهيم بن سطور، من أهل " برزبين " من قرى بغداد فقيه حنبلى صنف كتبا فى الأصول والفروع، ولي القضاء ثم رفع يده عنه ثم عاد إليه، وكان متشددا فى السنة متعففا فى القضاء ومات وهو على القضاء. توفي سنة ٤٨٦ هـ. انظر: طبقات الحنابلة (٢/ ٢٤٥) والأعلام (٨/١٩٤).

(٤) لم أجد ترجمته.

(٥) محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس بن سمعون، أبو الحسين: زاهد واعظ، يلقب " الناطق بالحكمة " مولده ووفاته ببغداد. علت شهرته حتى قيل: " أوعظ من ابن سمعون ! ". توفي سنة ٣٨٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٠٥) والأعلام (٥/٣١٢).

(٦) الإمام العلامة الفقيه القاضي، أبو الحسين محمد بن القاضي الكبير أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء الحنبلي البغدادي.سمع أباه و تفقه بعد موت أبيه، وبرع وناظر، ودرس وصنف، وكان يبالغ في السنة، كثير الحط على الأشاعرة ، جمع طبقات الفقهاء الحنابلة.توفي سنة ٥٢٦هـ . انظر:سيرإعلام النبلاء (١٩/٦٠١) وشذرات الذهب (٦/١٣٠).

(٧) عبد الواحد بن محمد بن علي الشيرازي ثم المقدسي ثم الدمشقي، أبو الفرج الانصاري السعدي العبادي الخزرجي: شيخ الشام في وقته. حنبلي. أصله من شيراز. تفقة ببغداد، وسكن بيت المقدس واستقر في دمشق، فنشر مذهب الإمام ابن حنبل. من كتبه " المنتخب " في الفقه، مجلدان، و " المبهج " و " الايضاح " و التبصرة=

والشيخ عبد القادر[1]/ وابن الزاغوني وغيرهم : الحرف حرف واحد وحروف المعجم غير مخلوقة حيث تصرفت؛ لأنها من كلام الله وحقيقة الحرف واحدة لا تختلف.

وقد نقل عن الإمام أحمد –رضي الله عنه– الإنكار على من قال: بخلق الحروف وإنه لما حكي له أن بعض الناس قال :"لما خلق الله الحروف سجدت له إلا الألف"[2] فقال الإمام أحمد: هذا كفر[3]. وروي إنكار ذلك عن غيره من الأئمة.

والأولون لا ينازعون في هذا؛ فإنهم ينكرون على من يقول: إن الحروف مخلوقة؛ فإنه إذا قال ذلك دخل فيه حروف كلام الله تعالى من القرآن وغيره وهم يخصون الكلام في الحروف الموجودة في كلام المخلوق دون الحروف الموجودة في كلام الله ويقولون: حقيقة الحروف والاسم وإن كانت واحدة فذلك بمنزلة كلمات موجودة في القرآن وقد تكلم بها بعض المخلوقين. فالمتكلم تارة يقصد أن يتكلم بكلام غيره وإن وافقه في لفظه بالنسبة إلينا وهذا لا يتأتى إلا في الشيء اليسير وهو ما دون السورة القصيرة؛ فإن الله قد تحدى الخلق أن يأتوا بسورة مثله وأخبر أنهم لن يفعلوا.

قال الأولون: فموافقة لفظ الكلام للفظ الكلام لا يوجب أن/ يكون لأحدهما حكم الآخر في النسبة إلى المتكلم المخلوق؛ بحيث ينسب أحدهما إلى من ينسب إليه الآخر فكيف بالنسبة إلى الخالق؟/ بل لما كتب مسيلمة إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– "من

ط٤٤٢ب

ظ٧٥ب

=في أصول الدين. توفي بدمشق وكانت ذريته فيها تعرف ببيت ابن الحنبلي.توفي سنة ٤٨٦هـ . انظر:سيرإعلام النبلاء (٥١/١٩) والأعلام (١٧٧/٤).

(١) عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الجيلاني ، إلى أن يصل نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ، مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان وانتقل إلى بغداد شابا، سنة ٤٨٨ هـ فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الادب. وتصدر للتدريس والافتاء في بغداد سنة ٥٢٨ هـ . له كتب منها: " الغنية لطالب طريق الحق – ط " و " الفتح الرباني – ط " و " فتوح الغيب – ط " و " بالفيوضات الربانية – ط "توفي سنة ٥٦١هـ . انظر:شذرات الذهب (٣٣٠/٦) والأعلام (٤٧/٤).

(٢) انظر: كتاب الاستقامة لابن تيمية (٢٠٢/١) وقال: لايعرف قائله ولعله من الاسرائليات.

(٣) انظر: السنة للخلال (٥٤٣/٣) وكتاب الاستقامة لابن تيمية (٢٠٢/١).

مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله رد عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب"[1]، كان اللفظ بـــ(رسول الله) من المتكلمين سواء: من أحدهما صدق -ومن أعظم الصدق- ومن الآخر كذب -ومن أقبح الكذب-.

وقد ذكر الله عن الكفار مقالات سوء في كتابه مثل قولهم: ﴿ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ الكهف: ٤ - ٥ وقولهم: ﴿ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣٠ و ﴿ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣٠ .وغير ذلك من الأقوال الباطلة وقد حكاها الله عنهم فإذا تكلمنا بما حكاه الله عنهم كنا متكلمين بكلام الله ولو حكيناها عنهم ابتداء لكنا قد حكينا كلامهم الكذب المذموم.

ولهذا قال الفقهاء: من ذكر الله أو دعاه جاز له ذلك مع الجنابة وإن وافق لفظ القرآن إذا لم يقصد القراءة. وقالوا: لو تكلم بلفظ القرآن في الصلاة يقصد مجرد خطاب الآدمي بطلت صلاته؛ لأن ذلك من كلام الآدميين والصلاة لم[2] يصلح فيها شيء من كلام الآدميين وإن قصد مع تنبيه الغير القراءة صحت صلاته عند الجمهور كما لو لم/ يقصد إلا القراءة. وعند بعضهم تبطل كقول أبي حنيفة. ومن هذا الباب مسألة الفتح على الإمام وتنبيه الداخل بأنه[3] من القرآن وغير ذلك. ط٤٤٣

وسبب ذلك أن معنى الكلام داخل في مسماه ليس هو اسماً لمجرد اللفظ والمعنى: هو إنشاء وإخبار والإنشاء فيه الأمر والنهي ومعلوم أن أمر زيد ليس هو أمر عمرو ولا حكمه حكمه وإن اتفق اللفظ وكذلك اختيار زيد ليس هو اختيار عمرو ولا حكمه حكمه وإن اتفق اللفظ. فالآمر المطاع الحكيم إذا أمر بأمر كان له حكم خلاف ما إذا

---

(١) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٧٩/٥)قال الهيثمي: رواه الطبراني من طريق ابن اسحاق عن شيخ من أشجع ولم يسمه وبقية رجاله ثقات. وأخرجه البرهان فوري في كنز العمال (٢٠١/١٤) .

(٢) في (ط): (لايصلح).

(٣) في (ط) بآية.

أمر به الجاهل العاجز وإن اتفق لفظهما وكذلك الشاهد العالم الصادق إذا أخبر بخبر كان حكمه خلاف ما إذا أخبر به الجاهل الكاذب وإن اتفق لفظهما.

وإذا كان كذلك فمن أدخل في كلام له بعض لفظ أدخله غيره في/ كلامه لم يوجب ذلك أن يكون هذا اللفظ من كلام ذلك المتكلم وإن كان أحد اللفظين شبيها بالآخر وهو بمنزلة من كتب حروفا تشبه حروف المصحف كتبها كلاما آخر لم يكن ذلك مما يوجب أن يكون من حروف المصحف. ظ٧٦

وقال الآخرون مجرد الموافقة في اللفظ لا يوجب أن يجعل حكم/ أحد اللفظين حكم الآخر لكن إذا كان أحدهما أصلا سابقا إلى ذلك الكلام والآخر إنما احتذى فيه حذوه ومثاله: كان اللفظ والكلام منسوبا إلى الأول؛ بمنزلة من تمثل بقول لبيد: ط٤٤٤

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

أو بقوله: ويأتيك بالأخبار من لم تزود

أو بمثل من الأمثال السائرة كقوله: "عسى الغوير أبؤساً" و "يداك أوكتا وفوك نفخ" و"كل الصيد في جوف الفرا(١)" ونحو ذلك. فهذا الكلام هو تكلم به في المعنى الذي أراده؛ لا على سبيل التبليغ عن غيره ومع هذا فهو منسوب إلى قائله الأول فهكذا الحروف الموجودة في كلام الله وإن أدخلها الناس في كلامهم الذي هو كلامهم فأصلها مأخوذ من كلام الله تعالى.

قال الأولون: هنا مقامان:

(أحدهما): أن كل من أنطقه الله بهذه الحروف فإنما كان ذلك بطريق الاستفادة من كلام الله أو ممن استفادها من كلام الله. وهذه الدعوى العامة تحتاج إلى دليل؛ فإن تعليم الله لآدم الأسماء أو إنزاله كتبه بهذه الحروف لا يوجب أن يكون لم ينطق غير آدم ممن لم

---

(١) كمافي (ط) وفي الأصل : القرا والصواب ما أثبته.

يسمع/ الكتب المترلة بهذه الحروف كما كانت العرب تنطق بهذه الحروف والأسماء قبل نزول القرآن والله تعالى أنزله بلساهم الذي كانوا يتكلمون به قبل نزول القرآن. ط٤٤٥

اللغة توقيفية أم اصطلاحية

(المقام الثاني): أنه لو لم يكن أحد نطق بها إلا مستفيدا لها من كلام الله؛ لكن إذا أنشأ بها كلاما لنفسه ولم يقصد بها قراءة كلام الله لم تكن في هذه الحال من كلام الله كما لو فعل ذلك في بعض الجمل المركبة وأولى. ويدل على ذلك الأحكام الشرعية.

قال الآخرون –القائلون/بأن حروف المعجم غير مخلوقة مطلقاً– لنا في الأسماء الموجودة في غير القرآن قولان. منهم من يقول: بأن جميع الأسماء غير مخلوقة كما يقول ذلك في الحروف. ومنهم من لا يقول ذلك وقد حكى القولين ابن حامد وغيره عمن ينتسب إلى مذهب الإمام أحمد وغيره من القائلين بأن حروف المعجم غير مخلوقة فمن عمم ذلك استدل بقوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾البقرة: ٣١ وهذه الحجة مبنية على مقدمتين[1]. ظ٧٧

(إحداهما): أن مبدأ اللغات توقيفية وأن المراد بالتوقيف خطاب الله بها لا تعريفه بعلم ضروري وهذا الموضع قد تنازع فيه الناس من أصحاب الإمام أحمد وسائر الفقهاء وأهل الحديث والأصول./ ط٤٤٦

فقال قوم: إنها توقيفية وهو قول أبي بكر عبد العزيز والشيخ أبي محمد المقدسي وطوائف من أصحاب الإمام أحمد؛ وهو قول الأشعري وابن فورك وغيرهما. وقال قوم: بعضها توقيفي وبعضها اصطلاحي. وهذا قول طوائف: منهم ابن عقيل وغيره.

(١) انظر: الإحكام لابن حزم (٣٢/١) وشرح جمع الجوامع لابن السبكلي للمحلي (١٢٦/١).

وقال قوم: يجوز فيها هذا وهذا ولا نجزم بشيء. وهذا قول القاضي أبي يعلى والقاضي أبي بكر بن الباقلاني وغيرهما. ولم يقل: إنها كلها اصطلاحية إلا طوائف من المعتزلة ومن اتبعهم ورأس هذه المقالة أبو هاشم ابن الجبائي(١).

والذين قالوا إنها توقيفية تنازعوا: هل التوقيف بالخطاب أو بتعريف ضروري أو كليهما ؟ فمن قال: إنها توقيفية وإن التوقيف بالخطاب فإنه ينبني على ذلك أن يقال: إنها غير مخلوقة؛ لأنها كلها من كلام الله تعالى؛ لكن نحن نعلم قطعا أن في أسماء الأعلام ما هو مرتجل وضعه الناس ابتداء فيكون التردد في أسماء الأجناس.

وأيضاً فإن تعليم الله لآدم بالخطاب لا يوجب بقاء تلك الأسماء بألفاظها في ذريته؛ بل المأثور أن أهل سفينة نوح لما خرجوا من السفينة أعطي كل قوم لغة وتبلبلت ألسنتهم(٢). وهذه المسألة فيها تجاذب والنزاع فيها بين أصحابنا(٣) وسائر أهل السنة يعود إلى نزاع/ ط٤٤٧ لفظي فيما يتحقق فيه النزاع وليس بينهم والحمد لله خلاف محقق معنوي.

وذلك أن الذي قال الحرف حرف واحد وإن حروف المعجم ليست مخلوقة؛ إنما مقصوده بذلك أنها داخلة في كلام الله وأنها/ منتزعة من كلام الله وأنها مادة لفظ كلام ظ٧٨ الله وذلك غير مخلوق وهذا لا نزاع فيه. فأما حرف مجرد فلا يوجد لا في القرآن ولا في غيره، ولا ينطق بالحرف إلا في ضمن ما يأتلف من الأسماء والأفعال وحروف المعاني(٤)

(١) عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان الجبائي (أبو هاشم) من شيوخ المعتزلة، واليه تنسب الطائفة الهاشمية من المعتزلة، وتوفي بها في شعبان.من مؤلفاته: الجامع الكبير، النقض على ارسطاليس في الكون والفساد، الطبائع والنقض على القائلين بها، الاجتهاد، والانسان. انظر:الملل والنحل (٦٧/١) معجم المؤلفين (٢٣٠/٥).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٠٣٢/٦).

(٣) هم الحنابلة.

(٤)حروف المعاني: هي الحروف التي يؤدي كل واحد منها معنى معينًا،
وهي في اللغة العربية تسعون حرفًا، على خمسة أقسام :
-منها ما هو "حرف واحد"، مثل: الواو، الباء، الكاف، الفاء، اللام،
-ومنها ما هو "حرفان"، مثل: من، في، عن، لن,
-ومنها ما هو مكون من "ثلاثة حروف"، مثل: إلى، على، ثم، إن،
-ومنها المكون من "أربعة"، مثل: لعل، كأن، =

وأما الحروف التي ينطق بها مفردة مثل: ألف لام ميم ونحو ذلك فهذه في الحقيقة أسماء الحروف، وإنما سميت حروفا باسم مسماها كما يسمى ضرب؛ فعل ماض باعتبار مسماه؛ ولهذا لما سأل الخليل أصحابه كيف تنطقون بالزاء من زيد؟ قالوا: نقول "زا" قال:جئتم بالاسم؛ وإنما يقال "زه".

وليس في القرآن من حروف الهجاء -التي هي أسماء الحروف- إلا نصفها وهي أربعة عشر حرفا وهي نصف أجناس الحروف(١): نصف المجهورة و المهموسة والمستعلية والمطبقة والشديدة والرخوة وغير ذلك من أجناس الحروف، وهو أشرف النصفين، والنصف الآخر لا يوجد في القرآن إلا في ضمن الأسماء أو الأفعال أو حروف المعاني التي ليست باسم ولا فعل. فلا يجوز أن نعتقد أن حروف المعجم بأسمائها جميعها موجودة في القرآن؛ لكن نفس حروف المعجم التي/ هي أبعاض الكلام موجودة في القرآن؛ بل قد اجتمعت في آيتين: إحداهما في آل عمران والثانية في سورة الفتح: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً ﴾ آل عمران: ١٥٤ الآية و ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ﴾الفتح: ٢٩ الآية. ط٤٤٨

وإذا كان كذلك فمن تكلم بكلام آخر مؤلف من حروف الهجاء فلم ينطق بنفس الحروف التي في لفظ القرآن وإنما نطق بمثلها وذلك الذي نطق به قد يكون هو أخذه وإذا(٢) ابتدأ من لفظ كلام الله تعالى وقد لا يكون حقيقة.

قيل: الحرف من حيث هو هو(٣) شيء واحد له الحقيقة المطلقة التي لا تأليف فيها لا توجد لا في كلام الله تعالى ولا في كلام عباده وإنما الموجود الحرف الذي هو جزء من

=ومنها ما هو من "خمسة"، مثل: لكن (وهي تنطق: لاكن بألف مد، لا تكتب، وبشدة على النون).

من الكتب المهمة في هذا الباب اقرأ:حروف المعاني والصفات المؤلف: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ(المحقق: علي توفيق الحمدالناشر: مؤسسة الرسالة – بيروتالطبعة: الأولى، ١٩٨٤مومعاني الحروف المؤلف: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ).

(١) انظر : الكشاف للزمخشري (١/١٣٩).

(٢) في (ط) إذا .

اللفظ أو اسمه إذا لم يوجد إلا حرف؛ ولكن هذا المطلق؛ بل الأعيان الموجودة في الخارج قائمة بأنفسها كالإنسان لا يوجد مجردا عن الأعيان في الأعيان لا يوجد مجردا عن الأعيان إلا في الذهن لا في الخارج فكيف بالحرف الذي لا يوجد في الخارج إلا مؤلفا فلو/ قدر أنه (١) يوجد في الخارج غير مؤلف متعدد الأعيان كما يوجد الإنسان لم تكن حقيقته المطلقة من حيث هي هي موجودة إلا في الأذهان لا في الأعيان. ظ٧٩

فتبين أن الحروف تختلف أحكامها باختلاف معانيها واختلاف المتكلم/ بها وهذا أوجب تعظيم حروف القرآن المنطوقة والمسطورة وكان لها من الأحكام الشرعية ما امتازت به عما سواها واختلاف الأحكام إنما كان لاختلاف صفاتها وأحوالها. ط٤٤٩

فتبين أن الواجب أن يقال ما قاله الأئمة كأحمد وغيره: إن كلام الإنسان كله مخلوق حروفه ومعانيه والقرآن غير مخلوق حروفه ومعانيه. وقد ثبت في الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم– أنه قال: " يقول الله: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته " (٣)، وروى الربيع بن أنس عن المسيح أنه قال: " عجبا لهم كيف يكفرون به وهم يتقلبون في نعمائه ويتكلمون بأسمائه" (٤).

وذكر في معظم حروف المعجم أنها مباني أسماء الله الحسنى وكتبه المترلة من السماء وهذا مما يحتج به من قال: ليست مخلوقة وليس بحجة؛ فإن أسماء الله من كلامه وكلامه غير مخلوق وما اشتقه هو من أسمائه فتكلم به فكلامه به غير مخلوق وأما إذا اشتقوا اسما أحدثوه فذلك الاسم هم أحدثوه ولا يلزم إذا كان المشتق منه غير مخلوق أن يكون المشتق كذلك . وما يروى عن المسيح فلا يعرف ثبوته عنه وبتقدير ثبوته فإذا كان قد

---

(١) في الأصل هي هي .

(٢) كما في (ط) وفي الأصل: (فلو أنه قدر).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢١٢/٣رقم ١٦٨٠) وابن حبان (١٨٧/٢) وصححه الألباني في السلسلة (٤٩/٢رقم ٥٢٠).

(٤) لم اجد من خرجه ونفى ثبوته شيخ الإسلام في المقطع التالي.

ألهم عباده أن يتكلموا بالحروف/ التي هي مباني أسمائه التي تكلم بها لم يلزم أن يكون ما أحدثوه هم غير مخلوق. ط٤٥٠

وبالجملة فمن نظر إلى أن حقيقة الحرف التي لا تختلف موجودة في كلام الله وكلام [الله][1] غير مخلوق قال إنها مخلوقة إشارة إلى نفس حقيقة الحرف؛ لا إلى عين جزء اللفظ الذي به ينطق الكفار والمشركون؛ فإن ذلك الحرف الذي هو صوت لمقدر أو تقدير صوت قائم بالكافر والمشرك لا يقول عاقل: إنه غير مخلوق؛ مع أنه ليس مضافا إلى الله بوجه من الوجوه وإنما يضاف إلى الله ما شاركه في اسمه مما كان متعلقا بالمعنى المضاف إلى الله.

وهذا بخلاف الحروف التي في كلام الله؛ فإن تلك كلام الله كيف ما تصرفت/ ونحن لما يسر الله كلامه بألسنتنا أمكننا أن نتكلم بكلامه؛ لكن بأدواتنا وأصواتنا؛ وليس تكلمنا به وسمعه منا كتكلم الله به وسمعه منه كما تقدم[2] الإشارة إلى هذا كما أن الله ليس كمثله شيء فكذلك سائر ما يضاف إليه؛ ولكن لما أنطقنا الله بأدواتنا وحركاتنا وأصواتنا صار بين بعض لفظنا به ولفظنا بغيره نوع من الشبه؛ فإذا تكلمنا بكلام آخر فهو يشبه من بعض الوجوه لفظنا وصوتنا بالقرآن لا يشبه تكلم الله به وقراءته إياه فإذا كان وجود هذه الحروف في كلام الآدميين ليس بمنزلة تكلم الله بالقرآن وإنما يشبه من بعض الوجوه تكلمنا به/ من جهة ما يضاف إلينا لا من جهة ما يضاف إلى الله امتنع حينئذ أن يقال: عين الحرف الذي هو جزء لفظة من الاسم الذي ينطق به الناس هو عين الحرف الذي هو جزء ولفظ[3] من كلام الله تعالى وإنما تشبهه[4] وتقاربه[5] فهو هو باعتبار النوع؛ وليس هو

ظ٨٠ — ط٤٥١

---

(١) في (ط) وليست في الأصل.
(٢) في (ط) تقدمت .
(٣) في (ط) لفظ.
(٤) في (ط) يشبهه.
(٥) في (ط) ويقاربه.

إياه باعتبار العين والشخص خلاف حروف كلام الله القرآن؛ فإنها كلام الله حيث تصرفت وفيها دقة وشبهة أشرنا إليها في هذا الجواب وشرحناها في موضعها.

فمن قال: إن الحروف حرفان أراد به أنهما عينان وشخصان وهذا حق. ومن قال: الحرف حرف واحد أراد به: أن الحقيقة النوعية واحدة في الموضعين وهذا حق. ومن قال: إن حروف الهجاء من كلام الآدميين غير مخلوقة فقد صدق باعتبار الحقيقة النوعية. ومن قال: إنها مخلوقة باعتبار العين الشخصية فقد صدق.

ونظير هذا كثير يوجد في كلام أهل العلم وأهل السنة من النفي والإثبات ويكون النزاع في معنيين متنوعين نزاعا لفظيا اعتباريا وقد قال بعض الفضلاء: أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء؛ لكن وقوع الاشتراك والإجمال يضل به كثير من الخلق كما يهتدي به كثير من الخلق وهو سبب ضلال هؤلاء الجهال المسئول عنهم فإن حجتهم: أن الله علم آدم الأسماء كلها وعلمه البيان وهو مبني على/ أن اللغات توقيفية كقول كثير من الفقهاء من أصحابنا وغيرهم: كأبي بكر عبد العزيز وأبي محمد المقدسي وهو قول الأشعري وابن فورك وغيرهما. ط٤٥٢

لكن التوقيف/ هل المراد به التكليم أو التعريف أو كلاهما؟ هذا فيه نزاع أيضا كما تقدم. فالذين قالوا: إنها غير مخلوقة يقولون: إنها توقيفية وإن التعليم هو بالخطاب فيكون الله قد تكلم بالأسماء كلها وكلام الله غير مخلوق. قال هؤلاء الجهال الضالون: وكلام الآدميين ليس إلا ما يأتلف من الحروف والأسماء وتلك غير مخلوقة . فهذا أيضا غير مخلوق. ظ٨١

فبنوا قولهم على أن حروف المعجم غير مخلوقة وأن الأسماء المؤلفة من الحروف غير مخلوقة واعتقدوا مع ذلك أن كلام الآدميين ليس إلا ما يأتلف من الأسماء والحروف وتلك غير مخلوقة فقالوا: كلام الآدميين غير مخلوق ؛ لأن مفرداته غير مخلوقة. وإذا ضويقوا. فقد يقولون النظم والتأليف مخلوق وأما نفس المنظوم المؤلف فهو قديم ثم

يحسبون أن المواد المنظومة المؤلفة هي أدخل في الكلام من نفس التأليف والنظم كما أن أجزاء البيت هي أدخل في مسماه من تأليفه وإن كان البيت اسما للأجزاء ولتأليفها./ ط٤٥٣

وربما طرد بعضهم هذه المقالة في سائر أصوات الآدميين. ولما ألزمهم من خاطبهم بأصوات العباد؛ التي ليست بكلام طرد بعضهم ذلك في الأصوات ثم طرد ذلك في أصوات البهائم: من الحمير وغيرها ويلزمهم طرد ذلك في جميع الأصوات حتى أصوات العيدان والمزامير؛ إذ لا فرق بينها وبين أصوات البهائم.

واعلم أن الجهالة إذا انتهت إلى هذا الحد صارت بمنزلة من يقول: إن الوتد والحائط والعجل الذي يعمل منه الجلد كلام الله أو يقول: إن يزيد بن معاوية كان من الأنبياء الكبار أو يقول: "إن الله ينزل عشية عرفة على جمل أورق يعانق المشاة ويصافح الركبان"[1] أو يقول: إن أبا بكر وعمر ليسا مدفونين بالحجرة أو أنهما فرعون وهامان وأنهما كانا كافرين عدوين للنبي صلى الله عليه وسلم مثل أبي جهل وأبي لهب أو يقول: إن علي بن أبي طالب هو العلي الأعلى رب السموات والأرض أو يقول: إن الذي صفعته اليهود وصلبته ووضعت الشوك على رأسه هو الذي خلق السموات والأرض وإن اليدين المسمرتين هما اللتان خلقتا السموات والأرض أو يقول: إن الله قعد في/ بيت المقدس يبكي وينوح حتى جاء بعض مشايخ اليهود فبرك عليه أو أنه بكى حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة وأنه ندم على الطوفان وعض يديه من الندم حتى جرى الدم أو يقول: إن/ الشيخ والشيخ فلانا فلانا يخلق ويرزق وكل رزق لا يرزقنيه ما أريده أو يقول إن عليا هو الذي كان يعلم القرآن للنبي -صلى الله عليه وسلم- أو يقول: إن صانع العالم لما صنعه غلبت عليه الطبيعة حتى أهلك نفسه أو يقول: إن وجوده ووجود هذا وهذا هو عين وجود الحق وإن الله هو عين السموات والأرض والنبات والحيوان وأن كل صوت ونطق في العالم فهو صوته وكلامه وكل حركة في العالم وسكون فهو

(١) قال شيخ الإسلام : وهذا من أعظم الكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقائله من أعظم القائلين على الله غير الحق ولم يرو هذا الحديث أحد من علماء المسلمين أصلاً. انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٥).

حركته وسكونه وإن الحق المنزه هو الخلق المشبه وإنه لو زالت السموات والأرض لزالت حقيقة الله وإنه من حيث ذاته لا اسم له ولا صفة وإنه لا وجود له إلا في الأعيان الممكنات وإنه الوجود المطلق الساري في المخلوقات: الذي لا يتميز ولا ينفصل عن المخلوقات. إلى أمثال هذه المقالات التي يقولها الغلاة من المشركين والكتابيين. ومن أشبههم من غالية هذه الأمة(١).

فإن المنتسبين إلى السنة والحديث - وإن كانوا أصلح من غيرهم من أشباههم، فالسنة في الإسلام كالإسلام في الملل كما أنه يوجد في المنتسبين إلى الإسلام ما يوجد في غيرهم وإن كان كل خير في غير المسلمين فهو في المسلمين أكثر وكل شر في المسلمين فهو في غيرهم أكثر فكذلك المنتسبة إلى السنة - قد يوجد فيهم ما يوجد في غيرهم وإن كان كل خير في غير أهل السنة فهو فيهم أكثر وكل/ شر فيهم فهو في غيرهم أكثر(٢)؛ إذ قد صح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "لتتبعن سنن من كان قبلكم: حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟"(٣) وقال: "لتأخذن مآخذ الأمم قبلكم: شبرا بشبر وذراعا بذراع قالوا: فارس والروم ؟ قال: ومن الناس إلا هؤلاء "(٤).

ط٤٥٥

وإزالة شبهة هؤلاء يحتاج(٥) إلى الكلام في الحروف والأسماء هل هي مخلوقة أم غير مخلوقة وإن كنا قد أشرنا إلى ذلك؛ بل نتكلم على تقدير أنها غير مخلوقة ونقول مع هذا: يجب(٦)

---

(١)هنا انتهى المحذوف من (س).

(٢) وقف هنا في (س) وانتقل إلى قوله: وجب القطع بأن كلام الآدميين مخلوق .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم :"لتتبعون سنن من كان قبلكم" بلفظ:(شبرا بشبر وذرعا بذراع) (٣٦٨/٤رقم ٧٣٢٠) ومسلم بنحوه في كتاب العلم في باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٢٠٥٤/٤).

(٤) أخرجه البخاري /كتاب الاعتصام باب قول النبي صلى الله عليه وسلم :"لتتبعون سنن من كان قبلكم" بلفظ:(لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ الأمم قبلها) (٣٦٧/٤رقم ٧٣١٩) وأحمد في مسنده (١٥٣/١٤).

(٥) في (ط) تحتاج.

القطع بأن كلام/الآدميين مخلوق ويطلق القول بذلك إطلاقا لا يحتاج إلى تفصيل: بأن يقال نظمه وتأليفه مخلوق وحروفه وأسماؤه غير مخلوقة أو تركيبه مخلوق ومفرداته غير مخلوقة فإن هذا التفصيل لا يحتاج إليه. ظ٨٣

وذلك لأن كلام المتكلم هو عبارة عن ألفاظه ومعانيه كما قدمناه ليس الكلام اسماً لمجرد الألفاظ ولا لمجرد المعاني.

وعامة ما يوجد في الكتاب والسنة وكلام السلف والأئمة؛ بل وسائر الأمم عربهم وعجمهم من لفظ الكلام والقول وهذا كلام فلان أو كلام فلان؛ فإنه عند إطلاقه يتناول اللفظ والمعنى جميعا/ لشموله لهما[1]؛ ليس حقيقة في اللفظ فقط كما يقوله قوم؛ ط٤٥٦ ولا في المعنى فقط كما يقوله قوم. ولا مشترك بينهما كما يقوله قوم. ولا مشترك في كلام الآدميين وحقيقة في المعنى في كلام الله كما يقوله قوم.

ومنه قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: " إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تكلم به أو تعمل به"[3]، وقول معاذ له: "وإنا لمؤاخذون بما نتكلم ؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ؛ وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم "[4]، وقوله: "كلمتان ثقيلتان في الميزان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"[5] وقوله: "إن أصدق كلمة قالها الشاعر: كلمة لبيد: ألا كل شيء ما

(١) اكمل هنا في (س).
(٢) وقف هنا في (س) وانتقل إلى قوله: وأما الواسطة الأمة الوسط.
(٣) سبق تخريجه ص ١٣٥ .
(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان/ باب ما جاء في حرمة الصلاة (١٢/٤رقم ٢٦١٦) وابن ماجه في كتاب الفتن /باب كف اللسان في الفتن (ص٦٥٦ رقم٣٩٧٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع= =(٩١٣/٢رقم٥١٣٦) .
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب قوله تعلى :(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) (٤١٩/٤ رقم ٧٥٦٣) ومسلم في كتاب الذكر والدعاء باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٠٧٢/٤).

خلا الله باطل"[1] وقوله: "إني لأعلم كلمة لا يقولها أحد عند الموت إلا وجد روحه لها روحا"[2]. و"من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة"[3]، وما في القرآن: مثل قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. وقوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام: ١٥٢] ونحو ذلك من أسماء القول والكلام جميعاً ونحوهما فإنه يدخل فيه اللفظ والمعنى جميعا عند الإطلاق./ ط٤٥٧

وإذا كان كذلك فالمتكلم بالكلام المبتدئ له سواء كان نظماً أو نثراً لا ريب أنه هو الذي ألف معانيه وألف ألفاظه؛ وأما مفردات الأسماء والحروف فلا ريب أنه تعلمها من غيره سواء كانت مخلوقة أو غير مخلوقة ؛ فإن اللغات سابقة لكلام عامة المتكلمين ونطق الناطقين من البشر وهم تلقوا الأسماء وحروف الأسماء الموجودة في لغاتهم عمن قبلهم إلى أن ينتهي الأمر إلى أول متكلم/بتلك الأسماء المفردة. ظ٨٤

ثم إنه مما علم بالاضطرار واتفق عليه أهل الأرض جميعهم: أن الكلام هو كلام من ألف معانيه وألفاظه وإن كان جميع ما فيه من الأسماء والحروف إنما تعلمها من غيره فالناس مطبقون على أن هذه القصائد كلام منشئيها : مثل شعر امرئ القيس والنابغة الذبياني: كقوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فجميع الأمم يعلمون ويقولون إن هذا شعر امرئ القيس وكلامه وإن كانت الأسماء المفردة فيه إنما تعلمها من غيره ؛ فإن العرب نطقت قبله بلفظ (قفا)وبلفظ (نبك) وبلفظ (من ذكرى) (حبيب) (ومنزل).

---

(١) سبق تخريجه ص١٣٨ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣١٩/١) وقال شعيب في تحقيق المسند: صحيح بطرقه، وأخرجه ابن ماجة كتاب الأدب باب فضل لاإله إلا الله (٥٢٧/٢)بنحوه وقال الألباني صحيح .

(٣) أخرجه أحمد بلفظ:(وجبت له الجنة)(٣٦٣/٣٦) وقال شعيب في تحقيق المسند: حديث صحيح. وأبو داود في كتاب الجنائز في باب التلقين (١٥٩/٣) .

٤٥٨ط وجميع المسلمين إذا سمعوا قوله –صلى الله عليه وسلم–: "إنما/ الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"(١)، أو " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار "(٢)، وقوله: " من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار "(٣)، قالوا: هذا كلام رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهذا حديثه وهذا قوله مع علمهم أن جميع مفردات هذا الكلام قد كانت موجودة في كلام العرب قبله : مثل لفظ (إنما) ولفظ (الأعمال) ولفظ (النية) و (النيات) ولفظ (كل امرئ) ولفظ (ما نوى) وغير ذلك .

وهكذا كلام الصحابة والتابعين وكلام مصنفي الكتب والرسائل والخطب كلهم يقول:هذه الرسالة كلام فلان وهذه الخطبة كلام فلان وهذه المسألة من كلام فلان مع علمهم بأنه مسبوق بمفردات الكلام: أسمائه وحروف هجائه وذلك لأن الكلام لم يكن كلاما باعتبار الألفاظ المفردة ولا باعتبار أجزائها –وهي حروف الهجاء– ولا كان المقصود بوضع اللفظ للمعنى الدلالة على المعاني المفردة فإن المعاني المفردة لا يعلم وضع اللفظ لها إلا بعد العلم بها فلو كان العلم بها لا يستفاد إلا من اللفظ لزم الدور.

٤٥٩ط ولهذا يقول أهل العربية –وهم أخبر بمشبهات الألفاظ/ من غيرهم–: إن اسم الكلام لا ٨٥ظ يقال إلا على الجملة المفيدة كالمركبة من اسمين/أو اسم وفعل. وقد ذكر ذلك سيبويه حكيم لسان العرب في (باب الحكاية بالقول) حيث ذكر أن القول تحكى(٤) به ما كان

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي/باب كيف كان بدء الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم (١٣/١/رقم١) ومسلم في كتاب الإمارة/ باب قوله صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنية) (٣/ ١٥١٥رقم ١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان/ باب حلاوة الإيمان (٢٢/١رقم ١٦) ومسلم في كتاب الإيمان / باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاة الإيمان (٦٦/١/ رقم ٦٧و٦٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم / باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم (٥٥/١/رقم١١٠) ومسلم في المقدمة باب تغليظ الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم (١٠/١رقم ٣)

(٤) في (ط) يحكى.

كلاماً ولا يحكى به ما كان قولاً [١] والقول إنما تحكى به الجمل المفيدة. فعلم أنها هي الكلام في لغة العرب.

وحيث أطلق الفقهاء اسم الكلام على حرفين فصاعدا –في (باب الصلاة) فإنما غرضهم ما يبطل الصلاة– سواءً كان مفيداً أو غير مفيد وموضوعاً أو مهملاً حتى لو صوت تصويتا طويلا ولحن لحون الغناء أبطل الصلاة وإن لم يكن ذلك في اللغة كلاماً. وهم فيما إذا حلف لا يتكلم أو ليتكلمن لا يعلقون البر والحنث إلا بما هو في عرف الحالف كلام وإن كان أخص من الكلام الذي يبطل الصلاة ولهذا لو حلف لا يتكلم وأطلق يمينه حنث بكلام المخلوقين وهل يحنث بتكلمه بالقرآن؟ من العلماء من قال: لا يحنث بحال. ومنهم من قال: لا يحنث بتلاوته في الصلاة. ومنهم من توقف؛ لأن اليمين مرجعها إلى عرف الحالف فعموم اسم الكلام وخصوصه عندهم بحسب الأحكام المتعلقة به.

مفهوم الكلام

والسلف إذا ذموا أهل الكلام وقالوا: علماء الكلام زنادقة وما ارتدى أحد بالكلام فأفلح فلم يريدوا به مطلق الكلام/ وإنما هو حقيقة عرفية فيمن يتكلم في الدين بغير طريقة المرسلين. ط٤٦٠

والخائضون في أصول الفقه وإن قالوا: إن الكلام ما تألف من حرفين فصاعداً أو ما انتظم من الحروف وهي الأصوات المقطعة المتواضع عليها. وتنازعوا في الحرف الواحد المؤلف مع غيره هل يسمى كلاماً؟ على قولين؛ كما قال أكثر متكلميهم: إن الجسم هو المؤلف وأقل التركيب من جوهرين وتنازعوا في الجوهر الواحد المؤلف هل يسمى جسماً؟ على قولين؛ فهذا اصطلاح خاص لهم.

كما اصطلح النحاة على أن: المفرد مثل الاسم وحرف المعنى يسمى كلمة وإن كانت الكلمة في لغة العرب العرباء لا توجد إلا اسماً للجملة التامة إلا أن يكون شيئاً لا يحضرني الآن.

---

(١) انظر : الكتاب لسيبوية (١٢٢/١).

وإذا كان الناس متفقين على أن الكلام هو كلام من ألف ألفاظه ومعانيه وإن كان قد تعلم أسماءه من غيره زالت كل شبهة في المسألة ووجب إطلاق القول بأن كلام الآدميين مخلوق كما يطلق القول بأن هذا الشعر من كلام فلان وهذا الكلام كلام فلان؛ لا كلام الذين تكلموا قبلهم بتلك الأسماء وحروفها؛ فإن كلام الآدميين هو الكلام الذين أنشئوه وابتدءوه فألفوا ألفاظه ومعانيه وإن كان بعضهم قد تعلم أسماءه وحروفه من بعض ولو كانت أسماؤه قد سمعوها من الله تعالى. / /

ظ٨٦
ط٤٦١

واعلم أن هنا أمراً عجيباً وهو أن هؤلاء القوم ضد الذين يجعلون القرآن الذي يقرءونه كلام الآدميين لا كلام الله فإن أولئك عمدوا إلى كلام الله الذي يتلونه ويبلغونه ويؤدونه -فجعلوه كلام أنفسهم وهؤلاء عمدوا إلى كلامهم- المتضمن الكفر والفسوق والعصيان والكذب والبطلان - فجعلوه كلام الله الذي ليس بمخلوق. فأولئك لم ينظروا إلا إلى من سمع منه الكلام وهؤلاء لم ينظروا إلا إلى من اعتقدوا أنه تكلم أولا بمفردات الكلام.

وأما(١) الأمة الوسط الباقون على الفطرة وجميع بني آدم فيقولون لما بلغه المبلغ عن غيره وأداه ولما قرأه من كلام غيره وتلاه. هذا كلام ذاك وإنما بلغت بقواك كما قال أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- لما خرج على قريش فقرأ عليهم: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ الروم: ١ - ٣ فقالوا: هذا كلامك أم كلام صاحبك ؟ فقال : ليس بكلامي ولا كلام صاحبي ولكنه(٢) كلام الله.

وهذا كما قال الله تعالى: ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ التوبة: ٦ وفي سنن أبي داود عن جابر عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أنه كان يعرض نفسه على الناس في الموقف فيقول : ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي؟ فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام

---

(١) أكمل هنا في (س).
(٢) في (ط) ولكن.

ربي"(١)، فبين -صلى/ الله عليه وسلم- أنما يبلغه ويتلوه هو كلام الله لا كلامه وإن كان يبلغه بأفعاله وصوته كما قال: "زينوا القرآن بأصواتكم"(٢) وقال: "لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته "(٣).

ط٤٦٢

والأمم متفقون على هذا إذا سمعوا من يروي قصيدة من شعر مثل (قفا نبك)أو (هل غادر الشعراء) أو (خطبة) مثل خطب علي وزياد أو (رسالة)(٤) كرسالة عبد الحميد(٥) ونحوه أو سجعاً من سجع الكهان أو قرآنا مفترى كقرآن مسيلمة الكذاب قالوا: هذا شعر امرئ القيس وكلام علي وكلام عبد الحميد وقرآن مسيلمة وهو كلامه ولم يجعلوه كلاما للمبلغ المؤدي بالواسطة وإن كان بلغه بفعله وصوته وإذا أنشأ رجل قصيدة أو خطبة أو رسالة أو سجعاً أو تكلم بكلام منثور: آمرا أو مخبرا قالوا: هذا كلام فلان وقوله وإن كان قد تعلم مفرداته من غيره وتلقنها من أحد.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٧٦/٤) والترمذي (١٨٤/٥) وقال: محققه الألباني صحيح.

(٢) علقه البخاري/كتاب التوحيد /باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:" الماهر بالقران مع السفرة الكرام البررة وأخرجه أبو داود /كتاب الصلاة /تفريع الوتر باب تزيين القران بالصوت وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم :٣٥٧٤.

(٣) أخرجه أبو داود /كتاب السنة/ باب في القران (//رقم ٤٧٣٤) والترمذي / كتاب فضائل القران(// رقم ٢٩٢٥).

(٤) انظر:رسائل البلاغاء لمحمد كرد علي (ط)١٣٣١هـ (ن) دار الكتب العربية الكبرى مصطفى البابي الحلبي وله عدة رسائل انظر ترجمته التالية .

(٥) عبد الحميد بن يحيى بن سعد، أبو يحيى الكاتب، مولى العلاء بن وهب العامري من أهل الأنبار. كان معلما للصبيان، وينقل في البلدان، سكان الرقة؛ وكان من الكتاب البلغاء، وبه يضرب المثل في الكتابة له (رسائل) تقع في نحو ألف ورقة منها :(رسالة ولي العهد – رسالة الشطرنج –رسالة الكاتب – رسالة وصف الإخاء – رسالة إلى أهله وهو منهزم مع مروان) ؛ وعنه أخذ المترسلون.ساير عبد الحميد يوما مروان على دابة، فقال له: كيف سيرها؟ فقال: همها أمامها وسوطها عنانها وما ضربت قط إلا ظلما. قال لي عبد الحميد: إذا أردت أن يجود خطك، فأطل جلفة قلمك، وأسمنها، وحرف قطتك، وأيمنها.قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: بلغني أن عبد الحميد استخفى بعد قتل مروان، فوجد بالشام أو بالجزيرة، فدفعه السفاح إلى عبد الجبار بن عبد الرحمن، وكان على شرطته، فكان يحمي طشتا بالنار ويضعها على رأسه حتى مات سنة ١٣٢هـــ.انظر: تاريخ بغداد وذيويله : (١١٥/٢١) وسير أعلام النبلاء (٤٦٢/٥).

فمن قال: إن الكلام هو كلام لمن تعلم منه المفردات فهو أبعد عن العقل والدين ممن قال: إن الكلام لمن بلغه وأداه وإنما الكلام كلام من اتصل به واتصف به وألفه/ وأنشأه وكان مخبرا بخبره وآمرا بأمره وناهيا لمن نهاه[1]./

ظ٨٧
ط٤٦٣

فصل

واجب ولي الأمر

وأما سؤال السائل: هل يجب على ولي الأمر زجرهم وردعهم؟ فنعم يجب ذلك في هؤلاء وفي كل من أظهر مقالة تخالف الكتاب والسنة؛ فإن ذلك من المنكر الذي أمر الله بالنهي عنه كما قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ آل عمران: ١٠٤ وهو من الإثم الذي قال الله فيه: ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ﴾ المائدة: ٦٣.

وكل من أثبت لله ما نفاه عن نفسه أو نفى عن الله ما أثبته لنفسه من المعطلة[2] والممثلة[3] فإنه قال على الله غير الحق وذلك مما زجر الله عنه بقوله للنصارى: ﴿ يَا أَهْلَ

(١) في (ط) عن نهيه .

(٢) المعطلة :قال أبو زرعة الرازي رحمه الله من أئمة المحدثين، ت سنة ٢٦٤هـ.-انظر في ترجمته: طبقات الحنابلة لأبي يعلى ١/١٩٩ -:(المعطلة النافية الذين ينكرون صفات الله عزّ وجل التي وصف الله بها نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه صلّى الله عليه وسلّم، ويكذبون بالأخبار الصحاح التي جاءت عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الصفات، ويتأولونها بآرائهم المنكوسة على موافقة ما اعتقدوا من الضلالة وينسبون رواتها إلى التشبيه، فمن نسب الواصفين ربهم – تبارك وتعالى – بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه صلّى الله عليه وسلّم من غير تمثيل ولا تشبيه إلى التشبيه فهو معطل نافٍ، ويستدل عليهم بنسبتهم إياهم إلى التشبيه أنهم معطلة نافية) .
وممن يمثلهم الجهمية والمعتزلة .انظر: الحجة في بيان المحجة لقوام السنة الأصبهاني ١/١٨٧.

ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾النساء: ١٧١ وبقوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾المائدة: ٧٧ وقال عن الشيطان: ﴿ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾البقرة: ١٦٩ وقال: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾الأعراف: ٣٣./ **فإن من قال غير الحق فقد قال على الله ما لا يعلم؛ فإن الباطل لا يعلم إلا إذا علم بطلانه فأما اعتقاد أنه الحق فهو جهل لا علم فمن قاله فقد قال ما لا يعلم وكذلك من تبع في هذه الأبواب وغيرها من أبواب الدين آباءه وأسلافه من غير اعتصام منه بالكتاب والسنة والإجماع فإنه ممن ذمه الله في كتابه مثل قوله:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾المائدة: ١٠٤ **وقوله:** ﴿ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ

---

(١) الممثلة : قال الإمام أحمد رحمه الله: "المشبهة تقول بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي، ومن قال ذلك فقد شبه الله بخلقه".انظر: إبطال التأويلات لأبي يعلى (ص٤٥) قال الطحاوي: "ولا شيء مثله". وعلق شارحه على ذلك بقوله: "اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله...". انظر: شرح الطحاوي (ص٣٨).

ولقد ضل فريقان في هذا الباب أحدهما: الكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني. الذين شبهوا الله بخلقه، وأطلق عليهم الأشعري اسم المجسمة، وذكر أن أقوالهم بلغت ست عشرة مقالة. (انظر: مقالات الإسلاميين ٢٨١/١، والفرق بين الفرق ص٢١٦، ولوامع الأنوار البهية ٩١/١).

أما سلف هذه الأمة فقالوا: إن الله موصوف بصفات الجلال والكمال، كما وصف نفسه، وأنه مع اتصافه بهذه الصفات لا يشبه شيئاً من المخلوقات، فكانوا في ذلك وسطاً بين المشبهة والمعطلة. (انظر: في ذلك شرح الطحاوية ص٣٩، ٥٨).وقال نعيم بن حماد: "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف به نفسه ولا رسوله تشبيهاً". انظر: السنة للالكائي (ص٩٣٦) مختصر العلو للذهبي(ص١٨٤).

وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ الأحزاب: ٦٦ - ٦٦.

وكذلك من اتبع الظنون والأهواء معتقداً أنها عقليات وذوقيات فهو ممن قال الله فيه: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾النجم: ٢٣ **وإنما يفصل بين الناس فيما تنازعوا فيه الكتاب المترل من السماء والرسول المؤيد بالأنباء كما قال تعالى:** ﴿ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ الأحقاف: ٤ / **وكما قال تعالى:** ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾البقرة: ٢١٣ / **وقال تعالى:** ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾النساء: ٥٩ [1] **وقال تعالى:** ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾الشورى: ١٠.

٤٦٥ط
٨٨ظ

بل على الناس أن يلتزموا الأصول الجامعة الكلية التي اتفق عليها سلف الأمة وأئمتها: فيؤمنون بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله: من غير تحريف[2] ولا تعطيل ومن غير تكييف[3] ولا تمثيل.وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة.

---

(١) وقف هنا قريبا منه في (س)وانتقل إلى قوله: بلى من أسلم .

(٢) **التحريف : صرف معاني النصوص عن معانيها الظاهرية بغير حجة . انظر : درء تعارض العقل والنقل (١٢/١).**

(٣) التكييف : بيان الهيئة التي تكون عليها الصفات. وهذا لا يعني نفي الكيفية ولكن نفي العلم بكيفية صفات كما نقل عن الأوزاعي وغيره، نقل:" عنهم أنهم قالوا في آيات الصفات وأحاديثها: أمروها كما جاءت بلا كيف". انظر: شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (٥٢٧/٣).

فصل

مسألة التكفير

وأما تكفير قائل هذا القول فهو مبني على أصل لا بد من التنبيه عليه ؛ فإنه بسبب عدم ضبطه اضطربت الأمة اضطرابا كثيرا في تكفير أهل البدع والأهواء كما اضطربوا قديما وحديثا في سلب الإيمان عن أهل الفجور والكبائر وصار كثير من أهل البدع مثل الخوارج(١) والروافض(٢) والقدرية والجهمية(٣) والممثلة يعتقدون اعتقادا هو ضلال/ يرونه هو الحق ويرون كفر من خالفهم في ذلك فيصير فيهم شوب قوي من أهل الكتاب في كفرهم بالحق وظلمهم للخلق ولعل أكثر هؤلاء المكفرين يكفر بالمقالة التي لا تفهم حقيقتها ولا تعرف حجتها.

ط٤٦٦

وبإزاء هؤلاء المكفرين بالباطل أقوام لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما يجب أو يعرفون بعضه ويجهلون بعضه وما عرفوه منه قد لا يبينونه للناس بل يكتمونه ولا ينهون عن البدع المخالفة للكتاب والسنة ولا يذمون أهل البدع ويعاقبونهم؛ بل لعلهم يذمون الكلام في السنة وأصول الدين ذما مطلقاً؛ لا يفرقون فيه بين ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع وما يقوله أهل البدعة والفرقة أو يقرون الجميع على مذاهبهم المختلفة كما يقر العلماء في مواضع الاجتهاد التي يسوغ فيها النزاع وهذه الطريقة قد تغلب على كثير

---

(١) الخوارج: هم الذين خرجوا على عليٍّ بعد قبوله التحكيم في موقعة صفين وأجمعوا على تكفيره، وقالوا بتكفير مرتكب الكبيرة وخلوده في النار. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٨٦،٥) والفصل لابن حزم(٧٧/٢ و١٤٤/٤).

(٢) الروافض: هم الذين رفضوا زيد بن علي بن الحسين الذي لم يوافقهم في النيل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قالوا بإمامة علي رضي الله عنه وتقديمهم على الخلفاء الراشدين وتبرأوا من أبي بكر وعمر وكثير من الصحابة رضي الله عنهم وقد سئل إمام أهل السنة الإمام أحمد، عن الرافضة من هم فقال: هم ((الذين يسبون أو يشتمون أبا بكر وعمر)) (السنة لعبد الله بن أحمد ص١٩٢) انظر: مقالات الإسلاميين (٨٨/١) التنبيه والرد (ص١٨).

(٣) الجهمية: اتباع جهم بن صفوان الذين نفوا صفات الله وقالوا بالجبر وبخلق القرآن وزعموا أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط وأن الكفر هو الجهل به فقط وذكر ابن الجوزي أن الجهمية انقسمت إلى اثنتى عشرة فرقة وذكرها (التلبيس ص ٣١) ، انظر: مقالات الإسلاميين (٣٣٨/١) والتنبيه والرد (ص٩٦).

من المرجئة وبعض المتفقهة والمتصوفة والمتفلسفة كما تغلب الأولى على كثير من أهل الأهواء والكلام وكلا هاتين الطريقتين منحرفة خارجة عن الكتاب والسنة.

وإنما الواجب بيان ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه وتبليغ ما جاءت به الرسل عن الله والوفاء بميثاق الله الذي أخذه على العلماء فيجب أن يعلم ما جاءت به الرسل/ ويؤمن به ويبلغه ويدعو إليه/ ويجاهد عليه ويزن جميع ما خاض الناس فيه من أقوال وأعمال في الأصول والفروع الباطنة والظاهرة بكتاب الله وسنة رسوله غير متبعين لهوى : من عادة أو مذهب أو طريقة أو رئاسة أو سلف؛ ولا متبعين لظن: من حديث ضعيف أو قياس فاسد –سواء كان قياس شمول أو قياس تمثيل– أو تقليد لمن لا يجب اتباع قوله وعمله؛ فإن الله ذم في كتابه الذين يتبعون الظن وما تهوى الأنفس(١) ويتركون اتباع ما جاءهم من ربهم من الهدى.

ظ٨٩
ط٤٦٧

فصل

مسألة الأسماء

إذا تبين ذلك فاعلم أن مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا؛ فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين وحرم الجنة على الكافرين وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ البقرة: ٦٢ وقال تعالى –لما ذكر قول اليهود والنصارى–/: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ البقرة: ١١١. فأمر أن يطالبهم بالبرهان على هذا النفي العام وما فيه من الإثبات الباطل ثم قال(٢): ﴿ بَلَىٰ مَنْ

ط٤٦٨

---

(١) كما قال تعالى : ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ النجم: ٢٣

(٢) اكمل هنا في (س).

﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ البقرة: ١١٢.

فأخبر –سبحانه– عمن مضى ممن كان متمسكاً بدين حق من اليهود والنصارى والصابئين وعن المؤمنين بعد مبعث محمد –صلى الله عليه وسلم– أنه من جمع الخصال الثلاث التي هي جماع الصلاح وهي الإيمان: بالخلق والبعث –بالمبدأ والمعاد–؛ الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح[1]:وهو أداء المأمور به وترك المنهي عنه. فإن له حصول الثواب وهو أجره عند ربه واندفاع العقاب. فلا خوف عليه مما أمامه ولا يحزن على ما وراءه؛ ولذلك قال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ إخلاص الدين لله وهو عبادته وحده لا شريك له وهو حقيقة قوله:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ الفاتحة: ٥ وهو محسن.

(فالأول) وهو إسلام الوجه هو النية وهذا (الثاني) –وهو الإحسان– هو العمل. وهذا الذي ذكره في هاتين الآيتين هو الإيمان العام والإسلام العام الذي أوجبه الله على جميع/ عباده من الأولين والآخرين. / ظ٩٠ ط٤٦٩

وهو دين الله العام الذي لا يقبل من أحد سواه وبه بعث جميع الرسل كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ النحل: ٣٦ وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ الأنبياء: ٢٥ وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ الزخرف: ٤٥ وقال تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ

---

(١) في (س): (وهي جماع الصلاح وهي: الإيمان بالله والبعث والمعاد وعملا صالحا..).

﴾الشورى: ١٣ وقال تعالى لبني آدم جميعا : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) ﴾ طه: ١٢٣ - ١٢٤ وقال في الآية الأخرى ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) ﴾البقرة: ٣٨ - ٣٩.

فكان من أول البدع والتفرق الذي وقع في هذه الأمة بدعة الخوارج(١) المكفرة بالذنب فإنهم تكلموا في الفاسق الملي فزعمت الخوارج والمعتزلة أن الذنوب الكبيرة ومنهم من قال: والصغيرة لا تجامع الإيمان أبداً بل تنافيه وتفسده كما يفسد الأكل والشرب الصيام قالوا: لأن الإيمان هو فعل المأمور وترك المحظور فمتى بطل بعضه بطل كله كسائر المركبات./ ط٤٧٠

ثم قالت الخوارج: فيكون العاصي كافراً؛ لأنه ليس إلا مؤمن وكافر ثم اعتقدوا أن عثمان وعلياً وغيرهما عصوا، ومن عصى فقد كفر، فكفروا هذين الخليفتين وجمهور الأمة(٢). وقالت المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين إنه يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر(٣).

وقابلتهم المرجئة والجهمية(٤) ومن اتبعهم من الأشعرية والكرامية(٥). فقالوا: ليس من الإيمان فعل الأعمال الواجبة، ولا ترك المحظورات البدنية والإيمان لا يقبل الزيادة

(١) كان بداية نشأة الخوارج في وقعة صفين سنة ٣٧هـ انظر: مقالات الإسلاميين (ص٣) وتاريخ الطبري (٥٥/٥).

(٢) انظر: التبصرة في معالم الدين للطبري (ص١٦٠) والملل والنحل (١٠٧/١).

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص٦٩٧) والملل والنحل (١٠٧/١).

(٤) مقالات الاسلاميين (ص١٣٧) والملل والنحل (١٨٩/١).

(٥) الكرامية :هم اتباع محمد بن كرام أبو عبد الله السجستاني غلو في بعض الصفات حتى قالوا بالتشبيه وهم مرجئة في الإيمان . انظر: ميزان الاعتدال (٢١/٤) ومقالات الاسلاميين (١٤١).

والنقصان؛ بل هو شيء واحد يستوي فيه جميع المؤمنين: من الملائكة والنبيين والمقربين والمقتصدين والظالمين.

ثم قال فقهاء المرجئة(١): هو التصديق بالقلب واللسان، وقال أكثر متكلميهم: هو التصديق بالقلب، وقال بعضهم: التصديق باللسان(٢). قالوا: لأنه لو دخلت فيه الواجبات العملية لخرج منه/من لم يأت بها كما قالت الخوارج، ونكتة هؤلاء جميعهم توهمهم أن من ترك بعض الإيمان فقد تركه كله. ظ٩١

وأما أهل السنة والجماعة من الصحابة جميعهم والتابعين، وأئمة أهل السنة وأهل الحديث، وجماهير الفقهاء والصوفية، مثل مالك والثوري والأوزاعي وحماد بن زيد والشافعي وأحمد بن حنبل/ وغيرهم. ومحققي أهل الكلام فاتفقوا على أن الإيمان والدين قول وعمل. هذا لفظ(٣) السلف من الصحابة وغيرهم(٤)، وإن كان قد يعنى بالإيمان في بعض المواضع ما يغاير العمل؛ لكن الأعمال الصالحة كلها تدخل أيضاً في مسمى الدين والإيمان، ويدخل في القول قول القلب واللسان، وفي العمل عمل القلب والجوارح(٥). ط٤٧١

وقال المفسرون(٦) لمذهبهم: إن له أصولاً وفروعاً وهو مشتمل على أركان وواجبات – ليست بأركان – ومستحبات؛ بمنزلة اسم الحج والصلاة وغيرهما من العبادات؛ فإن اسم الحج يتناول كل ما يشرع فيه من فعل وترك، مثل الإحرام وترك محظوراته، والوقوف

(١) مرجئة الفقهاء: هم من أخرج أعمال الجوارح من الإيمان وأول من أشهر القول بذلك حماد بن أبي سليمان وإن كان قد نقل عن غيره وعن حماد تلقى أبو حنيفة القول بالإرجاء ثم نسب إلى مذهبه .انظر:مقالات الاسلاميين(ص١٣٨) وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٤٥٩).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق (ص١٨٠) والملل والنحل (١/١٣٩).

(٣) كما في (ط) وفي الأصل ألفاظ.

(٤) انظر: أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٥/٩٥٩ و ١٠١٢).

(٥) قلت : هذا من أصول أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل انظر: الإيمان لأبي شيبة (ص١٣٨) وشرح أصول أهل السنة للالكائي (١/٥٧،١٥١) .

(٦) انظر: معالم السنن للخطابي (٥/٥٦) وكتاب الصلاة لابن القيم (ص٥٣) .

بعرفة ومزدلفة ومنى، والطواف ببيت الله الحرام وبين الجبلين المكتنفين، به وهما الصفا والمروة.

ثم الحج مع هذا مشتمل على أركان متى تركت لم يصح الحج كالوقوف بعرفة. وعلى ترك محظور متى فعله فسد الحج وهو الوطء، ومشتمل على واجبات: من فعل وترك، يأثم بتركها عمداً، ويجب مع تركها -لعذر أو غيره- الجبران بدم كالإحرام من المواقيت المكانية والجمع بين الليل والنهار بعرفة، وكرمي الجمار ونحو ذلك، وكترك اللباس المعتاد، والتطيب والصيد وغير ذلك. ومشتمل على مستحبات من فعل وترك يكمل الحج بها؛ ولا(١) يأثم بتركها ولا يجب دم مثل رفع الصوت بالإهلال والإكثار منه، وسوق الهدي، وذكر الله/ ودعائه في الطواف والوقوف وغيرهما. وقلة الكلام إلا في أمر بمعروف، ونهي عن منكر، أو ذكر الله تعالى، فمن فعل الواجب، وترك المحظور، فقد أتم الحج والعمرة لله، وهو مقتصد(٢) من أصحاب اليمين في هذا العمل. ط٤٧٢

لكن من أتى بالمستحب فهو أكمل منه وأتم منه حجاً وهو سابق مقرب، ومن ترك المأمور وفعل المحظور لكنه أتى بركنه وترك مفسده فهو حاج حجاً ناقصاً يثاب على ما فعله من الحج ويعاقب على ما تركه وقد سقط عنه أصل الفرض بذلك مع عقوبته على ما تركه ومن أخل بركن الحج أو فعل مفسده فحجه فاسد لا يسقط/ به فرض؛ بل عليه إعادته مع أنه قد يتنازع في إثابته على ما فعله، وإن لم يسقط به الفرض، الأشبه(٣) أنه يثاب عليه(٤). ظ٩٢

فصار الحج ثلاثة أقسام كاملاً بالمستحبات وتاماً بالواجبات فقط وناقصاً عن الواجب.

---

(١) في (ط) فلا.

(٢) كما في (ط) و(س) أما في (ظ) مقتد .

(٣) في (ط) و(س) والأشبه.

(٤) انظر : المحرر في الفقه لأبي البركات ابن تيمية (١/٢٤٥).

والفقهاء يقسمون الوضوء والغسل إلى كامل ومجزئ[1]؛ لكن يريدون بالكامل ما أتى بمفروضه ومسنونه، وبالمجزئ ما اقتصر على واجبه. فهذا في الأعمال المشروعة. وكذلك في الأعيان المشهودة فإن الشجرة مثلاً اسم لمجموع الجذع والورق والأغصان، وهي بعد ذهاب الورق/ شجرة وبعد ذهاب الأغصان شجرة؛ لكن كاملة وناقصة، فليفعل مثل ذلك في مسمى الإيمان والدين، أن الإيمان ثلاث درجات: إيمان السابقين المقربين. وهو ما أتى فيه بالواجبات والمستحبات: من فعل وترك. وإيمان المقتصدين أصحاب اليمين. وهو ما أتى فيه بالواجبات من فعل وترك. وإيمان الظالمين.[2] وهو ما يترك فيه بعض الواجبات أو فعل[3] فيه بعض المحظورات.

ط٤٧٣

ولهذا قال علماء السنة في وصفهم اعتقاد أهل السنة والجماعة: إنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب[4] إشارة إلى بدعة الخوارج المكفرة بمطلق الذنوب، فأما أصل الإيمان الذي هو الإقرار بما جاءت به الرسل عن الله تصديقاً به وانقياداً له؛ فهذا أصل الإيمان الذي من لم يأت به فليس بمؤمن؛ ولهذا تواتر في الأحاديث " أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان "[5]، "مثقال حبة من إيمان"[6]. وفي رواية الصحيح أيضا "مثقال حبة من خير"، "مثقال ذرة من خير"[7]، وقال –صلى الله عليه وسلم– في الحديث الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة: "الإيمان بضع وستون – أو بضعة وستون أو بضع وسبعون شعبة– أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة

---

(١) انظر: كتاب المغني لابن قدامة (١/١٥٩).

(٢) (ما أتى فيه بالواجبات من فعل وترك. وإيمان الظالمين) ليست في (س) لأنها بياض.

(٣) في (ط) يفعل .

(٤) انظر: أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (ص١٧٥).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان/ باب وجوه يومئذ ناضرة (٤/ ٣٩١رقم ٧٤٣٩) والترمذي (٤/٣٦١).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان/ باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال(١/ ٢٣ رقم ٢٢) ومسلم /كتاب الإيمان/ باب إثبات الشفاعة (١/١٧٢رقم ٣٠٤).

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان/ باب معرفة طريقة الرؤية (١/١٦٧ رقم ٣٠٢) وابن ماجة (ص ٧١٥ رقم ٤٣١٢).

من الإيمان "[1]. فعلم أن الإيمان يقبل التبعيض والتجزئة وأن قليله يخرج الله به من النار من دخلها ليس هو كما يقوله الخارجون عن مقالة أهل/ السنة: إنه لا يقبل التبعيض والتجزئة؛ بل هو شيء واحد: إما أن يحصل كله أو لا يحصل منه شيء. ط٤٧٤

مفهوم الإيمان

ومما يتصل به أن يعرف أن الإيمان هو من الأسماء الكتابية القرآنية النبوية الدينية الشرعية؛ فيتنوع مسماها قدراً ووصفاً بتنوع الكتب الإلهية؛ فمنه ما هو متفق عليه بين جميع المؤمنين من الأولين والآخرين، وجميع الكتب الإلهية: مثل الإقرار بالله واليوم الآخر وعبادة الله وحده لا شريك له/ والصدق والعدل. واعلم أن عامة السور المكية التي أنزلها الله بمكة هي في هذا الإيمان العام المشترك بين الأنبياء جميعهم والمؤمنين جميعهم. وهذا القدر المشترك هو في بعض الملل أعظم قدراً ووصفاً فإن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من أسماء الله وصفاته ووصف اليوم الآخر أكمل مما جاء به سائر الأنبياء. ظ٩٣

ومنه ما تختلف فيه الشرائع والمناهج كالقبلة والمنسك ومقادير العبادات وأوقاتها وصفاتها والسنن والأحكام وغير ذلك فمسمى الإيمان والدين في أول الإسلام ليس هو مسماه في آخر زمان النبوة؛ بل مسماه في الآخر أكمل كما قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ المائدة: ٣ وقال في السورة:﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ المائدة:٥. ولهذا قال الإمام أحمد:" كان بدء الإيمان في أول الإسلام ناقصاً فجعل يتم"[2]. وهكذا/ مسمى الإيمان والدين قد شرع في حق الأشخاص بحسب ما أمر الله به كلاً منهم وبحسب ما فعله مما أمر الله به. ولهذا كان المؤمنون من الأولين والآخرين؛ من الذين هادوا والنصارى والصابئين والمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مشتركين في الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح كما دل عليه القرآن.[3] ط٤٧٥

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان /باب أمور الإيمان (١/٢٠/رقم ٩) ومسلم كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان (١/٦٣رقم ٥٨،٥٧)

(٢) انظر: السنة للخلال (٣/٥٦٥).

(٣) وقف هنا قريبا منه في (س) وانتقل إلى قوله:إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم .

مع أن اليهود كان يجب عليهم الإقرار بما لا يجب علينا إقراره[1]؛ مثل إقرارهم بواجبات التوراة وبمحرماتها، مثل السبت وشحم الثرب[2] والكليتين. ولا يجب عليهم التصديق المفصل بما لم ينزل عليهم من أسماء الله وصفاته وصفات اليوم الآخر. ونحن يجب علينا من الإيمان بذلك ما لم يجب عليهم ويجب علينا من الإقرار بالصلوات الخمس والزكاة المفروضة وحج البيت وغير ذلك مما هو داخل في إيماننا وليس داخلاً في إيمانهم؛ فإن الإقرار بهذه الأشياء داخل في الإيمان باتفاق الأمة. وكذلك الإقرار بأعيان الأنبياء كان الإقرار بأعيانهم داخلاً في إيمان من قبلنا ونحن إنما يدخل في إيماننا الإقرار بهم من حيث الجملة.

والمنازعون لأهل السنة منهم من يقول: الإيمان في الشرع مبقي على ما كان عليه في اللغة؛ وهو التصديق[3]. ومنهم من يقول: هو/ منقول إلى معنى آخر. وهو أداء الواجبات. ط٤٧٦

وأما أهل السنة فقد يقول بعضهم: هو منقول كالأسماء الشرعية: من الصلاة والزكاة./ ظ٩٤ وقد يقول بعضهم: بل هو متروك على ما كان وزادت عليه الشريعة أشياء. ومنهم من يقول: بل هو باق على أصله من التصديق مع دخول الأعمال فيه فإن الأعمال داخلة في التصديق فالمؤمن يصدق قوله بعمله. كما قال الحسن البصري: "ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي؛ ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل"[4]. ومنه قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "والفرج يصدق ذلك أو يكذبه"[5]. ومنهم من يقول: ليس الإيمان في اللغة هو

---

(١) في (ط) الإقرار به.

(٢) الثرب : (وهو شحم قد غشى الكرش والأمعاء رقيق؛ والجمع ثروب). معجم مقاييس اللغة (٣٧٥/١).

(٣) هذا قول الأشاعرة انظر: تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد (ص ٤٢) وغاية المرام في علم الكلام للآمدي (ص٣٠٩).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٨٩/٧ رقم٣٥٢١١) والمناوي في فيض القدير (٣٥٥/٥)وقال: سنده جيد عن الحسن.

(٥) اخرجه البخاري في كتاب الاستئذان/ باب زنا الجوارح دون الفرج (١٣٩/٤رقم٦٢٤٣) ومسلم في كتاب القدر/ باب قدّر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره (٢٠٤٦/٤رقم٢٠٥٧).

التصديق؛ بل هو الإقرار [١] (وهو في الشرع الإقرار أيضاً والإقرار يتناول القول والعمل. وليس هذا موضع بسط ذلك فقد بسطته في غير هذا الموضع) [٢].

وإذا عرف مسمى الإيمان فعند ذكر استحقاق الجنة والنجاة من النار وذم من ترك بعضه ونحو ذلك يراد به الإيمان الواجب كقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ الحجرات: ١٥ وقوله [٣]: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ الآية الأنفال: ٢./ وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ النور: ٦٢. وقوله في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ الحديد: ٢١. ط٤٧٧

وقوله -صلى الله عليه وسلم-:"لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن" [٤]. فنفي عنه الإيمان الواجب الذي يستحق به الجنة ولا يستلزم ذلك نفي أصل الإيمان وسائر أجزائه وشعبه. وهذا معنى قولهم: نفي كمال الإيمان لا حقيقته، أي الكمال الواجب، ليس هو الكمال المستحب، المذكور في قول الفقهاء: الغسل كامل ومجزيء.

ومن هذا الباب: قوله صلى الله عليه وسلم: "من غشنا فليس منا" [٥] ليس المراد به أنه كافركما تأولته الخوارج [٦] ولا أنه ليس من خيارنا [٧]. كما تأولته المرجئة؛ ولكن المضمر

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٣٨/٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٩١/٧).

(٣) أكمل هنا في (س).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المظالم/باب النهبى بغير إذن صاحبه (٢٠١/٢رقم٢٤٧٤) ومسلم /كتاب الإيمان /باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي (٧٦/١ رقم ١٠٠).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان / باب قول النبي صلى الله عليه وسلم :"من غشنا فليس منا" (٩٩/١ رقم ١٦٤) والخلال في كتاب السنة (٥٧٦/٣).

يطابق المظهر والمظهر هو المؤمنون المستحقون للثواب السالمون من العذاب والغاش ليس منا لأنه متعرض لسخط الله وعذابه.

وإذا تبين هذا فمن ترك بعض الإيمان الواجب لعجزه عنه إما لعدم تمكنه من العلم: مثل أن لا تبلغه الرسالة أو لعدم تمكنه من العمل لم يكن مأموراً بما يعجز عنه ولم يكن ذلك/من الإيمان/ والدين الواجب في حقه وإن كان من الدين والإيمان الواجب في الأصل؛ بمنزلة صلاة المريض والخائف والمستحاضة( ) وسائر أهل الأعذار الذين يعجزون عن إتمام الصلاة فإن صلاتهم صحيحة بحسب ما قدروا عليه وبه أمروا إذ ذاك وإن كانت صلاة القادر على الإتمام أكمل وأفضل كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–:"المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير") (رواه مسلم عن أبي هريرة في حديث حسن السياق. وقوله:" صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم وصلاة النائم على النصف من صلاة القاعد ") (ولو أمكنه العلم به دون العمل لوجب الإيمان به علماً واعتقاداً دون العمل.) (

ظ٩٥
ط٤٧٨

---

(١) انظر : مقالات الإسلاميين للأشعري (١/١٧٥) والملل والنحل (١/١٦٦).

(٢) انظر: كتاب السنة للخلال (٣/٥٧٦).

(٣) (والمستحاضة) ليست في (س).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب القدر/باب الأمر بالقوة وترك العجز(٤/٢٠٥٢رقم ٣٤) وابن ماجة في المقدمة/ باب في القدر (ص٢٩ رقم٧٩).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب تقصير الصلاة /باب صلاة القاعد بنحوه (١/٣٤٧رقم١١١٥) وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/٤٥٨ رقم ٤٦٦٦).

(٦) وقف هنا في (س) وانتقل إلى قوله: فإن الله قد بين بنصوص معروفة أن الحسنات يذهبن السيئات .

فصل

مسألة الأحكام

فهذا أصل مختصر في مسألة الأسماء(١) **وأما مسألة الأحكام وحكمه في الدار الآخرة فالذي عليه الصحابة ومن اتبعهم بإحسان وسائر أهل السنة والجماعة. أن**(٢) **لا يخلد في النار من معه شيء من الإيمان؛ بل يخرج منها من معه مثقال حبة أو مثقال ذرة من إيمان**(٣).

٤٧٩ط

وأما الخوارج ومن وافقهم من المعتزلة(٤) **فيوجبون خلود من/ دخل النار وعندهم من دخلها خلد فيها ولا يجتمع في حق الشخص الواحد العذاب والثواب**(٥)**، وأهل السنة والجماعة وسائر من اتبعهم متفقون على اجتماع الأمرين في حق خلق كثير. كما جاءت به السنن المتواترة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.**

وأيضاً: فأهل السنة والجماعة لا يوجبون العذاب في حق كل من أتى كبيرة ولا يشهدون لمسلم بعينه بالنار لأجل كبيرة واحدة عملها؛ بل يجوز عندهم أن صاحب الكبيرة يدخله الله الجنة بلا عذاب إما لحسنات تمحو كبيرته منه أو من غيره؛ وإما لمصائب كفرتها عنه وإما لدعاء مستجاب منه أو من غيره فيه وإما لغير ذلك(٦).

والوعيدية من الخوارج والمعتزلة: يوجبون العذاب في حق أهل الكبائر؛ لشمول نصوص الوعيد لهم. مثل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾النساء: ١٠. **وتجعل المعتزلة إنفاذ الوعيد أحد الأصول**

---

(١) قلت: يقصد بمسألة الأسماء: خلاف الخوارج والمرجئة والمعتزلة مع أهل السنة في مرتكب الكبيرة هل يطلق عليه لفظ المؤمن أو الكافر أو في منزلة بينهما أو فاسق .

(٢) في (ط) أنه.

(٣) انظر: السنة لابن أبي عاصم (٤٠٥/٢) وأحمد في المسند (٥٦/٣)، والآجري في الشريعة ص٣٤٥، وقد عقد ابن خزيمة في كتابه التوحيد باباً في ذلك وساق فيه كثيراً من الروايات المؤيدة لهذا المذهب الحق. (ص٢٨٦) وهكذا فعل ابن مندة في كتابه الإيمان (٧٨٣/٣)، والبيهقي في الاعتقاد(ص٨٨).

(٤) انظر: قول المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص٧٣٠) والملل والنحل (١٠٧/١).

(٥) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل (٧٩/٤).

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٤٨/١٢).

الخمسة التي يكفرون من خالفها[1]، ويخالفون أهل السنة والجماعة في وجوب نفوذ الوعيد فيهم وفي تخليدهم؛ ولهذا منعت الخوارج والمعتزلة أن يكون لنبينا صلى الله عليه وسلم شفاعة في أهل الكبائر في إخراج/أهل الكبائر من النار[2]. وهذا مردود بما تواتر عنه من السنن في ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم/:"شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"[3]، وأحاديثه في إخراجه من النار من قد دخلها. ظ٩٦ ط٤٨٠

وليس الغرض هنا تحرير هذه الأصول[4] وإنما الغرض التنبيه عليها وكان ما أوقعهم في ذلك أنهم سمعوا نصوص الوعيد فرأوها عامة فقالوا :يجب أن يدخل فيها كل من شملته وهو خبر وخبر الله صدق فلو أخلف وعيده [كان][5] كإخلاف وعده، والكذب على الله محال فعارضهم غالية المرجئة بنصوص الوعد فإنها قد تتناول كثيرا من أهل الكبائر فعاد كل فريق إلى أصله الفاسد.

فقال الأولون: نصوص الوعد لا تتناول إلا مؤمنا وهؤلاء ليسوا مؤمنين. وقال الآخرون: نصوص الوعيد لا تتناول إلا كافرا وكل من القولين خطأ. فإن النصوص–مثل قوله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا ﴾– لم يشترط فيها الكفر؛ بل هي في حق المتدين بالإسلام. وقوله: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة"[6]. لم

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص٣٧).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص٦٨٨)

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب السنة /باب الشفاعة (٣٧٩/٤) والترمذي في كتاب صفة القيامة (٦٢٥/٤)وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقال الألباني: صحيح.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦٧٩/٧) والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية (ص١٠٨).

(٥) كما في (ط) وليست في الأصل.

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز/باب في التلقين (١٥٩/٣) وأحمد (٣٦٣/٣٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٠٥/٢).

يشترط فيه فعل الواجبات؛ بل قد ثبت في الصحاح: "وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر"(١).

فهنا اضطرب الناس فأنكر قوم من المرجئة العموم وقالوا: ليس في اللغة عموم وهم الواقفية في العموم من المرجئة(٢) وبعض/ الأشعرية والشيعية وإنما التزموا ذلك لئلا يدخل جميع المؤمنين في نصوص الوعيد. ط٤٨١

وقالت المقتصدة: بل العموم صحيح والصيغ صيغ عموم؛ لكن العام يقبل التخصيص؛ وهذا مذهب جميع الخلائق من الأولين والآخرين إلا هذه الشرذمة. قالوا: فمن عفي عنه كان مستثنى من العموم. وقال قوم آخرون: بل إخلاف الوعيد ليس بكذب وإن العرب لا تعد عاراً أو شناراً أن يوعد الرجل شراً ثم لا ينجزه كما تعد عاراً أو شناراً أن يعد خيراً ثم لا ينجزه وهذا قول طوائف من المتقدمين والمتأخرين وقد احتجوا بقول كعب بن زهير يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم:

نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول(٣)

قالوا: فهذا وعيد خاص وقد رجا فيه العفو مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم فعلم أن العفو عن المتوعد جائز وإن لم يكن من باب تخصيص العام.

والتحقيق أن يقال: الكتاب والسنة مشتمل على نصوص الوعد// والوعيد كما ذلك مشتمل على نصوص الأمر والنهي وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط؛ لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله فكذلك نصوص الوعيد للكفار والفساق مشروطة ظ٩٧ ط٤٨٢

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز/ باب في الجنائز بغير لفظ(وإن شرب الخمر) (٣٨٣/١) ومسلم في كتاب الإيمان / باب من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة (٩٤/١).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (ص١٤٨).

(٣) دلائل النبوة للبيهقي (٢١٠/٥).

بعدم التوبة؛ لأن القرآن قد دل على أن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب وهذا متفق عليه بين المسلمين فكذلك في موارد النزاع.

فإن[1] الله قد بين بنصوص معروفة أن الحسنات يذهبن السيئات وأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وأنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه وأن مصائب الدنيا تكفر الذنوب وأنه يقبل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر وأنه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كما بين أن نصوص[2] الصدقة يبطلها المن والأذى وأن الربا يبطل العمل وأنه إنما يتقبل الله من المتقين؛ أي في ذلك العمل ونحو ذلك.

فجعل للسيئات ما يوجب رفع عقابها كما جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها لكن ليس شيء يبطل جميع السيئات إلا التوبة كما أنه ليس شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة.[3]

ط٤٨٣ وبهذا تبين أنا نشهد بأن/ ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ النساء: ١٠. على الإطلاق والعموم ولا نشهد لمعين أنه في النار؛ لأنا لا نعلم لحوق الوعيد له بعينه؛ لأن لحوق الوعيد بالمعين مشروط بشروط وانتفاء[4] موانع ونحن لا نعلم ثبوت الشروط وانتفاء الموانع في حقه وفائدة الوعيد بيان أن هذا الذنب سبب مقتض لهذا العذاب والسبب قد يقف تأثيره على وجود شرطه وانتفاء مانعه.

---

(١) اكمل هنا المختصر (س).

(٢) في الأصل وفي (س) وليست في (ط).

(٣) إلى هنا انتهت (س) وشرع في مسألة إنكار دعاء الأموات.

(٤) أسباب التكفير :العمل أو الاعتقاد أو قول المكفر مع علمه به، وانتفاء موانع التكفير: الجهل، أو التأويل، أو وجود الشبهة،والإكراه، وعدم قيام الحجة. انظر: درء تعارض العقل لابن تيمية (١/٩٥) ومجموع الفتاوى (٧/ ٢٩١) و(٣٥/ ١٦٥).

يبين هذا: أنه قد ثبت: أن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وآكل ثمنها"(١).
وثبت عنه في صحيح البخاري عن عمر أن رجلا كان يكثر شرب الخمر فلعنه رجل فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-:" لا تلعنه؛ فإنه يحب الله ورسوله "(٢)، فنهى عن لعن هذا المعين وهو مدمن خمر؛ لأنه يحب الله ورسوله وقد لعن شارب الخمر/على العموم. ظ٩٨

فصل

الاضراب في التكفير

إذا ظهرت هذه المقدمات في اسم المؤمن والكافر والفاسق الملّي وفي حكم الوعد والوعيد والفرق بين المطلق والمعين وما وقع في/ ذلك من الاضطراب فمسألة تكفير أهل البدع والأهواء متفرعة على هذا الأصل. ط٤٨٤

ونحن نبدأ بمذهب أئمة السنة فيها قبل التنبيه على الحجة فنقول: المشهور من مذهب الإمام أحمد وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية(٣) وهم المعطلة لصفات الرحمن؛ فإن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب وحقيقة قولهم جحود الصانع ففيه جحود الرب وجحود ما أخبر به عن نفسه على لسان رسله؛ ولهذا قال عبد الله بن المبارك: "إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية"(٤)، وقال غير واحد من الأئمة:" إنهم أكفر من اليهود والنصارى، يعنون من هذه الجهة،

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأشربة/باب العنب يعصر للخمر بنحوه (٥٥/١) وأحمد (٧٤/٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٥/١)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحدود/ باب ما يكره من لعن شارب الخمر بنحوه (٢٤٧/٤) وعبد الرزاق في مصنفه بلفظه (٣٨٠/٧).

(٣) انظر: الرد على الجهمية للدارمي (ص١٧١) والسنة للخلال (٨٩/٥ و٩٣/٦).

(٤) انظر: الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد (ص٨) والإبانة لابن بطة (٩٧/٦).

ولهذا كفروا من يقول: إن القرآن مخلوق وإن الله لا يُرى في الآخرة وإن الله ليس على العرش وإن الله ليس له علم ولا قدرة ولا رحمة ولا غضب ونحو ذلك من صفاته"[1].

وأما المرجئة: فلا تختلف نصوصه أنه لا يكفرهم؛[2] فإن بدعتهم من جنس اختلاف الفقهاء في الفروع وكثير من كلامهم يعود النزاع فيه إلى نزاع في الألفاظ والأسماء: ولهذا يسمى الكلام في مسائلهم باب الأسماء وهذا من نزاع الفقهاء لكن يتعلق بأصل/ الدين؛ فكان المنازع فيه مبتدعاً. ط٤٨٥

وكذلك الشيعة المفضلون لعلي على أبي بكر لا يختلف قوله إنهم لا يكفرون[3]؛ فإن ذلك قول طائفة من الفقهاء أيضاً وإن كانوا يبدّعون.

وأما القدرية المقرون بالعلم والروافض الذين ليسوا من الغالية والجهمية والخوارج: فيذكر عنه في تكفيرهم روايتان[4] هذا حقيقة قوله المطلق مع أن الغالب عليه التوقف عن تكفير القدرية المقرين بالعلم والخوارج[5] مع قوله: "ما أعلم قوماً شراً من الخوارج"[6].

ثم طائفة من أصحابه يحكون عنه في تكفير أهل البدع[7] مطلقاً روايتين حتى يجعلوا المرجئة/داخلين في ذلك وليس الأمر كذلك وعنه في تكفير من لا يكفر روايتان أصحهما لا يكفر. وربما جعل بعضهم الخلاف في تكفير من لا يكفر مطلقا وهو خطأ محض. ظ٩٩

---

(١) انظر: الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد (ص٩).

(٢) انظر: السنة للخلال (عن إسماعيل بن سعيد ، قال : سألت أحمد : هل تخاف أن يدخل الكفر على من قال: الإيمان قول بلا عمل ، فقال : لا يكفرون بذلك. وأخبرنا أبو بكر المروذي ، قال : قيل لأبي عبد الله : المرجئة يقولون : الإيمان قول ، فأدعو لهم ؟ قال : ادعوا لهم بالصلاح). (٥٧٤/٣).

(٣) انظر: كتاب الشفا للقاضي عياض ص(١٠٥٧) والإبانة لابن بطة (١٦٥/٤).

(٤) انظر: كتاب الشفا للقاضي عياض ص(١٠٨٥) ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٠٧/٧)

(٥) انظر: الإعتصام للشاطبي (١٨٥/٢) والمغني لابن قدامة (١٠٦/٨).

(٦) انظر: السنة للخلال ص(١٤٥/١).

(٧) انظر: كتاب الشفا للقاضي عياض ص(٢٧٢).

والجهمية -عند كثير من السلف: مثل عبد الله بن المبارك ويوسف بن أسباط(١) وطائفة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم- ليسوا من الثنتين والسبعين فرقة التي افترقت عليها هذه الأمة؛ بل أصول هذه عند هؤلاء(٢): هم الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية وهذا المأثور/ عن أحمد وهو المأثور عن عامة أئمة السنة والحديث أنهم كانوا يقولون؛ من قال: القرآن مخلوق فهو كافر(٣) ومن قال: إن الله لا يُرى في الآخرة فهو كافر(٤) ونحو ذلك. ط٤٨٦

ثم حكى أبو نصر السجزي عنهم في هذا قولين:

(أحدهما): أنه كفر ينقل عن الملة. قال:وهو قول الأكثرين.

و(الثاني): أنه كفر لا ينقل(٥). ولذلك قال الخطابي(٦): إن هذا قالوه على سبيل التغليظ وكذلك تنازع المتأخرون من أصحابنا في تخليد المكفر من هؤلاء ؛ فأطلق أكثرهم عليه التخليد كما نقل ذلك عن طائفة من متقدمي علماء الحديث؛ كأبي حاتم، وأبي زرعة وغيرهم وامتنع بعضهم من القول بالتخليد.

وسبب هذا التنازع تعارض الأدلة فإنهم يرون أدلة توجب إلحاق أحكام الكفر بهم ثم إنهم يرون من الأعيان الذين قالوا تلك المقالات من قام به من الإيمان ما يمتنع أن يكون

---

(١) يوسف بن أَسْبَاط الزاهد، له واعظ وحكم. قال المسيب: سألته عن الزهد، فقال: أن تزهد في الحلال، فأما الحرام، فإن ارتكبته، عذبك.وسئل يوسف: ما غاية التواضع ؟ قال: أن لا تلقى أحدا إلا رأيت له الفضل عليك.وعنه قال: للصادق ثلاث خصال: الحلاوة، والملاحة، والمهابة.توفي سنة ١٩٥ هـ انظر: سير أعلام النبلاء (١٦٩/٩) ولسان الميزان (٨/ ٥٤٨).

(٢) انظر: الاعتصام للشاطبي (٢/ ٢٢٠) ومجموع فتاوى ابن تيمية":(٣/ ٣٥٠، ٣٥١)، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة(١/ ٣٧٧) ورسالة السجزي (ص٢١٦).

(٣) انظر: والشريعة للآجري (١٨٦/١) وأصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢٥٢/١).

(٤) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص١٣٠).

(٥) انظر: رسالة السجزي (ص١٥٢).والشفا للقاضي عياض (ص٢٧٥).

(٦) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي. الإمام العلامة الحافظ اللغوي صاحب التصانيف منها : مِنْهَا(شَرْح السُّنَن) وَلَهُ(شَرْحُ الأَسْمَاء الحُسْنَى)، وَكِتَابُ(الغُنيَة عَنِ الكَلاَم وَأَهلِه)، وَغَيْر ذَلِكَ.توفي سنة ٣٨٨ هـ انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/١٧) والأعلام (٢/ ٢٧٣).

كافراً فيتعارض عندهم الدليلان وحقيقة الأمر أنهم أصابهم في ألفاظ العموم في كلام الأئمة ما أصاب الأولين في ألفاظ العموم في نصوص الشارع كلما رأوهم قالوا: من قال كذا فهو كافر اعتقد المستمع أن هذا اللفظ شامل لكل من قاله ولم يتدبروا أن التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين وأن تكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين/ إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع. يبين[1] هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة: الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه. ط٤٨٧

فإن الإمام أحمد/ - مثلاً - قد باشر الجهمية الذين دعوه إلى خلق القرآن ونفي الصفات وامتحنوه وسائر علماء وقته وفتنوا المؤمنين والمؤمنات الذين لم يوافقوهم على التجهم بالضرب والحبس والقتل والعزل عن الولايات وقطع الأرزاق ورد الشهادة وترك تخليصهم من أيدي العدو بحيث كان كثير من أولي الأمر إذ ذاك من الجهمية من الولاة والقضاة وغيرهم: يكفرون كل من لم يكن جهمياً موافقاً لهم على نفي الصفات مثل القول بخلق القرآن ويحكمون فيه بحكمهم في الكافر فلا يولونه ولاية ولا يفتكونه من عدو ولا يعطونه شيئاً من بيت المال ولا يقبلون له شهادة ولا فتياً ولا رواية ويمتحنون الناس عند الولاية والشهادة والافتكاك من الأسر وغير ذلك. فمن أقر بخلق القرآن حكموا له بالإيمان ومن لم يقر به لم يحكموا له بحكم أهل الإيمان ومن كان داعياً إلى غير التجهم قتلوه أو ضربوه وحبسوه. ظ١٠٠

ومعلوم أن هذا من أغلظ التجهم فإن الدعاء إلى المقالة أعظم من قولها وإثابة قائلها وعقوبة تاركها أعظم/ من مجرد الدعاء إليها والعقوبة بالقتل لقائلها أعظم من العقوبة بالضرب. ط٤٨٨

ثم إن الإمام أحمد دعا للخليفة وغيره. ممن ضربه وحبسه واستغفر لهم وحللهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر ولو كانوا مرتدين عن الإسلام لم يجز الاستغفار لهم؛ فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والإجماع وهذه الأقوال

---

(١) كمافي (ط) وفي الأصل (بين).

والأعمال منه ومن غيره من الأئمة صريحة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية الذين كانوا يقولون: القرآن مخلوق وإن الله لا يُرى في الآخرة وقد نقل عن أحمد ما يدل على أنه كفر به قوما معينين فأما أن يذكر عنه في المسألة روايتان ففيه(١) نظر أو يحمل الأمر على التفصيل. فيقال: من كفّره بعينه؛ فلقيام الدليل على أنه وجدت فيه شروط التكفير وانتفت موانعه ومن لم يكفره بعينه؛ فلانتفاء/ذلك في حقه هذه مع إطلاق قوله بالتكفير على سبيل العموم. ظ١٠١

والدليل على هذا الأصل: الكتاب والسنة والإجماع والاعتبار. أما الكتاب: فقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ ﴾ [الأحزاب: ٥] وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]./ وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم:"أن الله تعالى قال : قد فعلت"(٢) لما دعا النبي – صلى الله عليه وسلم– والمؤمنون بهذا الدعاء. وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أُعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش، وأنه لم يقرأ بحرف منها إلا أعطيه"(٣). ط٤٨٩

وإذا ثبت بالكتاب المفسر بالسنة أن الله قد غفر لهذه الأمة الخطأ والنسيان فهذا عام عموما مقصوداً(٤) وليس في الدلالة الشرعية ما يوجب أن الله يعذب من هذه الأمة مخطئاً على خطئه وإن عذب المخطيء من غير هذه الأمة.

وأيضاً قد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال:"إن رجلاً لم يعمل خيراً قط فقال لأهله: إذا مات فحرقوه(١) ثم اذروا نصفه في البر

---

(١) كما في (ط) وفي الأصل (وفيه).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان انه سبحانه لايكلف إلا ما يطاق (١١٦/١رقم٢٠٠) والنسائي (٤٠/١٠).

(٣) سبق تخريجه ص٧٥.

(٤) في (ط) محفوظاً.

ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فلما مات الرجل فعلوا به كما أمرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه فإذا هو قائم بين يديه. ثم قال: لم فعلت هذا؟ قال من خشيتك يا رب وأنت أعلم؛ فغفر الله له"(٢) /.

ط٤٩٠

وهذا الحديث متواتر عن النبي –صلى الله عليه وسلم– رواه أصحاب الحديث والأسانيد من حديث أبي سعيد وحذيفة وعقبة بن عمرو وغيرهم عن النبي –صلى الله عليه وسلم– من وجوه متعددة يعلم أهل الحديث أنها تفيدهم العلم اليقيني وإن لم يحصل ذلك لغيرهم ممن لم يشركهم في أسباب العلم . فهذا الرجل كان قد وقع له الشك والجهل في قدرة الله تعالى على إعادة ابن آدم؛ بعد ما أحرق/وذرّي وعلى أنه يعيد الميت ويحشره إذا فعل به ذلك وهذان أصلان عظيمان:

ظ١٠٢

(أحدهما): متعلق بالله تعالى وهو الإيمان بأنه على كل شيء قدير.

و(الثاني): متعلق باليوم الآخر. وهو الإيمان بأن الله يعيد هذا الميت ويجزيه على أعماله ومع هذا فلما كان مؤمناً بالله في الجملة ومؤمناً باليوم الآخر في الجملة وهو أن الله يثيب ويعاقب بعد الموت وقد عمل عملاً صالحاً –وهو خوفه من الله أن يعاقبه على ذنوبه– غفر الله له بما كان منه من الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح.

وأيضاً: فقد ثبت في الصحيح عن النبي –صلى الله عليه وسلم–: "إن الله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان"(٣)، وفي رواية:"مثقال دينار من خير ثم يخرج من

---

(١) في (ط) فأحرقوه .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب حدثنا أبو اليمان (٢/٥٠٠ رقم٣٤٨١) ومسلم في كتاب الإيمان باب في سعة رحمة الله (٤/٢١٠٩رقم٢٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد /باب قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣] (٤/ ٣٩٢رقم٧٤٣٩) ومسلم في كتاب الإيمان /باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٦٧ رقم ٣٠٢).

ط٤٩١

النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان"[1]، / وفي رواية:"من خير"[2]،" ويخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان أو خير"[3]. وهذا وأمثاله من النصوص المستفيضة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- يدل أنه لا يخلد في النار من معه شيء من الإيمان والخير وإن كان قليلاً وأن الإيمان مما يتبعض ويتجزأ. ومعلوم قطعاً أن كثيراً من هؤلاء المخطئين معهم مقدار ما من الإيمان بالله ورسوله إذ الكلام فيمن يكون كذلك.

وأيضاً فإن السلف أخطأ كثير منهم في كثير من هذه المسائل واتفقوا على عدم التكفير بذلك مثل ما أنكر بعض الصحابة أن يكون الميت يسمع نداء الحي وأنكر بعضهم أن يكون المعراج يقظةً[4]، وأنكر بعضهم رؤية محمد ربه[5]، ولبعضهم في الخلافة والتفضيل كلام معروف وكذلك لبعضهم في قتال بعض[6] ولعن بعض وإطلاق تكفير بعض أقوال معروفة.

---

(١) أخرجه البخاري /كتاب الإيمان/باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال (١/٢٣/رقم٢٢)ومسلم في كتاب الإيمان/ باب إثبات الشفاعة(٣/٣٥/٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري / كتاب التوحيد /باب قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾القيامة: ٦٦ – ٢٣ (١/٢٣/رقم٢٢).

(٣) أخرجه البخاري /كتاب الإيمان/باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال (٤/٣٩١/رقم٧٤٣٩).

(٤) انظر: تهذيب الآثار للطبري/مسند ابن عباس– رضي الله عنه– (٢/٤٤٧/رقم٧٣٣) .

(٥) مثل نفي عائشة –رضي الله عنها– رؤية النبي – صلى الله عليه وسلم– انظر: البخاري /كتاب التفسير(٣/٢٩٨/رقم٤٨٥٥) ومسلم /كتاب الإيمان/باب معنى قول الله – عز وجل – : { ولقد رآه نزلة أخرى }، وهل رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – ربه ليلة الإسراء؟ (٣/٦/رقم٤٣٨).

(٦) مثل ما حصل من قتال يوم صفين انظر: السنة لعبد بن أحمد بن حنبل (٢/٥٥٥) والمصنف (١٥/٣٠٣) و سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/١٤٤).

وكان القاضي شريح[1] ينكر قراءة من قرأ: ﴿بل عجبتُ﴾ ويقول:" إن الله لا يعجب؛ فبلغ ذلك إبراهيم النخعي فقال: إنما شريح شاعر يعجبه علمه. كان عبد الله أفقه منه، فكان يقول: ﴿بل عجبتُ﴾"[2] ،فهذا قد أنكر قراءة ثابتة وأنكر صفة دل عليها الكتاب والسنة واتفقت الأمة على أنه/إمام من الأئمة وكذلك بعض السلف أنكر بعضهم حروف القرآن مثل إنكار بعضهم قوله: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾الرعد: ٣١ وقال: إنما هي: (أولم يتبين الذين آمنوا)[3]، وإنكار الآخر قراءة قوله: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ الإسراء: ٢٣ وقال: إنما هي (ووصى ربك)[4]. وبعضهم كان حذف المعوذتين[5] وآخر يكتب سورة القنوت[6]. وهذا خطأ معلوم بالإجماع والنقل المتواتر ومع ومع هذا فلما لم يكن قد تواتر النقل عندهم بذلك لم يكفروا وإن كان يكفر بذلك من قامت عليه الحجة بالنقل المتواتر.

ظ١٠٣

وأيضاً فإن الكتاب والسنة قد دل على أن الله لا يعذب أحداً إلا بعد إبلاغ الرسالة فمن لم تبلغه جملة لم يعذبه رأساً ومن بلغته جملة دون بعض التفصيل لم يعذبه إلا على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية.

---

(١) هو الفقيه، أبو أمية، شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، قاضي الكوفة. يقال: له صحبة، ولم يصح، بل هو ممن أسلم في حياة النبي –صلى الله عليه وسلم– وانتقل من اليمن زمن الصديق. صح أن عمر ولاه قضاء الكوفة، فقيل: أقام على قضائها ستين سنة.قيل توفي سنة ٨٠هـ انظر: سير أعلام النبلاء (٤/١٠٠) والأعلام (٣/١٦١).

(٢) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/٤١٦).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (١٦/٤٥٢) وتفسير ابن كثير(٤/٤٦٢).

(٤) انظر: انظر: جامع البيان للطبري (١٧/٤١٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٧) ومعالم التزيل (٣/ ٤٨٩).

(٥) انظر: تاريخ المدينة لابن شبة (٣/١٠٠٣) والانتصار للقرآن للباقلاني (١/١٠٠) ومعترك الأقران للسيوطي (١/٩٧).

(٦) انظر: تاريخ المدينة لابن شبة (٣/١٠٠٣) والانتصار للقرآن للباقلاني (١/١٠٠).

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ النساء: ١٦٥ وقوله: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ﴾ الأنعام: ١٣٠ الآية. وقوله: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾ فاطر: ٣٧ وقوله: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ ﴾ الزمر: ٧١ الآية. وقوله: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥) ﴾ الإسراء: ١٥ وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ القصص: ٥٩ وقوله: ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ الملك: ٨ - ٩ / وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ (١٣٤) ﴾ طه: ١٣٤ وقوله: ﴿ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) ﴾ القصص: ٤٧ ونحو هذا في القرآن في مواضع متعددة.

ط٤٩٣

من موانع التكفير

فمن كان قد آمن بالله ورسوله ولم يعلم بعض ما جاء به الرسول فلم يؤمن به تفصيلاً؛ إما أنه لم يسمعه. أو سمعه من طريق لا يجب التصديق بها أو اعتقد معنى آخر لنوع من التأويل الذي يعذر به. فهذا قد جعل فيه من الإيمان بالله وبرسوله ما يوجب أن يثيبه الله عليه وما لم يؤمن به فلم تقم عليه به الحجة التي يكفر مخالفها./

ظ١٠٤

وأيضاً فقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن من الخطأ في الدين ما لا يكفر مخالفه؛ بل ولا يفسق؛ بل ولا يأثم؛ مثل الخطأ في الفروع العملية؛ وإن كان بعض المتكلمة والمتفقهة يعتقد أن المخطئ فيها آثم وبعض المتكلمة والمتفقهة يعتقد أن كل مجتهد فيها مصيب فهذان القولان شاذان ومع ذلك فلم يقل أحد بتكفير المجتهدين المتنازعين فيها، ومع ذلك فبعض هذه المسائل قد ثبت خطأ المنازع/ فيها بالنصوص والإجماع القديم مثل استحلال

ط٤٩٤

بعض السلف والخلف لبعض أنواع الربا واستحلال آخرين لبعض أنواع الخمر واستحلال آخرين للقتال في الفتنة.

وأهل السنة والجماعة متفقون على أن المعروفين بالخير كالصحابة المعروفين وغيرهم من أهل الجمل وصفين من الجانبين لا يفسق أحد منهم فضلاً عن أن يكفر حتى عدى ذلك من عداه من الفقهاء إلى سائر أهل البغي فإنهم مع إيجابهم لقتالهم منعوا أن يحكم بفسقهم لأجل التأويل كما يقول هؤلاء الأئمة: إن شارب النبيذ المتنازع فيه متأولاً لا يجلد ولا يفسق. وقد قال تعالى:﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ الأنبياء: ٧٨ - ٧٩ وقال تعالى:﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾الحشر: ٥.

وثبت في الصحاح من حديث عمرو بن العاص وأبي هريرة عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر"(١). وثبت في الصحيح عن بريدة بن الحصيب أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال:"إذا حاصرت أهل حصن فسألوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك فإنك لا تدري ما حكم الله فيهم"(٢)/ وأدلة هذا الأصل كثيرة لها موضع آخر.

٤٩٥ط

حكم من بلغته الرسالة

وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن من بلغته رسالة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يؤمن به فهو كافر لا يقبل منه الاعتذار بالاجتهاد لظهور أدلة الرسالة وأعلام النبوة؛

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام /باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (٤/ ٣٧٢ رقم ٧٣٥٢) ومسلم في كتاب الأقضية /باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (٣/ ١٣٤٢رقم١٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد / باب في تامير الإمام الأمراء على البعوث (٣/ ١٣٥٧رقم ٣) وأبو داود في كتاب الجهاد /باب في دعاء المشركين (٥٩/٣ رقم ٢٦١٢).

ولأن العذر بالخطأ حكم/شرعي فكما أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر والواجبات تنقسم إلى أركان وواجبات ليست أركاناً: فكذلك الخطأ ينقسم إلى مغفور وغير مغفور، والنصوص إنما أوجبت رفع المؤاخذة بالخطأ لهذه الأمة، وإذا كان كذلك فالمخطئ في بعض هذه المسائل: إما أن يلحق بالكفار من المشركين وأهل الكتاب مع مباينته لهم في عامة أصول الإيمان. وإما أن يلحق بالمخطئين في مسائل الإيجاب والتحريم مع أنها أيضاً من أصول الإيمان. ظ١٠٥

فإن الإيمان بوجوب الواجبات الظاهرة المتواترة وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة: هو من أعظم أصول الإيمان وقواعد الدين والجاحد لها كافر بالاتفاق مع أن المجتهد في بعضها ليس بكافر بالاتفاق مع خطئه.

وإذا كان لا بد من إلحاقه بأحد الصنفين: فمعلوم أن المخطئين من المؤمنين بالله ورسوله أشد شبهاً منه بالمشركين وأهل الكتاب/ فوجب أن يلحق بهم وعلى هذا مضى عمل الأمة قديماً وحديثاً في أن عامة المخطئين من هؤلاء تجري عليهم أحكام الإسلام التي تجري على غيرهم هذا مع العلم بأن كثيراً من المبتدعة منافقون النفاق الأكبر وأولئك كفار في الدرك الأسفل من النار فما أكثر ما يوجد في الرافضة والجهمية ونحوهم زنادقة منافقون بل أصل هذه البدع هو من المنافقين الزنادقة ممن يكون أصل زندقته عن الصابئين والمشركين فهؤلاء كفار في الباطن ومن علم حاله فهو كافر في الظاهر أيضاً. ط٤٩٦

وأصل ضلال هؤلاء الأعراض عما جاء به الرسول من الكتاب والحكمة وابتغاء الهدى في خلاف ذلك فمن كان هذا أصله فهو بعد بلاغ الرسالة كافر لا ريب فيه مثل: من يرى أن الرسالة للعامة دون الخاصة كما يقوله قوم من المتفلسفة وغالية المتكلمة والمتصوفة أو يرى أنه رسول إلى بعض الناس دون بعض كما يقوله كثير من اليهود والنصارى.

فهذا الكلام يمهد أصلين عظيمين:

(أحدهما): أن العلم والإيمان والهدى فيما جاء به الرسول وأن خلاف ذلك كفر على الإطلاق فنفي الصفات كفر والتكذيب بأن الله يُرى في الآخرة أو أنه على العرش أو أن القرآن كلامه أو/ أنه كلم موسى أو أنه/اتخذ إبراهيم خليلاً كفر وكذلك ما كان في معنى ذلك وهذا معنى كلام أئمة السنة وأهل الحديث.

ط٤٩٧
ظ١٠٦

و(الأصل الثاني): أن التكفير العام -كالوعيد العام- يجب القول بإطلاقه وعمومه.

وأما الحكم على المعين بأنه كافر أو مشهود له بالنار: فهذا يقف على الدليل المعين فإن الحكم يقف على ثبوت شروطه وانتفاء موانعه.

ومما ينبغي أن يعلم في هذا الموضع أن الشريعة قد تأمرنا بإقامة الحد على شخص في الدنيا؛ إما بقتل أو جلد أو غير ذلك ويكون في الآخرة غير معذب مثل قتال البغاة والمتأولين مع بقائهم على العدالة ومثل إقامة الحد على من تاب بعد القدرة عليه توبة صحيحة فإنا نقيم الحد عليه مع ذلك كما أقامه النبي صلى الله عليه وسلم على ماعز بن مالك وعلى الغامدية مع قوله: "لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له"[1]، ومثل إقامة الحد على من شرب النبيذ المتنازع فيه متأولاً مع العلم بأنه باق على العدالة.

بخلاف من لا تأويل له فإنه لما شرب الخمر بعض الصحابة/ واعتقدوا أنها تحل للخاصة تأول قوله: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ﴾[المائدة: ٩٣]. اتفق الصحابة مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وغيرهما على أنهم إن أقروا بالتحريم جلدوا وإن أصروا على الاستحلال قُتلوا.

ط٤٩٨

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحدود /باب من اعترف على نفسه بالزنى (٣/ ١٣٢٣رقم٢٣) وأبو داود في كتاب الحدود /باب المرأة التي أمر النبي – صلى الله عليه وسلم برجمها من جهينة (٤/ ٣٨١رقم٤٤٤٢)

وكذلك نعلم أن خلقاً لا يعاقبون في الدنيا مع أنهم كفار في الآخرة مثل أهل الذمة المقرين بالجزية على كفرهم. ومثل المنافقين المظهرين الإسلام فإنهم تجري عليهم أحكام الإسلام وهم في الآخرة كافرون كما دل عليه القرآن في آيات متعددة كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾النساء: ١٤٥ الآية. وقوله: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ الآية الحديد: ١٣ - ١٥ /. ظ١٠٧

وهذا لأن الجزاء في الحقيقة إنما هو في الدار الآخرة التي هي دار الثواب والعقاب. وأما الدنيا فإنما يشرع فيها من العقاب ما يدفع/ به الظلم والعدوان كما قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾ البقرة: ١٩٣. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ الشورى: ٤٢. وهذا لأن المقصود بإرسال الرسل وإنزال الكتب هو إقامة القسط كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ الحديد: ٦٥ . ط٤٩٩

وإذا كان الأمر كذلك فعقوبة الدنيا غير مستلزمة لعقوبة الآخرة ولا بالعكس. ولهذا أكثر السلف يأمرون بقتل الداعي إلى البدعة الذي يضل الناس لأجل إفساده في الدين سواء قالوا: هو كافر أو ليس بكافر.

تكفير المعين

وإذا عرف هذا فتكفير المعين من هؤلاء الجهال وأمثالهم -بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار- لا يجوز الإقدام عليه إلا بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسول[1] وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر.

ط٥٠٠

وهكذا الكلام في تكفير جميع المعينين مع أن بعض هذه/ البدعة أشد من بعض وبعض المبتدعة يكون فيه من الإيمان ما ليس في بعض فليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة. ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة. وهذا الجواب لا يحتمل أكثر من هذا. والله المسئول أن يوفقنا وسائر إخواننا لما يحب[2] ويرضاه والله سبحانه أعلم.//

ظ١٠٨
ط٥٠١

---

(١) في (ط) للرسل.

(٢) كما في الأصل وفي(ط): (يحبه).

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾	البقرة	٢٥٣	١٣٩، ١٤٥،١٤٤
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾	البقرة	٢٥٥	٧١
﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	البقرة	٢٨٥	٨٤
﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾	البقرة	٢٨٦	٢٢٤
﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾	آل عمران	٢٠	٧٨
﴿ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾	آل عمران	٤١	١٤٥
﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾	آل عمران	١٠٣	٨٢
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾	آل عمران	١٠٥ – ١٠٦	٨٢
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾	آل عمران	١٠٤	٢٠٢
﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً ﴾	آل عمران	١٥٤	١٩٠
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾:	النساء	١٠	٢١٦
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾	النساء	٥١– ٥٢	٨١
﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾:	النساء	٥٩	٢٠٤
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾	النساء	٦٠– ٦١	٨١
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾	النساء	٦٣	٨٢
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾	النساء	٦٥	٨٢
﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾:	النساء	١٤٥	٢٣٢
﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾	النساء	١٦٣	١٤٦،١٣٩
﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾	النساء	١٦٤	١٤٦،١٤٤

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾	النساء	١٦٥	٢٢٨
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾	النساء	١٥٠ – ١٥٢	٨٠
﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾	النساء	١٦٣– ١٦٤	١٣٩
﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾	النساء	١٧١	٢٠٣
﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾	المائدة	٣	٢١٢
﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾	المائدة	٥	٢١٢
﴿نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾	المائدة	٣٨	٦٢
﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾	المائدة	٤٨	١٠٠
﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَ﴾	المائدة	٦٣	٢٠٢
﴿بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾	المائدة	٦٧	١٣٤
﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾	المائدة	٧٧	٢٠٣
﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾:	المائدة	٩٣	٢٣١
﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ﴾	ابنعام	١٠١	٦٩
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا﴾	المائدة	١٠٤	٢٠٣
﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾	المائدة	١١١	١٤١
﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾	المائدة	١٢٠	٧٢
﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾	الأنعام	١٩	٧٢
﴿إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ﴾	الأنعام	٩١	٧١
﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾	الأنعام	١٠٢	٧٠

﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾	الأنعام	١٠٣	**٧٠**
﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾	الأنعام	١٥٢	**١٩٧**
﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾	الأنعام	١٥٩	**٨٢**
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾	**الأعراف**	**٣٣**	**٢٠٣**
﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾	**الأعراف**	**٣٥ – ٣٦**	**٧٧**
﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾	**الأعراف**	**١٤٣**	**١٤٤**
﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾	**الأعراف**	**١٤٨**	**١٤٨**
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ﴾	**الأعراف**	**١٥٧**	**١٣٠**
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	**الأنفال**	**٢**	**٢١٤**
﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾	التوبة	**٦**	١٥١، ١٦٨، ٢٠٠
﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾	التوبة	**٣٠**	**١٨٦**
﴿الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾	**هود**	**١**	**١٧٧**
﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ﴾	**الرعد**	**١٦**	**٦٩**
﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾:	**الرعد**	**٣١**	**٢٢٧**
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾	**الحجر**	**٩٢ – ٩٣**	**١٢١**
﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾	**النحل**	**١٧**	٧٠
﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	**النحل**	**١٨**	٧٠
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾	**النحل**	**١٩**	٧٠
﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾	**النحل**	٢٠-٢١	٧٠

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾	النحل	١٧	١٨٠
﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) ﴾	النحل	٢٠ – ٢١	١٠١
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾	النحل	٣٦	٢٠٧
﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ﴾	النحل	٦٠	٩٢،٨٩
﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾	النحل	٦٨	١٤١
﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥) ﴾	الإسراء	١٥	٢٢٨
﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾	الإسراء	٢٣	٢٢٧
﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ ﴾	الإسراء	٨٨	١٣٦
﴿ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ﴾	الكهف	٤–٥	١٨٦
﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) ﴾	الكهف	٥	١٣٤
﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ ﴾	الكهف	١٠٩	١٢٨
﴿ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) ﴾	مريم	١٠	١٤٥
﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ ﴾	مريم	١١	١٤٥
﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) ﴾	مريم	٥٢	١٤٤
﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾	طه	١١– ١٣	١٤٤
﴿ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) ﴾	طه	١٣	١٤٥
﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾	طه	١٤	١٧٨
﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) ﴾	طه	٨٩	١٤٨
﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ ﴾	طه	١٢٣– ١٢٤	٧٧

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا ﴾	طه	١٣٤	٢٢٨
﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾	طه	١٢٣ – ١٢٧	٢٠٨،٧٧
﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾	الأنبياء	٢	١١١
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ ﴾	الأنبياء	٢٥	٢٠٧
﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾	الأنبياء	٢٧	١٤٨
﴿ فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾:	الأنبياء	٦٣	١٤٨
﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾	الأنبياء	٧٨ – ٧٩	٢٢٩
﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾	النور	٤٧–٤٨	٨٢
﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾	النور	٥١	٨٢
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ ﴾:	النور	٦٢	٢١٤
﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾	الفرقان	٢	٧٠
﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾	الشعراء	١٠٥	٧٧
﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾	الشعراء	١٩٦	١٢٨ ١٣٠
﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾	النمل	٦	١٧٧
﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾	القصص	٧	١٤١
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا ﴾	القصص	٥٩	٢٢٨
﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾	القصص	٤٧	٢٢٨
﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ﴾	الروم	١–٣	٢٠٠
﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾	الروم	٢٨	٩٠

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾	الروم	٣٠-٣٢	٨٣
﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾	السجدة	١٣	١٧٧،١٨١
﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾	السجدة	٢٤	١٨١
﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ﴾	الأحزاب	٥	٢٢٤
﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ ﴾	الأحزاب	٣٩	١٣٤
﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا ﴾	الأحزاب	٦٦-٦٨	٢٠٤
﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾	فاطر	١٠	١٢٠،١٩٧
﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾:	فاطر	٣٧	٢٢٨
﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) ﴾	الزمر	١	١٧٧
﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) ﴾	الزمر	٦٢-٦٣	٦٩،٧٢
﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾	الزمر	٧١	٢٢٨
﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	غافر	٦٢	٧٠
﴿ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) ﴾	غافر	٣٦ - ٣٧	٩٤
﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) ﴾	غافر	٧٠ - ٧١.	١٢٧
﴿ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾	فصلت	١٢	١٤١
﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) ﴾	فصلت	٤٢	١٠٢
﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾	الشورى	١٠	٢٠٤
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾	الشورى	١١	١٧٦

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾	الشورى	١٣-١٥	٨٣
﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾	الشورى	٤٢	٢٣٢
﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾	الشورى	٥١	١٣٩ ١٤٠ ١٤٣
﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ﴾	الزخرف	٤٥	٢٠٧
﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾	الجاثية	١٣	١٧٨ ٢٠٨
﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) ﴾	الجاثية	٢٩	١٣١
﴿ ائْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾	الأحقاف	٤	٢٠٤
﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ﴾	الفتح	٢٩	١٩٠
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾	الحجرات	١٥	٢١٤
﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ (٣) ﴾	الطور	٢-٣	١٢٩،١٣٠
﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ﴾	النجم	٢٣	٢٠٤
﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ (٤٩) ﴾	القمر	٤٩	٧٠
﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) ﴾	القمر	٥٢	١٣٠
﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) ﴾	الواقعة	٧٧-٧٨	١٢٨ ١٣٠
﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَٰفِقُونَ وَالْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ :.	الحديد	١٣-١٥	٢٣٢
﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾	الحديد	٢١	٧٦ ٢١٤
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ ﴾	الحديد	٢٥	٨٣
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ ﴾	الحديد	٢٥	٢٣٢

﴿ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ﴾	المجادلة	٢	٦٢
﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾	المجادلة	٧	١٥٢
﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾:	الحشر	٥	٢٢٩
﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ ﴾	الملك	٨	٢٢٨
﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) ﴾	الحاقة	٤٠ – ٤٢	١٥٧،١٢٣
﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾	الجن	٢٨	١٣٤
﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) ﴾	المدثر	١١– ١٢	٨٥
﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ (٢٥) ﴾	المدثر	٢٥	٩٨
﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) ﴾	المرسلات	٣٥ – ٣٦	١٤٨
﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ﴾	النبأ	٣٨	١٤٨
﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (١٢) فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) ﴾	عبس	١١– ١٣	١٣٠
﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) ﴾	التكوير	١٩ – ٢١	١٢٢
﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢) ﴾	البروج	٢١– ٢٢	١٣٠
﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ (١) ﴾	العلق	١ – ٥	١٢٩
﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ ﴾	البينة	١	٧٨
﴿ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) ﴾	البينة	٢–٣	١٣٠
﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ (٤) ﴾	البينة	٤	٨٢

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ ﴾	المسد	١	١٣٦
﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ﴾	الإخلاص	١	١٣٦ ١٥١
﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤ ﴾	الإخلاص	٤	١٧٦

فهرس أطراف الأحاديث النبوية والآثار

فهرس الأماكن المعرف بها

الصفحة

فهرس الفرق والطوائف والأديان المعرف بها

الصفحة

فهرس الألفاظ والمصطلحات المعرف بها

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

٧٩.	عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل	عبد الله بن حنبل	٢٩٠هـ	١٠٣
٨٠.	عبد الله بن داود بن عامر بن ربيع ، المشهور بالخريبي	عبد الله بن داود الخريبي	٢١٣هـ	١٦٣
٨١.	عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان	ابن كلاب	٢٤٥هـ	١١٢
٨٢.	عبيد الله بن عبد الكريم	أبو زرعة	٢٦٤هـ	١١٠
٨٣.	عبد الله بن محمد بن المهاجر	فوران	٢٦٠هـ	١٠٣
٨٤.	عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري	أبو إسماعيل الأنصاري	٤٨١هـ	١٠٦
٨٥.	عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر، المنصور	أبو جعفر المنصور	١٥٨هـ	١١٣
٨٦.	عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعي	ابن قدامة	٦٢٠هـ	٨٧
٨٧.	عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري	ابن قتيبة	٢٧٦هـ	٧٥
٨٨.	عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله التيمي بالولاء أبو مروان	ابن الماجشون	٢١٣هـ	١٦٠
٨٩.	عبد الملك بن عبد الله إمام الحرمين أبو المعالي الجويني	أبو المعالي الجويني	٤٧٨هـ	٨٨
٩٠.	عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث	أبو الفضل التميمي	٤١٠هـ	١١٤
٩١.	عبد الواحد بن محمد بن علي الشيرازي	أبي الفرج الأنصاري	٤٨٦هـ	١٨٤
٩٢.	عبد الوهاب بن عبد الحكم ابن نافع	الوراق	٢٥١هـ	١٠٤
٩٣.	عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع أبو الحسن الوراق	عبد الوهاب الوراق	٢٥١هـ	١٦٥
٩٤.	عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي	القاضي عبد الوهاب	٤٢٢هـ	١٠٩
٩٥.	عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله	أبو ذر الهروي	٤٣٥هـ	١٠٩
٩٦.	عبيد الله بن سعيد بن يحيى	أبو قدامة	٢٤١هـ	٧٣
٩٧.	عبيد الله بن محمد بن محمد العكبري	ابن بطة	٣٨٧هـ	٦٦
٩٨.	على بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي سيف الدين الآمدي	الآمدي	٦٣١هـ	٨٨
٩٩.	علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق	أبو الحسن الأشعري	٣٢٤هـ	١٠٧
١٠٠	علي بن حرب بن محمد بن علي الطائي	علي بن حرب الموصلي	٢٦٥هـ	١٦٧
١٠١	علي بن داود بن يزيد		٢٧٢هـ	١٦٦
١٠٢	علي بن عاصم بن صهيب الواسطي	علي بن عاصم	١٩٩هـ	١٦٠
١٠٣	علي بن عبد الله بن جعفر	ابن المديني	٢٣٤هـ	٦٨
١٠٤	علي بن عقيل بن حمد		٥١٣هـ	١١٤

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

قائمة المصادر والمراجع

أ

١. القرآن الكريم.
٢. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري(ت٣٨٧هـ) الحنبلي، تحقيق : عثمان عبد الله آدم الأثيوبي + رضا بن نعسان معطي + يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل + حمد بن عبد الله التويجري، (ط): الثانية١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م(ن): دار الراية، الرياض.
٣. الإبانة عن أصول الديانة،لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري(ت٣٢٤هـ). تحقيق : د.فوقيه حسين محمود (ط): الأولى ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م (ن): دار الأنصار.
٤. إبطال التأويلات لأخبار الصفات للقاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى : ٤٥٨هـ) المحقق : محمد بن حمد الحمود النجدي (ن): دار إيلاف الدولية – الكويت.
٥. ابن تيمية السلفي نقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلآهيات د. محمد خليل هراس (ط)١٣٧٢هـ/١٩٥٢م (ن) المطبعة اليوسفية – طنطا.
٦. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: د.جمال الدين الشيال، (ط): الثانية ١٤١٦ه/١٩٩٦م (ن):وزارة الأوقاف بمصر.
٧. إخبار العلماء بأخبار الحكماء للوزير جما ل الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ) عني بتصحيحه السيد محمد أمين الخانجي (ن): السعادة – مصر.

٨. اجتماع الجيوش الإسلامية للإمام ابن القيم (ت٧٥١هـ) تحقيق: د. عواد عبد الله المعتق (ط): الثانية ١٤١٥هـ/١٩٩٥م(ن): مكتبة الرشد – الرياض.

٩. أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الداثرة، المؤرخ الكبير أبو الحسن على عبد الحسين بن على المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ(ط): ١٤١٦هـ/١٩٩٦م (ن): دار الانداس– بيروت.

١٠. الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) تعليق وتخريج: عمر بن محمود أبو عمر ط:الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م ن:دار الراية–الرياض .

١١. الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (ت٤٥٨ هـ) تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي (ن): مكتبة السوادي – جدة.

١٢. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للإمام فخر الدين الرازي، تحرير: علي سامي النشار (ن): النهضة المصرية– القاهرة.

١٣. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد / للبيهقي تحقيق: أحمد أبو العينين (ط)الأولى ١٤٢٠هـ (ن) الفضيلة – الرياض.

١٤. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (المتوفى: ٧٦٢هـ)تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد – أبو محمد أسامة بن إبراهيم(ط): الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م(ن): الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

١٥. الأنساب الإمام ابي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢ هـ) تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي(ط): الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م (ن): دار الجنان.

ب

١٦. البدء والتاريخ، مطهر بن طاهر المقدسي (ت٣٤٠هـ) (ن): مكتبة الثقافة الدينية.

ت

١٧. تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) تحقيق: الدكتور: بشار عواد معروف (ط) ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ن: دار الغرب الإسلامي ، بيروت.

١٨. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف(ط): الأولى، ٢٠٠٣ م (ن): دار الغرب الإسلامي.

١٩. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأمثال أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، للإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الدمشقي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ) تحقيق: محب الدين أبي سعيد بن غرامة العمروي (ط): ١٤١٥هـ/١٩٩٥م (ن): دار الفكر- بيروت.

٢٠. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ،الإمام الكبير أبي المظفر الأسفراييني(ت٤٧١هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (ط):الأولى١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. (ن):عالم الكتب -بيروت.

٢١. التعريفات للجرجاني، للفاضل العلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني، (ط): ١٩٨٥م (ن):مكتبة لبنان -بيروت.

٢٢. تغليق التعليق على صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي(ط): الأولى ، ١٤٠٥هـ (ن): المكتب الإسلامي ، دار عمار -

عمان – الأردن.

٢٣. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [ت٧٧٤ هـ]تحقيق : سامي بن محمد سلامة(ط) : الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م، (ن): دار طيبة للنشر والتوزيع.

٢٤. التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري(ت ٤٥٦هـ)تحقيق: إحسان عباس(ط): ١٩٨٧م (ن): المؤسسة العربية للدارسات والنشر– بيروت.

٢٥. تلبيس ابليس ، لأبي الفرج بن الجوزي البغدادي (ت٥٩٧هـ) (ن): دار ابن خلدون – الاسكندرية.

٢٦. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ) تحقيق : سعيد أحمد أعراب (ط) : ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٧. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي عبد الرحمن الملطي، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب،(ط)الأولى١٤١٣هـ/١٩٩٣م (ن): مكتبة مدبولي – القاهرة.

٢٨. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم لأحمد بن إبراهيم بن عيسى (ط): الثانية ١٣٩٤هـ (ن):المكتب الإسلامي – بيروت.

ث

٢٩. الثبت فيه قوائم ببعض مخطوطات شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ت٧٢٨هـ) ومعه ملحق ببعض مخطوطات العلامة ابن قيم الجوزية

(٧٥١هـ) تصنيف : د. علي بن عبد العزيز الشبل (ط): الأولى ١٤١٧هـ (ن):الوطن – الرياض.

ج

٣٠. جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) تحقيق:د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر.(ن): دار هجر.

٣١. جامع الرسائل لابن تيمية، تحقيق : د. رشاد سالم (ن): دار المدني – جدة.

٣٢. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) (ط):الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م (ن): قرطبة.

٣٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله(ت٢٥٦هـ) تحقيق: محب الدين الخطيب الناصر(ط): الأولى ١٤٠٠هـ (ن): المطبعة السلفية – القاهرة.

٣٤. الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون جمع: محمد عزير شمس وعلي بن محمد عمران (ط): الثالثة ١٤٣٢ه (ن): دار الفوائد –مكة.

ح

٣٥. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي وحكم الإسلام فيها، د.محمد أحمد الخطيب، (ط):الثالثة ١٤٢٨هـ /٢٠٠٧م (ن): دار عالم الكتب.

خ

٣٦. خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٤هـ) تحقيق: فهد بن سليمان الفهيد. (ط)الأولى،١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م ن: دار أطلس الخضراء، الرياض.

د

٣٧. درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن (ط): ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م. (ن): دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٨. دلائل النبوة ومعرفة أحوال أصحاب الشريعة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨) تحقيق: د.عبد المعطي قلعجي (ط): الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م (ن):دار الريان للتراث–القاهرة.

٣٩. ديوان المعاني لأبي هلال العسكري تحقيق: أحمد حسن بسج (ط): ١٤١٤ – ١٩٩٤ (ن): دار الكتب العلمية.

٤٠. ديوان امرئ القيس لامرئ القيس (ت٥٦٥م) تحقيق: مصطفى عبد الشافي سنة النشر: ١٤٢٥ – ٢٠٠٤ الناشر: دار الكتب العلمية.

٤١. ديوان لبيد لحمدو طماس (ط):الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م (ن):دار المعرفة.

ذ

٤٢. ذيل طبقات الحنابلة، للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي (ت: ٥٢٦هـ) تحقيق : د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين (ط)١٤١٩هـ ن: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام، الرياض.

ر

٤٣. رجال الفكر والدعوة أبي الحسن علي الحسني الندوي (ط)١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م (ن) دار القلم – دمشق.

٤٤. الرد على الجهمية للإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ) تخريج وتعليق: بدر البدر (ط):الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م (ن):السلفية – تونس .

٤٥. الرد على الجمهية والزنادقة، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) تحقيق:صبري سلامة شاهين (ط):الأولى١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م (ن):الثبات – الرياض.

٤٦. الرد على الجهمية، للإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨١هـ) تحقيق: بدر البدر (ط):الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٢م (ن): الدار السلفية –الكويت.

٤٧. الرد على المنطقيين المسمى أيضاً نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان،لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) تحقيق: الشيخ عبد الصمد شرف الدين الكتبي (ط):الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م (ن):الريان – بيروت.

٤٨. الرسالة البعلبكية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) تحقيق: مريم عبد العالي الصاعدي (ط):الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م (ن):دار الفضيلة– الرياض.

س

٤٩. السنة للخلال، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال أبو بكر. تحقيق: د.عطية الزهراني، ن: دار الراية، الرياض.

٥٠. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ) إعداد: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد.(ط):الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، (ن): دار ابن حزم- بيروت.

٥١. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي (ت:٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط. (ط)الأولى، ١٤٠٣هـ ن: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٢. سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٩٧هـ) تحقيق: أحمدشاكر (ط):الثانية ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، (ن):مصطفى البابي الحلبي.

٥٣. السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي(ت ٣٠٣هـ)
تحقيق : حسن عبد المُنعم حسن شلبي (ط):الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م (ن): الرسالة- بيروت.

٥٤. سنن ابن ماجة لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ) تحقيق: محمد بن ناصر الألباني (ط): الأولى (ن): مكتبة المعارف – الرياض.

٥٥. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني (ط):١٤١٥هـ/١٩٩٥م (ن):المعارف – الرياض.

٥٦. سيرة الإمام أحمد /لأبي الفضل صالح بن أحمد بن حنبل ت (٢٦٥هـ) تحقيق: د.عبد المنعم فؤاد(ط)الثالثة ١٤١٥هـ (ن) دار السلف- الرياض.

ش

٥٧. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (ت٤١٨هـ) أبو القاسم ، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان (ط): ١٤٠٢هـ(ن): دار طيبة – الرياض.

٥٨. شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) تحقيق: د/ محمد عودة السعوي (ط):الأولى ١٤٣٠هـ (ن): مكتبة المنهاج – الرياض.
٥٩. شرح نهج البلاغة لعبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (ت ٦٥٦هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم
(ن) : دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٦٠. الشريعة للآجري لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى : ٣٦٠هـ) تحقيق : الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي (ط): الأولى ١٤١٨هـ (ن): دار الوطن – الرياض.
٦١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرناؤوط(ط)الأولى ١٤١٠هـ(ن) دار بن كثير – دمشق.

ص

٦٢. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩هـ) تحقيق شعيب الأرنأووط (ط): الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٣م (ن): الرسالة - بيروت.
٦٣. صحيح الجامع الصغير وزيادته ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، إشراف: زهير الشاويش (ط): الثالثة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م (ن):المكتب الإسلامي – بيروت.
٦٤. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي(ط):الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م (ن) : دار إحياء الكتب العربية – بيروت.

ط

٦٥. طبقات الحنابلة، للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي (ت: ٥٢٦هـ) تحقيق : د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين (ط)١٤١٩هـ ن: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام، الرياض.

٦٦. طبقات الشافعية الكبرى الإمام العلامة / تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي،د.عبد الفتاح محمد الحلو، (ط): الثانية ١٤١٣هـ، ن: هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

٦٧. طبقات الشافعية الكبرى الإمام العلامة / تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي(ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي،د.عبد الفتاح محمد الحلو، ن: دار إحياء الكتب العربية.

٦٨. طبقات الشافعية ـ لابن قاضى شهبة لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان (ط): الأولى (ن) : عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٧ هـ.

٦٩. طبقات الفقهاء،أبو إسحاق الشيرازي هذبهُ: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور)تحقيق: إحسان عباس(ط):الأولى١٩٧٠م ن: دار الرائد العربي، بيروت .

٧٠. طبقات المفسرين لجلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي (ت ٩١١هـ) تحقيق : علي محمد عمر
(ط):١٣٩٦هـ/١٩٧٦م
(ن): مكتبة وهبة.

ع

٧١. العباب الزاخر واللباب الفاخرللحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (ت ٦٥٠ هـ) تحقيق : د. فير محمد حسن (ط): الاولى ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م. (ن): منشورات المجمع العلمي العراقي _ بغداد .
٧٢. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ،لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي (ت٧٤٤) تحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني (ط): الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م (ن): الفاروق الحديثة – القاهرة .
٧٣. عقيدة الإمام ابن قتيبة للدكتور: علي بن نفيع العلياني (ط): الأولى١٤١٢هـ/١٩٩١م (ن): مكتبة الصديق–الطائف.

ف

٧٤. الفتاوى الكبرى لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ) تحقيق: محمد عبدالقادر عطا – مصطفى عبدالقادر عطا(ط): الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م(ن) : دار الكتب العلمية.
٧٥. فتح الباري بشرح صحيح ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، لأحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ) تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد (ط):الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .
٧٦. الفتوحات المكية لابن عربي (ت٦٣٨هـ) طبع دار الكتب العربية بمصر.
٧٧. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم عقائد الفرق الإسلامية وآراء كبار أعلامها،للأستاذ الإمام أبي منصور عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت٤٢٩هـ) تحقيق: محمد عثمان الخشت (ن): مكتبة ابن سينا– القاهرة.

٧٨. فصوص الحكم لابن عربي (ت٦٣٨هـ) تحقيق: أبو العلاء عفيفي الناشر: دار الكتب العربي.
٧٩. فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، (ط): (ن):دار الكتب الثقافية – الكويت.
٨٠. الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، محمد بن اسحاق النديم، تحقيق: رضا تجدد.

ق

٨١. القاموس المحيط للمؤلفين : إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار (ط): الرابعة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م (ن): مجمع اللغة العربية – دار الشروق الدولية–القاهرة.

ك

٨٢. الكافي لموفق الدين أبي محمد عبد الله أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ) تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث بدار هجر (ط): الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م (ن): دار هجر– الجيزة .
٨٣. كتاب اعتقاد الإمام المنبل أبي عبد الله أحمد بن حنيل / لأبي الفضل التميمي ت (ت٤١٠) تحقيق: أبي المنذر النقاش (ط)الأولى (ن)الكتب العليمة –بيروت.
٨٤. الكتاب لسيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر تحقيق: عبد السلام هارون (ط):الثالثة ١٤١٨هـ/١٩٨٨م (ن): مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٨٥. كتاب السنة، للإمام أبي عبد الرحمن عبد الله بن إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٩٠هـ) تحقيق: الدكتور محمد سعيد القحطاني (ن):دار ابن القيم.

٨٦. كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث للإمام أبو بكر أَحْمَد بْن الحُسَيْن بْن عليّ بْن موسى البيهقي (ت٤٥٨ هـ) تحقيق:أحمد إبراهيم أبو العينين (ط) : الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م (ن):دار الفضيلة الرياض.

٨٧. كتاب المقالات والفرق،سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري القمي(ت٣٠١هـ) تحقيق: د.محمد جواد مشكور (ن):مطبوعاتي– طهران.

٨٨. كتاب خلع النعلين واقتباس النور من موضع القدمين لأحمد بن قسي (٥٤٦هـ) تحقيق: محمد الأمراني الطبعة الأولى : ١٤١٨هـ/١٩٩٧م طبع: ibmh.

٨٩. كتاب صريح السنة لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) تحقيق: بدر المعتوق الطبعة : الثانية ١٤٢٦هـ/ ١٩٨٥م الناشر:مكتبة أهل الأثر – الكويت .

٩٠. كتاب فردوس الأخبار للحافظ شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي تحقيق: فواز الزمرلي ومحمد المعتصم بالله (ط):الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م (ن):دار الكتاب العربي.

٩١. كتاب محنة الإمام أحمد /لعبد الغني المقدسي (ت٦٠٠) تحقيق: د.عبد الله التركي (ط)الأولى ١٤٠٧هـ (ن) هجر– مصر.

٩٢. كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ) تحقيق: هلموت ريتر (ط): الثانية ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م (ن): مكتبة ابن تيمية – القاهرة.

٩٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥هـ) تحقيق: بكري حياني – صفوة السقا (ط): الطبعة الخامسة ،١٤٠١هـ/١٩٨١م (ن): مؤسسة الرسالة.

٩٤. الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت١٠٣٣) تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف (ط):الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م (ن):دار الغرب الإسلامي–بيروت.

ل

٩٥. لسان الميزان لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة (ط): الأولى،١٤٢٣هـ (ن): دار البشائر الإسلامية.

م

٩٦. مجمع الزوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي تحقيق: عبد الله الدريوش وسماه بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد، (ط): ١٤١٤ هـ/١٩٩٤م (ن): دار الفكر– بيروت.

٩٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧) بتحرير: العراقي وابن حجر (ط): طبعة ١٤١٢ هـ، الموافق ١٩٩٢ م (ن):دار الفكر، بيروت.

٩٨. مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية(ت١٥٧هـ) اختصره محمد الموصلي (٧٧٤هـ) تخريج وتعليق: د. الحسن بن عبد الرحمن العلوي.

٩٩. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ،د. عبدالله عبد الكريم العبادي ، (ط):الرابعة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م (ن): البوادي جدة.

١٠٠. المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة ، د. ابراهيم البريكان (ط):الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م (ن): ابن القيم وابن عفان.

١٠١. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد ، وآخرون الطبعة : الأولى ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م (ن): مؤسسة الرسالة.

١٠٢. مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار للغزالي (ت٥٠٥هـ) تحقيق: عبد العزيز السيروان الناشر : دار الكتب، الطبعة: الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

١٠٣. المصنف للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن أبي شيبة ت(٢٣٥) تحقيق:حمد الجمعة ومحمد اللحيان (ط): الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م (ن): الرشد – الرياض.

١٠٤. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى : ١٣٧٧هـ)تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر(ط): الأولى ، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م(ن): دار ابن القيم – الدمام.

١٠٥. المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. (ط): ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.(ن): دار الحرمين – القاهرة.

١٠٦. معجم البلدان، للشيخ الإمام شهاد الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(ت:٦٢٦هـ)، (ط) ١٣٩٧هـ/١٩٩٧٧م ن: دار صادر بروت .

١٠٧. المعارف ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦ هـ) تحقيق: د.ثروت عكاشة، (ط):الرابعة (ن):دار المعارف– القاهرة .
١٠٨. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق : عبد السلام محمد هارون (ط) : ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م. (ن) : دار الفكر.
١٠٩. معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، لعمر رضا كحالة ، (ن): الرسالة .
١١٠. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ـــ أحمد الزيات ـــ حامد عبد القادر ـــ محمد النجار إشراف: مجمع اللغة العربية (ط): الرابعة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٠م (ن): مكتبة الشروق الدولية.
١١١. معيار العلم في المنطق، للإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)شرح: احمد شمس الدين (ط):الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م (ن): المكتبة العلمية–بيروت.
١١٢. الملل والنحل،لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٤٨) صححه: احمد فهمي محمد (ط): ١٤١٣هـ/١٩٩٢م (ن): الكتب العلمية – بيروت.
١١٣. الملل والنحل،لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت٥٤٨) تحقيق: أمير علي وعلي حسن (ط): ١٤١٤هـ/١٩٩٢م (ن): دار المعرفة – بيروت.
١١٤. المنطق القديم عرض ونقد للمحمود محمد مزروعة (ط): الثانية ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م (ن): كنوز المعرفة –جدة.
١١٥. المنقذ من الضلال حجة الإسلام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) تحقيق: سعد كريم الفقي (ن): دار ابن خلدون – الاسكندرية.

و

١١٦. الوابل الصيب من الكلم الطيب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية (ت٧٥١) تحقيق:عبد القادر الأرناؤوط وإبراهيم الأرناؤوط (ط):١٣٩٣هـ/١٩٧٣م (ن):دار البيان – دمشق.

١١٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،لأبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١)، تحقيق: إحسان عباس (ن): دار صادر – بيروت.

فهرس الموضوعات